لودويغ أوت

مختصَر

في عِلم اللّاهُوت العَقائِدي

3

اللهُ المَبرِر: النِعْمَة_ الكَنِيسَة

نقله مِن الألمَانيَّة إلى العَربيَّة

الأب جريس الماردِيني

مَنشورَات المَطبعَة الكاثوليكيّة_ بَيروت

تَوزيع المكتَبة الشرقيَّة_ سَاحَة النجمَة_ بَيروت

الكتابُ الخامِس

الله المُبَرِّر_ النِعمة_ الكنيسَة

الله المبرَّر

توطئة

النعمة بوجه عام

1. الفداء من حيث تطبيقه على الإنسان

أتمَّ يسوع المسيح، الاله الانسان، بواسطة تعويضه النيابي واستحقاقاته الفدائية، مصالحة البشر مع الله مبدئيًا وموضوعيًا. بقى أن يحقّق كل انسان في نفسه هذه المصالحة وهذا الفداء. وما التبرير أو التقديس سوى تحقيق لهذا الفداء بتطبيق ثمرته على كل انسان بمفرده. وتدعى ثمرة الفداء هذه نعمة المسيح.

وتحقيق هذا الفداء يعود في الأصل غلى الثالوث الأقدس. ولكنْ لما كان منح النعمة إنما هو من فعل المحبة الإلهية، صارت نسبته إلى الروح القدس، المحبة الإلهية بالذات، ولو قامت به الأقانيم الثلاثة معًا.

إلا أن تحقيق الفداء في الانسان ليس عمل الله وحده. فهو يقتضي من الانسان، بناءً على ما خصَّه به الله من بصيرة وحرية، مشاركته الحرة فيه(779D).والسرّ الذي لا يسبر له غور إنما هو في هذا التعاون الصميم بين حرية الإنسان ونعمة الله. هنا مثار المجادلات والبدع في موضوع النعمة.

وفي سبيل تطبيق الفداء فرديًا يمنح الله والانسان لا عونَ قوةٍ داخلية على صورة نعمة فحسب، بل أيضًا عونَ قويا خارجية تأتينا به الكنيسة بتعليمها وإرشادها وتوزيعها لأسرار النعمة. فغاية الفداء بالنسبة للبشر إنما هي البلوغ بهم إلى الكمال الأبدي في الرؤية الطوباوية.

2.مفهوم النعمة

1. في لغة الكتاب المقدس

المراد بكلمة نعمة في الكتاب المقدس:

أ) من حيث **المعطى والمعطى له**: تعطّف وتنازل من شخص رفيع نحو مَن هو دونه، وبنوع خاص من الله نحو الانسان (نعمة=تعطّف)(انظر سفر التكوين27/30؛ لوقا30/1).

ب) من حيث **موضوعها**: عطية مجانية مصدرها العطف. فالعطية من حيث هي عطية هي مادة النعمة، ومن حيث هي مجانية لا حقّ فيها هي صورة النعمة(انظر رومانيين6/11).

ج)اللطافة والحسن والملاحة (انظر المزمور3/44؛ سفر الأمثال30/31).

د) الشكر على الأيادي البيضاء (انظر لوقا9/17؛ 1كور20/10).

2. في لغة علم اللاهوت

إن لغة اللاهوت تحمل كلمة "نعمة" على معناها الموضوعي وتريد بها عطيةً من الله مجانية لا حقّ للإنسان فيها. وبهذا المعنى الأوسع يمكن أن تعني أيضًا نعمة **طبيعية** (كالخلق، والعطايا الطبيعية كصحة الجسم والنفس).

أما المعنى الخاص الدقيق فنريد بالنعمة عطية فائقة الطبيعة يمنحها الله لخليقة عاقلة، بمحض كرمه، لأجل خلاصها الأبدي. وهذا المعنى يتضمن في الدرجة الأولى العطايا الفائقة الطبيعة التي تفوق **من حيث جوهرها** كل كيان وقوى وحقوق للطبيعة المخلوقة (النعمة المبرر، الفضائل المفاضة في النفس، مواهب الروح القدس، النعمة الحالية، الرؤية الطوباوية). ويتضمن بعدها أيضًا النعم الفائقة الطبيعة التي تفوق **من حيث** كيفية منحها كل قوى خليقة ما معينة (معجزة الشفاء، عطية الألسن، موهبة النبوة)، كما يتضمن العطايا غير الطبيعية التي تكمل البيعة البشرية داخل نظامها الخاص (المنعة من الشهوة والألم والموت).

3.علل النعمة

علةُ النعمة الرئيسيةُ هي الثالوث الأقدس، وعلتها الآلية هي ناسوت المسيح والأسرار، وعلتها الاستحقاقية يسوع المسيح الاله الانسان بواسطة عمل فدائه، وعلتها الغائية الأولى هي مجد الله، وعلتها الغائية الثانوية هي خلاص الانسان الأبدي.

3. أقسام النعمة

1. النعمة غير المخلوقة_ والنعمة المخلوقة

النعمة غير المخلوقة هي الله نفسه من حيث أنه سبق بمحبته منذ الأزل إلى تحديد

عطاياه المجانية، ومن حيث أنه منح إلى ناسوت المسيح بالتجسد (**نعمة الاتحاد**)، ومن حيث أنه يسكن في نفوس الأبرار ويهب نفسه القديسين ملكًا لهم يتمتّعون به بالرؤية الطوباوية. والفعل الذي به يتم الاتحاد الأقنومي والسكن في الأبرار والرؤية الطوباوية هو نعمة مخلوقة، إذ له بدء في الزمان. الا أن النعمة التي تأتي بهذا الفعل احدى الخلائق هي غير مخلوقة. والنعمة المخلوقة هي هبة فائقة الطبيعة تتميز عن الله أو فعل له.

2. نعمة الله (من حيث أنه الخالق، وفي الحالة الانسان الأول)_ ونعمة المسيح (من حيث أنه الفادي والمخلص، وفي حالة الطبيعة الساقطة)

نعمة الله الخالق هي النعمة التي أولاها الله، بمحض محبته، ودنما نظر إلى استحقاقات المسيح، الملائكة وأبويَنا الأولَين في الفردوس الأرضي، الذين ما كانوا جديرين بها الا جدارة سلبية فقط بسبب خلوهم من الخطيئة. أما نعمة المسيح المخلص فهي النعمة التي أولاها الله ويوليها بالنظر إلى استحقاقات المسيح الفدائية، ورحمةً منه وكرمًا، البشرّ الساقطين، الذين لم يكونوا وليسوا بها جديرين جدارة **إيجابية**. فنعمة الله ونعمة المسيح ترفعان من يقبلونهما، في كيانهم وأعمالهم، إلى النظام الفائق الطبيعة. إلا أن نعمة المسيح، على ذلك، شفاء الجراح التي تسببها لنا الخطيئة.

غير أن **السكوتيين** يرون، بناء على نظريتهم في قدرية تجسد ابن الله، أن النعمة الممنوحة للملائكة ولأبوينا الأوليين في الفردوس الأرضي هي أيضًا نعمة المسيح، لا من حيث هو المخلص، بل من حيث هو رأس الخليقة كلها (انظر الكتاب الثالث القسم الثاني&2).

3. النعمة الخارجية_ والنعمة الباطنية

النعمة الخارجية هي منة من الله لأجل خلاص البشر توجد خارج الانسان وتعمل فيع عملًا أدبيًا كالوحي، وتعليم المسيح ومثله، والارشاد، والليتورجيا، والاسرار، وأمثلة فضائل القديسين. أما النعمة الباطنية فتلج النفس وقواها في الصميم وتعمل فيها عملًا **فيزيقيًا**، كالنعمة المبررة، الفضائل المفاضة في النفس، والنعمة الحالية. وصلة النعمة الخارجية بالنعمة الباطنية هي صلة الوسيلة بغايتها (انظر1كور6/3).

4. نعمة الوظيفة (التي تعطي بالمجان)، ونعمة التقديس (التي تقدِّس قابلها)

ولئن كانت كل نعمة هي هبة من الله حرة، إلا أننا نحمل مجانية **نعمة الوظيفة** هذه على المعنى الوارد في متى10/ 8 "مجانًا أخذتم مجانًا اعطوا" وهو المعنى الحصري للنعمة التي تُعطي لبعض الأشخاص لأجل خلاص غيرهم. وهذه النعمة تشمل النعم الخارقة(مواهب النبوة والمعجزات والألسن:1كور12/8 وما يلي)، والسلطات العادية كالتكريس

والولاية. وحرازة هذه المواهب لا تتعلّق بالحالة الأدبية لنفس صاحبها (انظر متى 23/22/12؛ يوحنا52/49/11). أما **نعمة التقديس** أو النعمة المبررة فهي موجهة لكل البشر تعطاهم لأجل تقديسهم الشخصي، فنجعل الذي يقبلها عزيزًا في عين الله إذ تبّرره تبريرًا، أو تعدّه للتبرير إذا حفظها فيه نماها (بواسطة النعمة الفعلية). وما نعمة الوظيفة الا وسيلة لها، فهي الغاية، وهي لهذا السبب أرفع من نعمة الوظيفة وأثمن (انظر1كور31/12 وما يلي).

5. النعمة الملكية (المبررة)_ والنعمة الفعلية

أن النعمة التي تجعل من يقبلها عزيزًا في عين الله تشمل النعمة الملكية والنعمة الفعلية. فالنعمة الملكية هي حالة للنفس فائقة الطبيعة وثابتة تجعل الانسان في الصميم قديسًا وبارًا وعزيزًا في عين الله؛ بينما النعمة الفعلية، وتُدعى أيضًا النعمة المساعدة والعاملة، هي فعل الهي فائق الطبيعة عابر يدفع قوى النفس على الاتيان بفعل خلاصي يحصل المرء به على النعمة المبررة أو يحفظها له وينميها.

6. تقسم النعمة الفعلية

أ) بحسب ما تحرّك من قوى إلى **نعمة معرفة ونعمة ادارة،** أو بحسب ما تأتي من مفعول إلى **نعمة إنارة ونعمة قوة.**

ب)بحسب ما لها من العلاقة بفعل الادارة الحرة إلى النعمة **تستدرك** فعل الادارة الاختياري prevenante **(**وتسمى أيضًا نعمة سابقة، ومحركة، وداعية، وفاعلة)، ونعمة تصاحب فعل الادارة الاختياري concomitante (وتسمى أيضًا نعمة لاحقة، ومعاونة، ومرافَقة، ومشاركة).

ج)بحسب مل لها من المفعول إلى نعمة **كافية** (suffisante**)** ونعمة فعّالة (efficace**).** فالنعمة الكافية تعطي القدرة على اصدار افعال الخلاص، والنعمة الفعالة تصدر هذه الأفعال فعلًا.

4. أهم البدع في موضوع النعمة

1. البيلاجية

ترجع هذه البدعة إلى منشئها الراهب **بيلاجيوس** (Pelagius) الأرلندي، ذي الآدا□ الصارمة، واضع كتا□ تفسير القديس بولس، ومؤلف كتب صوفية

(† بعد عام 418). وكان أهم مشايعيه في هذه البدعة الكاهن **شلستيوس**، و**يوليانوس** أسقف إكلانوم. أما أبرز حماة تعليم الكنيسة فكان القديس **أوغسطينوس**، "معلم النعمة"، الذي كرَّس السنين العشرين الأخيرة من حياته في محاربة البيلاجية. انظر كتابه في الطبيعة والنعمة73/62: "أنادي بنعمة المسيح التي بدونها لا يتبرَّر أحد". كافح بجانبه في سبيل العقيدة الكاثوليكية القديس **ايرونيموس**، والكاهن **اورسيوس**، والعامي **مريوس مركاتور**. قد دحض هذه الضلالة علميًا القديس أوغسطينوس، وادانتها الكنيسة في مجامع خاصة عديدة (مجمع قرطجنة411، 416، 418، ومجمع ميلاف 416Mileve)، إلى أن حرمها أخيرًا مجمع افسس الثالث العام (431) (انظرD101_108، 126_127).

والبيلاجية تنكر رفع الانسان إلى الحالة الفائقة الطبيعة، والخطيئة الأصلية. فليس لخطيئة آدم من تأثير في ذريته أكثر مما للمثل السيء. وعليه فعمل المسيح الفدائي إنما يقوم بتعليمه وبقدوة فضائله. والنعمة عند البيلاجين إنما هي قدرة الانسان الطبيعية، الناشئة عن إرادته الحرة، وعلى تقديس حياته وعيشها بدون خطيئة، فيستحقّ بذلك السعادة الابدية (نعمة القدر= الارادة الحرة). وما يبذله من الجهد الطبيعي في هذا السبيل تسهله النعم الخارجية، كشريعة موسى وقدوة فضائله(عون المقدرة). والانسان إنما ينال مغفرة خطاياه عندما تحيد إرادته، بجهودها الخاصة، عن طريق الخطيئة. فالبيلاجية هي محض حكمة طبيعية، وقد تأثرت بتعاليم الرواقيين الأدبية.

2. البيلاجية المعدَّلة

نشأت هذه البيلاجية المعدَّلة (seni_ pelagianisme) جوابًا على تعليم القديس أوغسطينوس عن النعمة. وكان أكثر من عاضدها أديرة جنوب غالبا، ولا سيما مرسيليا وليرنس (القديس **يوحنا كاسيانوس**، والقديس **فنسان ليرنس**، **وفوستوس** مطران رياز)؛ وحاربها القديس **اوغسطينوس**، والقديس **بروسبر الاكيتاني**، والقديس **فولجانسيون** مطران روسب. وقد أدانها مجمع اورانج الثاني الذي عقد عام **529** برئاسة القديس **سيزاريوس** مطران آرل، ووافق على قرارات هذا المجمع البابا بونيفاشيوس الثاني. (انظرD 174 وما يلي،200).

وتقول البيلاجية المعدَّلة برفع الانسان غلى ما فوق الطبيعة، وبالخطيئة الأصلية، وبضرورة النعمة الباطنية الفائقة الطبيعة للتبرير والخلاص. إلا أنها تحدّ من ضرورة النعمة ومجانيتها. وقد أدَّت بها الجهود التي بذلتها لرفع شأن الإدارة الحرة وإثبات مشاركة الانسان في عمل خلاصه إلى القول: أ) بأن الخطوة الأولى في سبيل الخلاص (بدء الايمان، عاطفة الايمان التقوية، المجهود التقوى) إنما هي من قوى الانسان الطبيعية؛ ب) بأن الانسان لا يحتاج إلى عون فائق الطبيعة للثبات في البر حتى النهاية؛ ج) بإمكان الانسان أن يستحقّ استحقاق لياقة، بسعيه الطبيعي، النعمة الأولى.

3. الإصلاحيون

بينا كان بيلاجيوس ينكر حالة الانسان الفائقة الطبيعة، كان **لويتر** يعدّها جزءًا لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، مستشهدًا على ذلك على ذلك بالقديس أوغسطينوس. فضياع الحالة الفائقة الطبيعية قد أفسد الطبيعة البشرية بسلخه عنها عناصر جوهرية. ثم جاءت الشهوة، التي هي في نظر لوتير الخطيئة الأصلية بالذات، فاستقرّت منذ ذلك الحين في الانسان بصورة دائمة. وطبيعة الانسان الساقطة هي أعجز من أن تستطيع، بقواها الخاصة، أن تعرف الحقائق الدينية، وأن تأتي بأعمال أدبية صالحة. لأن ارادة الانسان لم تعد حرة، ولا تملك سوى أن ترتكب الخطيئة. والنعمة لا تقوى على شفاء هذه الطبيعة الفاسدة كل الفساد، او على تجديدها وتقديسها من الداخل. وكل ما يصنعه التبرير معها أنه يحجب حالة الخطيئة حجبًا. وليس من عمل للإرادة سوى محض الانتظار تاركةً النعمة تعمل عملها وحدها.

وفي القرنَين السابع عشر والثامن عشر قام مذهب **الراسيونالسم** جوابًا على التعليم القائل بفساد الطبيعة البشرية كل الفساد، فأنكر التعليم عن الوحي والنعمة، وأولى كفاءات وإمكانات العقل الطبيعي وقوى العقل الطبيعي والادارة البشرية كل ثقة.

4. **بايوس** (Baius)، **جنسانيوس** (Jansenius)، **كنيل** (Quesnel)

آ) **بايوس** (†1589) أنكر، مثل لويتر، وبالاستناد إلى القديس أوغسطينوس، الحالة الفائقة الطبيعة للانسان الأول، معتبرًا إياها من أسباب استكمال الطبيعة البشرية، وجعل، مثل لويتر، ماهية الخطيئة الاصلية في الشهوة، ونفى عن الارادة حريتها الباطنية، بحيث أن أفعال الانسان تتأنى كلها أما عن الشهوة المتملكة في الانسان، وأما عن المحبة المفاضة في نفسه، فتكون الافعال الأولى شريرة والثانية صالحة. وقد أدان البابا القديس بيوس الخامس في عام 1567 تسعًا وسبعين قضيّة مأخوذة من كتب بايوس (1001D_1080).

ب) **جنسانيوس** (†1638) جاء تعليمه نتيجة منطقية لتعليم بايوس. فهو يقول بأن الارادة البشرية، على أثر الخطيئة الأصلية، ليست بحرة ولا بقادرة على عمل الخير. وأعمال الانسان كلها تتأنى إما عن لذة أرضية مصدرها االشهوة، وإما عن لذة سماوية مصدرها النعمة، وكلتاهما تضغطان على الارادة وتكرهانها، بسبب فقدها حريتها، على اتباع أقواهما، فيأتي الفعل البشري صالحًا أو طالحًا حسبما تصدره لذة الأرض أو لذه السماء. فإن كان النصر للذة السماوية دعيت نعمة فعّالة لا تقاوم، وإلا دعيت نعمة صغيرة أو نعمة كافية. وقد أدان البابا اينوشنسيوس العاشر عام 1653 قضايا خمسًا أخذت من مؤلفه الكبير الذي عنوانه Augustinus(1069_1092D).

ج) **كينل** (†1719) عمل على نشر آراء بايوس وجنسانيوس، ولا سيما عن نعمة المسيح قائلًا بأنها قسرية لا تقاوم. وقد أدى كليمندوس الحادي عشر عام 1713 في براءتهUnigenitus مائة قضية وقضية مأخوذة من مؤلفات كينل (1351D_1451).

5. الراسيونالسم الحديث

ينكر الراسيونالسم الحديث كل ما يفوق الطبيعة، وكذلك الخطيئة الأصلية. ولهذا فهو يمت إلى البيلاجية بصلة.

القسم الأول

النعمة الفعلية

الفصل الأول

طبيعة النعمة الفعلية

5. نعمة النور والقوة

1. مدلولها

النعمة الفعلية هي فعل من الله فائق الطبيعة وعابر يعمل في قوى النفس البشرية دافعًا إياها على القيام بفعل خلاصي. وهذه النعمة الفعلية، من حيث أنها عابرة، تتميّز عن النعمة الملكية والفضائل المفاضة التي تلتزم النفس على شكل صفات ثابتة؛ ومن حيث أنها **فائقة الطبيعة** وذات صلة **بأفعال الخلاص**، أي بالأفعال التي لها صلة وثقى بالغاية الأخيرة الفائقة الطبيعة، تتميّز عن المساعدة التي يقدمها الله لأفعال البشر الطبيعية. أما كلمة **"النعمة الفعلية"** فقد ظهرت في أواخر عهد المدرسة (كيريولوس Capreolus) ولم تنشر الا بعد المجمع التريدنتيني الذي لم يستعملها.

2. تحديد لها أدق

آ) تعليم الكنيسة

* **النعمة الفعلية تنير العقل وتقوّي الارادة في الباطن ومباشرة**. قضية أكيدة

أعلن مجمع أورانج الثاني (529) أن العبارة التالية هي بدعة: " يستطيع الانسان بقوة الطبيعة، ودونما تنوير ولا هداية من الروح القدس، أن يفكر أو يختار كما ينبغي ما يصلح للخلاص الأبدي، وأن ينقاد لإرشاد الانجيل" (180D) (انظر797D،104،1791). ينتج إذًا من ذلك ما تعلّمته الكنيسة من أن بحاجة غلى قوة فائقة الطبيعة. والمعونة الفائقة الطبيعة التي يقدّمها الله لعمل الخلاص تتناول قوى النفس كلها، قوى المعرفة وقوى الارادة، وتقوم بإنارة العقل من الداخل مباشرة، وتقوية الارادة من الداخل مباشرة.

يجب أن نُميّز بين إنارة العقل وتقوية الارادة اللتين تحدثان بصورة مباشرة داخلية وتتمان طبيعيًا عن طريق الوسائل الخارجية (النعم الخارجية) كالوحي والارشاد والقراءة، وبين تقوية الارادة التي تحدث بصورة غير مباشرة طبيعيًا عن طريق انارة العقل. فلا عمل للخلاص الا إذا تملكت النعمة كل قوى النفس من الداخل (فيزيقيًا) ومباشرة.

ت)البرهان المأخوذ من الكتاب و التقليد

على حقيقة وضرورة **انارة** العقل هذه الانارة الإلهية الباطنية المباشرة ليستطيع أن يأتي بأفعال خلاصية، تشهد من الكتاب المقدس الآيات التالية: 2كور5/3: " لا أنَّا فينا كفاءة لأن نفتكر فكرًا بأنفسنا كأنه من أنفسنا بل كفاءتنا من الله". ويقول القديس بولس ايضا بأننا عاجزون، بقوتنا الطبيعية على أن نفكر في شيء له صلة صميمة بخلاصنا الأبدي. فهو الله الذي ينير عقلنا ويجعلنا جديرين بالأفكار الفائقة الطبيعة. 1كور7/6/3: " أنا غرست وابلوس سقى، لكن الله هو الذي أنمى. فليس الغارس إذًا بشيء ولا الساقي بل المنمي و هو الله". فبهذه الصورة يدل الرسول على أن الوعظ الرسولي يبقى عقيمًا أن لم تقترن الانارة الخارجية التي يأتي بها الواعظ بالإنارة الباطنية التي يأتي بها الله من عنده (انظر أفسس17/1؛ أعمال16:14؛ يوحنا27/2).

لنا في الرسالة إلى أهل فيلبي شاهد على **تقوية** الارادة من الداخل:13/2: "ان الله هو الذي يعمل فيكم الارادة والعمل". وفي انجيل يوحنا كذلك:44/6: "ما من أحد يقدر إليَّ (أي أن يؤمن بي) ما لم يجتذبه الآب".

ومن بين الأباء يثبت **اوغسطينوس،** في محاربة للبيلاجين الذين ينكرون النعمة الباطنية، ضرورة النعمة الباطنية للعقل والارادة معًا (انظر في تفسيره لرسالة القديس يوحنا الأولى13/3؛ وفي كتابه عن نعمة المسيح27/26).

ث)السبب الأساسي

صميم بين الغاية الأخيرة والفائقة الطبيعة والافعال الخلاصية. فالوسائل إلى الغاية يجب أن تكون من نوع الغاية. لما كانت الغاية هي في جوهرها فائقة الطبيعة، وجب أن تكون الرسائل إليها، أي الأفعال الخلاصية التي تصدر عن قوى المعرفة والرادة، في جوهرها فائقة الطبيعة.

6. السابقة والنعمة التابعة

1. النعمة السابقة

- أن الله في قوى النفس عملًا فائق الطبيعة يسبق قرار الارادة الاختياري. من الايمان.

في هذه الحال يعمل الله وحده "فينا و بدوننا" (أي بمشاركتنا الاختيارية)، فيحملنا على أفعال من المعرفة والارادة تأتي عفو الخاطر، دون رويّة. هذه النعمة تسمّى النعمة التي تستدرك، وتسبق، وتثير، وتدعو، وتعمل.

وقد حدَّد المجمع التريدنتيني تعليم الكنيسة عن وجود النعمة السابقة وضرورتها للحصول على التبرير.797D: "أن مباشرة التبرير يجب أن تبدأ من النعمة السابقة التي يمنحنا اياها يسوع المسيح" (انظر.813D).

والكتاب المقدس يشير إلى عمل النعمة السابقة هذه بصورة الصديق الذي

يقرع الباب(رؤيا يوحنا20/3)، وبصورة الانسان الذي يجتذبه الآب (يوحنا44/6)، والذي يدعوه الله (ارميا23/17؛ المزمور8/94).

2. النعمة التابعة

أن الله في قوى النفس عملًا فائق الطبيعة يساير في الزمان عمل ارادة الانسان الحرة. من الايمان.

في هذه الحال يعمل الله والانسان معًا في الوقت عينه. فيعمل الله "فينا ومعنا" (انظر.182D) بحيث يأتي الفعل الخلاصي الفائق الطبيعة من عمل النعمة الالهية والارادة الحرة معًا. والنعمة التي تساند وتُصاحب عمل الارادة الحرّة تسمى النعمة **التابعة**(بالمقابلة مع مفعول النعمة السابقة)، النعمة المساعدة، النعمة المرافقة، النعمة المشاركة والمتعاونة.

تجد تعليم الكنيسة عن حقيقة النعمة التابعة وضرورتها في موسوم المجمع التريدنتيني في التبرير.797D: :يتأهب الخاطئ للتبرير بأن يقبل باختياره النعمة ويتعاون وإياها". .810D: "أن الله يحب البشر جميعًا حبًا يريد معه أن يرى في ما هو عطية منه (بسبب نعمته) استحقاقًا لهم (بسبب ارادتهم الحرة)" (انظر.141D).

و القديس بولس يصف ما تجلب نعمة الله إلى ارادة الانسان الحرة من العون في سبيل الخلاص.1كور10/15: "لكني بنعمة الله صرتُ على ما أنا عليه، ونعمته التي فيَّ لم تكن باطلة، بل تعبت أكثر من جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي".

والقديس اوغسطينوس يقول في مفعول كل من النعمة السابقة والنعمة التابعة: "كثير مما يعمله الله في الانسان من الخير يعمله فيه بدونه. لكن ما من خير يعمله الانسان إلا وقد عمل الله على أن يعلمه الانسان"(ضد رسالتين لبيلاجيوس21/9/2:.193D). "أن الله يعدّ الارادة للعمل ثم يكمل بمعونته ما بدأت بعمله. فالله يعمل أولًا على أن يريدَ الانسان، ثم يتعاون مع إرادته... فهو يعمل إذًا بدوننا على أن نُريد، حتى إذا ما أردنا ارادة تصميم وعمل، تعاون معنا. وبدون عمله الذي يحملنا على أن نريد ويتعاون به معنا عندما نريد لا نستطيع شيئًا مما يتعلق بالأعمال التقوية الصالحة" (في النعمة والارادة الحرة33/17). (انظر القديس غريغوريوس الكبير، في الآداب30/25/16).

7. جدل في ماهيَّة النعمة الفعليَّة

1. يجب اطراح رأي **كينل**(Paschase Quesnel) القائل بأن النعمة الفعلية والارادة الالهية القديرة شيء واحد. انظر القضيَّة المحرمة 19 القائلة: "أن نعمة الله ليست سوى ارادته القديرة"(.1369D، 1360). فالإرادة الالهية القديرة هي والكيان الالهي واحد، لكن النعمة الفعلية تتميّز عن الله من حيث أنها مفعول متناه لإرادته الخلاصية (نعمة مخلوقة). وقد أراد كينل برأيه هذا أن يثبت ما زعم من أن عمل النعمة لا يقاوّم.
2. ويقول **اتباع مولينا** بأن النعمة الفعلية تقوم، بحد ذاتها، في حقل حيوي عفوي من النفس، أي في فعل للعقل والارادة يبعثه الله في النفس مباشرة. ولإثبات ذلك يعمدون غلى ما ورد عنها في الكتاب والآباء وتحديدات الكنيسة من التعابير والألفاظ التي نصفها على أنها: فكر، صالح، معرفة أو علم، ارادة حسنة، رغبة مقدسة، شهوة الخير، لذة استمتاع إلخ. وكلها تشير إلى أعمال للنفس حيوية.
3. ويقول **التومايون** بأن النعمة هي هبة أو قوة فائقة الطبيعة سابقة لأفعال المعرفة والارادة الفائقة الطبيعة، ترفع قوى العقل والارادة بصورة عابرة إلى ما فوق الطبيعة مخوّلة إياها بذلك القدرةّ على أفعال من المعرفة والارادة فائقة الطبيعة. وهذه القوة الفائقة الطبيعة التي يعطيها اللهُ الانسانَ تنضمّ إلى قوى عقله وإرادته لتؤلف مبدأ وحيدًا منه يصدر الفعل الفائق الطبيعة. ولإثبات نظريتهم هذه يعمدون إلى أقوال للكتاب والآباء والمجامع تصف النعمة الفعلية على أنها دعوة، انارة، تنبيه، اجتذاب، اتصال بالله، وهي كلها تدل على عمل إلهي يسبق افعال النفس الحيوية ويحدثها.

هذه القوة الفائقة الطبيعة، التي ترفع قوى النفس بصورة عابرة إلى أن نعمل أعمالًا فائقة الطبيعة، يسميها التوماويون "صفة عابرة أو مارَّة" بخلاف النعمة المبررة التي يسمونها "صفة ثابتة". وليس في تعليم القديس توما(2/110/2/1) ما يحول دون هذه التسمية، وأن قال صريحًا بـأن النعمة الفعلية "ليست صفة بل حركة للنفس"، ولأنه بكلمة "صفة" يريد حصلة ثابتة، وبكلمة "حركة للنفس" يريد لا فعلًا لها حيويًا، بل حالة انتظار للحركة الصادرة من الله. ("فالله يحرك النفس على أن تعرف شيئا ما وتريده او تعمله").

والاعتراض الذي يقوم ضد رأي مولينا هو أن الأفعال الحيوية الفائقة الطبيعة تصدر من الله وقوى النفس الطبيعية معا، بينا النعمة يؤتيها الله وحده.

الفصل الثاني

ضرورة النعمة الفعلية

8. ضرورة النعمة لأجل الأفعال الفائقة الطبيعة

1. ضرورة النعمة لكل فعل خلاصي

- **أن نعمة الله الباطنية الفائقة الطبيعة هي ضرورة مطلقة لكل عمل خلاصي. من الإيمان.**

حدَّ مجمع أورانج الثاني (529) في القانون التاسع قائلًا: "كل مرة نأتي عملًا صالحًا، يعمل الله فينا ومعنا على أن نعمل" (.182D)، وفي القانون العشرين: "ما من خير يأتيه الانسان الا ويكون الله قد ساعده على عمله" (.193D؛ انظر180). وقد أثبت المجمع التريدنتيني هذا التعليم في موسومه عن التبرير، في القوانين1_3(.811D_813). ومن خصوم تعليم الكنيسة هذا البيلاجية والراسونالسم الحديث.

ويرينا المسيح، في مثل الكرمة والأغصان(يوحنا1/15 وما يلي)، ما تعمل نعمته في النفوس وما تنتج فيها من ثمار الحياة الأبدية، أي من الأعمال الخلاصية. 5/15: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان، من يثبت فيَّ وأنا فيه، فهو يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا". والفكرة نفسها يقول القديس بولس في الصورة التي رسمها عن اتحا الرأس والأعضاء(أفسس15/4 وما يلي؛ كولوسي19/2). وهو يعلن ضرورة عون النعمة الإلهية لكل فكر خلاصي(2كور5/3)، ولكل عزم جيد(روم16/9)، ولكل عمل صالح(فيلبي13/2؛1كور3/13). 1كور3/12: " لا يستطيع أحد أن يقول "يسوع رب" إلا بالروح القدس".

وقد أدرك الآباء ما في البيلاجية من بدعة مخالفة للإيمان التقليدي، فقال القديس اوغسطينوس يشرح آية يوحنا5/15: " ولكي لا يخطر ببال أن بإمكان الكرمة أن تحدث بذاتها ولو القليل من الثمر يقول يسوع لا أنكم لا تقدرون أن تعلموا الا القليل، بل أنكم

لا تقدرون أن تعلموا شيئًا. فالقليل والكثير عند الله سواء، وبدونه لا قليل ولا كثير" (في تفسير يوحنا3/81).

مطلق ضرورة النعمة هذا لكل عمل خلاصي ينتج، **نظريًا**، من الغاية الأخيرة التي هي بجوهرها فائقة الطبيعة، وبالتالي من الأفعال المؤدية إليها التي هي بجوهرها فائقة الطبيعة (انظر القديس توما2/1: 5/109).

2. ضرورة النعمة لأول الايمان والخلاص

- **أن نعمة الله الباطنية الفائقة الطبيعة هي ضرورية ضرورة مطلقة لأول الايمان والخلاص. من الايمان.**

أعلن المجمع أورانج الثاني (529) في القانون الخامس ضد البيلاجية المعدلة: "من قال أن بدء الايمان وعاطفة الايمان نفسها هما فينا لا بواسطة موهبة النعمة أي بإلهام من الروح القدس، بل على شكل طبيعي، فهو من أعداء العقائد الرسولية" (178D). والمجمع التريدنتيني يعلم كذلك أن أول التبرير هو نعمة الله السابقة (انظر.797D، 813).

ويعلّم الكتاب المقدس أن الايمان. الذي هو الشرط الأساسي للتبرير، هو عطية من الله. أفسس9/8/2" أنكم بالنعمة مخلصون، بواسطة الايمان، وذلك ليس منكم، انما هو عطية الله، وليس من الأعمال، لئلا يفتخر أحد". يوحنا44/6: "ما من أحد يقدر أن يُقبل إليَّ (=أن يؤمن بي)، ما لم يجتذبه الآب الذي أرسلني". وفي الرسالة الى العبرانين2/12 أن المسيح هو" مُبدئ الايمان ومتممه" (انظر فيلبي6/1؛ 29/1؛ 1كور7/4).

أما البيلاجية المعدَّلة فتعتمد على النصوص الكتابية التالية: زكريا3/1: "توبوا إليَّ فأتوب عليكم"؛ أمثال17/8: "أنا احب الذين يحبونني"؛ متى7/7: "اسألوا فتعطوا، اطلبوا فتجدوا"؛ أعمال16،31: "آمن بالرب يسوع فتخلص"؛ أفسس14/5: "استيقظ...فيضئ لك المسيح". ألا أن هذه النصوص يجب وضعها موضعها من تعليم الكتاب المقدس العام القائل بأن الانسان الذي يتوب غلى الله إنما يتوب بعمل النعمة الفعلية. والنعمة لا تنفي الارادة الحرة. وتوبة الله على الانسان لا تعني أن يمنحه النعمة الأولى فقط بل أيضًا نعمًا عديدة بعدها.

والقديس اوغسطينوس في كتابه "عن نعمة الثبات" (50/48/19) يورد، برهانا على هذا التعليم، شهادات من القديس قبريانوس والقديس امبروسيوس والقديس غريغوريوس،

النزينزي، ويستشهد بصلاة الكنيسة لأجل اهتداء غير المؤمنين: "لو كان الاهتداء عمل الارادة الحرة وحدها، لا عطية الله، لما صلينا هذه الصلاة ليؤمن من لا يريد أن يؤمن" (في النعمة والارادةالحرة29/14). وكان القديس اوغسطينوس، في كتب له سابقة وقيل أن يرتقي إلى الأسقفية، قد اعتنق الضلال القائل بأن الايمان هو عمل الانسان وحده لا هبة من الله، وكان للآية7/4 من الرسالة الأولى إلى القورنتيين "أي شيء لك لم تنله" الفضل الأكبر عليه إذا أردته أن النعمة هي هبة من الله (في كتابه عن اختيار المختارين7/3).

أقوال عديدة للآباء الذين سبقوا القديس أوغسطينوس تحمل على المعنى البيلاجي المعدل. علينا أن نفهمها على ضوء الصراع الذي قام بينهم وبين القدرية الوثنية والمانوية، وكلا التعليمين منكر للإرادة الحرة. والقديس يوحنا فم الذهب، الذي أكثر ما تستشهد البيلاجية المعدلة بأقواله، يعلن معلقا على عبر2/12: "هو الذي زرع فينا الايمان، وهو الذي أعطى الابتداء" (في تفسيره للرسالة غلى العبرانيين، العظة2/28).

تقتضي مجانية النعمة هذه بأن يكون أيضا أول الايمان والخلاص من عمل الله. فأول حكم نحكم به أن الوحي حقيق بالإيمان، وأول ما نأخذ به من الاستعداد للإيمان، يجب ان يصدر مباشرة من نعمة العقل وتقوية الإرادة.

3. ضرورة النعمة الفعلية للإنسان المبرَّر ليقوم بها بالأعمال الخلاصية

- **إن المبرَّر أيضًا بحاجة إلى النعمة الفعلية ليقوم بأعمال خلاصية**. قضية عامة.

لما كانت حالة النعمة المبررة قد رفعت قوى النفس بصورة ثابتة إلى ما فوق الطبيعة، كان على النعمة الفعلية أن تعمل في الانسان المبرَّر لا كنعمة رافعة، بل كنعمة **منبّهة ومعاونة** بنقلها قوى النفس المبررة من القدرة إلى الفعل ومعاونتها على تتميم هذا الفعل، وكنعمة شافية بشفائها النفس من الجراح التي تركتها الخطيئة.

ليس من قرار أكيد صادر من السلطة الكنسية التعليمية عن ضرورة هذه النعمة. إلا أن تحديدات مجمع أورانج الثاني ومجمع ترانت تتكلَّم عن مفعول نعمة الله أو نعمة المسيح في أعمال البار الصالحة دون مع ذلك أن تميّز صراحة بين النعمة الفعلية والنعمة المبررة. .809D: "هو يسوع المسيح نفسه يفيض قوتّه دون انقطاع في المتبررين. هذه القوة تسبق دائمًا الأعمال الصالحة وتصاحبها وتتبعها"(انظر.182D). ومن سنَّة الكنيسة أن يصلّي الأبرار أيضًا ليستمدّوا من الله عونه في كل عمل صالح.

وكلمة المسيح "بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا" (يوحنا5/15) دليل

على أن الأبرار أيضًا بحاجة إلى معونة النعمة الفعلية ليأتوا بأفعال خلاصية. ويقول القديس بولس بأن الله يبدأ وينهي أعمال البارّين الخلاصية. فيلبي13/12: "أن الله هو الذي يعمل فيكم الارادة والعمل". 2تسالونيكي17/2: "وربنا يعزي قلوبكم ويثبّتها كل عمل وكلام صالح". عبرانيين21/13: "وإله السلام يكملكم في عمل صالح حتى تعملوا بمشيئته".

والقديس **اوغسطينوس** يمدد ضرورة النعمة الفعلية هذه إلى الأبرار أيضًا: "كما أن عين الجسد لا تستطيع، وأن كانت صحيحة سليمة، أن تنظر بدون مساعدة النور، كذلك البار لا يستطيع أن يعيش بارًا بدون مساعدة نور البرّ الأبدي"(في الطبيعة والنعمة 29/16).

ضرورة النعمة الفعلية لأعمال البارّين هي، **نظريًا**، نتيجة لحاجة كل خليقة، بسبب ارتباطها الكلي الخالق، إلى معونة فعلية من لدن الله (النعمة المنبهة والمساعدة) تحرّك قواها الحالية. ولما كانت نتائج الخطيئة الأصلية لا تزال عالقة في الانسان، فهو بحاجة إلى نعمة خاصة تشدّد من ضعفه . الأدنى (النعمة الشافية).

4. ضرورة نعمة الثبات

لا يستطيع الانسان المبّرر، بدون خاص من الله، أن يثبت حتى النهاية في البرارة التي اقتبلها. من الإيمان.

أن مجمع اورانج الثاني يعلّم، ضد البيلاجية المعدَّلة، أن المبرّرين بحاجة هم أيضًا إلى أن يطلبوا دائمًا مساعدة الله لكي يصلوا غلى آخرة صالحة ويثبتوا في الأعمال الحسنة (.183D) . والمجمع التريدنتيني يسمّى هذا الثبات إلى النهاية "عطية كبرى" (.826D)، ويعلّم أن الانسان المبرَّر لا يستطيع أن يثبت في البرارة التي اقتبلها دون عون خاص من الله: "أن قال قائل بأن الانسان المبرَّر يستطيع أن يثبت في البرارة التي اقتبلها بدون عون خاص من الله، أو أنه لا يستطيع أن يثبت فيها مع هذا العون، فليكن محرومًا". (.823D). وهذا العون الخاص الضروري للثبات إلى النهاية يقوم بمجموع نعم خارجية وباطنية (فعلية).

نميز

آ) بين الثبات **المؤقت** أو الناقص وهو الثبات المحدودة مدته، والثبات النهائي أو الكامل وهو الثبات حتى آخر الحياة.

ب) بين الثبات النهائي والسلبي الذي فيه يتفق وقوع الموت وحالة النعمة، والثبات (النهائي) **الايجابي** الذي هو تعاون المبرر المستمر مع النعمة. فثبات الطفل قبل سن الرشد هو ثبات محض سلبي، بينا ثبات البالغين هو بوجه عام ثبات سلبي وايجابي معًا.

ج) بين **المقدرة** على الثبات والثبات **الفعلي**. وبينا المقدرة على الثبات تعطي المبررين كلهم بسبب إرادة الله في خلاص البشر جميعا، لا يعطي الثبات الفعلي إلا المختارين.

الكتاب المقدس ينسب إلى الله نهاية عمل الخلاص. فليبي6/1: "أن الذي ابتدأ فيكم العمل الصالح يتممه إلى يوم المسيح يسوع" (انظر فليبي13/2؛ 1بطرس10/5)، ويلحّ بضرورة الصلاة الدائمة لمجابهة الأخطار التي يتعرض لها الخلاص (لوقا1/18: "ينبغي أن يصلّوا كل حين ولا يملّوا"؛ 1تسالونيكي17/5: "لا تزالوا مصلّين")، كما يشدّد في ضرورة التعاون مع نعمة الله تعاونًا مخلصًا (متى41/26: " اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة"؛ انظر لوقا36/21).

وضع القديس **اوغسطينوس** في أواخر حياته كتابا ضد البيلاجية المعدَّلة بعنوان "نعمة الثبات" يستشهد فيه بسنّة الكنيسة: "لماذا نسأل الله الثبات اذا لم يكن الله معطي الثبات؟ ألا تكون صلاتنا سخريةً اذا طلبنا فيها من الله ما لا يعطيه الله، وما هو في مقدور الانسان؟" (3/2).

هذا الثبات حتى النهاية أن لم يكن بالمستطاع استحقاقه استحقاقًا كنعمة، فمن المستطاع طلبه طلبًا مستجابًا بصلاة مستمرة نقوم بها في حالة النعمة(نعمة الثبات10/6). ويقينا هذا استجابة طلبنا إنما يقوم على وعد المسيح(يوحنا23/16). ولما كان الانسان معرضًا دائمًا للسقوط ما لم يثبت نهائيًا في البر، فلا سبيل للمرء إلى أن يعرف معرفةً أكيدة، إلا بوحي خاص، أنه سوف يثبت حتى النهاية (انظر.826D) (فيلبي12/2؛ 1كور12/10).

والسبب الجوهري لضرورة نعمة الثبات يعود إلى أن الارادة البشرية لا تستطيع بقوتها الذاتية، من جراء تمرد الجسد الدائم على الروح، أن تثبت، دون تقلب، في الخير(الثبات الفعلي)، كما وأن الانسان لا يستطيع أن يوافق فيما بين ساعة الموت وحالة النعمة (الثبات السلبي) (انظر القديس توما10/109/2/1).

5. ضرورة نعمة خاصة لتجنب جميع الخطايا العرضية تجنبًا دائمًا

- **لا يستطيع الانسان المبرَّر، الا بامتياز خاص من النعمة الالهية، أن يتجنب، مدى الحياة، كل الخطايا، حتى العرضية**. من الايمان.

حدد المجمع التريدنتيني، ضد البيلاجيين الذين يقولون بأن الانسان قادر

بقواه الطبيعية الذاتية بل على أن يتجنَّب كل الخطايا مدى حياته، أنه يجب لذلك امتياز خاص من النعمة الالهية: "من قال ان الانسان يستطيع، مذ يتبرَّر، أن يتجنَّب حياته كلها جميع الخطايا حتى العرضية، بدون امتياز خاص كالذي تعترف به الكنيسة لمريم العذراء، فليكن محرومًا"(.833D؛ انظر.1/7D، 804).

ينبغي، لإدراك فحوى هذه العقيدة، أن ننتبه انتباهًا خاصًا إلى الملاحظات التالية: يجب أن نفهم بكلمة **الخطايا العرضية** الخطايا **نصف الاختيارية**، وبكلمة جميع الخطايا نتحاشى بالمعنى الاجمالي لا بالمعنى الافرادي. أي أننا نستطيع بمعونة النعمة العادية أن نتحاشى هذه أو تلك من الخطايا العرضية بمفردها لا كلها جملةً. وكلمة مدى الحياة تعني متسعًا من الوقت كبيرًا. وكلمة **لا يستطيع** تعني عجزًا أدبيًا. وكلمة **امتياز خاص** تعني مجموع نعم فعلية هو، في نظام النعمة العادية، استثناء نادر الوقوع جدًا.

ما من أحد هو، بحسب الكتاب المقدس، في منعة من كل خطيئة. فيقول القديس يعقوب في: 2/2 من رسالته: "اننا جميعًا نزل كثيرًا". وقد علَّم السيد المسيح جميع الناس حتى الأبرار أن يقولوا في صلاتهم: "اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا" (متى12/6). وقد نبذ مجمع قرطاجة (418) تفسير البيلاجيين القائل بأن القديسين يطلبون الغفران لا لهم بلا لغيرهم، أو بأنهم يطلبون الغفران تواضعًا منهم لا عن حق (.107D؛ انظر804).

والقديس **اوغسطينوس** يردّ على البيلاجيين بقوله: "لو أمكن أن نجمع كل القديسين الذين على الأرض لنسألهم هل هم خالون من الخطيئة لأجابوا جميعًا بلسان القديس يوحنا الرسول (1يوحنا8/1) : أن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإننا نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (الطبيعة والنعمة 42/36).

والسبب الأساسي لذلك هو ضعف الارادة الساقطة إزاء كل الحركات المنحرفة التي في الانسان، كما وحكمة تدبير العناية الإلهية التي تسمح بأن يقع البار في الهفوات الطفيفة حفظًا له في التواضع وفي الشعور بخضوعه التام لله (انظر القديس توما2/1: 8/109).

9. مجال عمل الطبيعة البشريَّة وحدود مقدرتها بدون النعمة

يقف التعليم الكاثوليكي من النعمة موقفًا وسطًا بين طرفَيْ نقيض. فيقول، ضد الطبيعة البيلاجية والراسيونالية الحديثة بمطلق ضرورة **النعمة التي ترفع** وبأدبية ضرورة **النعمة التي تشفي**. ويقول، ضد البروتستان وأتباع بايوس وجانسينيوس غلاة ما فوق الطبيعة، بمقدرة الطبيعة البشرية على العمل بقوتها الذاتية في المجال الأدبي والديني. ولذلك فهو يميّز بوضوح ضد هاتين النزعتَين المتطرفتين، بين نظام طبيعي ونظام فائق الطبيعة، بين دين وأدب طبيعيين ودين وادب فائقي الطبيعة.

1. قدرة الطبيعة وحدها

آ) * يستطيع الانسان، حتى في حال الطبيعة الساقطة، أن يعرف، بواسطة ما له من القدرة على المعرفة، حقائق دينية وأدبية. من الايمان.

وسبب هذه القدرة أن قوى الانسان الطبيعية لم تتلاش بالخطيئة الاصلية، وإنما ضعفت بفقدها المواهب غير الطبيعية (انظر.788D، 793، 815).

لقد أدان البابا اكليمنضوس الحادي عشر عبارة جانسينيوس القائلة بأننا، بدون الايمان، وبدون المسيح، وبدون المحبة، لسنا سوى ظلام وضلال وخطيئة (.1398D؛ انظر 1391). والمجمع الفاتيكاني الأول حدَّد، كعقيدة، امكان معرفةً الله معرفة طبيعية واضحة يشهد بها سفر الحكمة 1/13 وما يلي، والرسالة إلى الرومانيين 20/1(.1785D، 1806؛ انظر 2145) (امكان اقامة البرهان على وجود الله)؛ وكذلك امكان معرفة الشريعة الأدبية معرفةً طبيعية تشهد بها الرسالة إلى الرومانيين 15/14/2. وأن المدينة الرفيعة من بعض الوجوه التي توصَّلت اليها الأمم الوثنية لتشهد على ما هو عليه العقل البشري الطبيعي من القدرة والكفاءة (انظر الكتاب الأول القسم الأول $2/1).

ب) * **ليست النعمة بضرورية لإتمام عمل صالح أدبيًا**. من الايمان.

يستطيع **الخاطئ** بدون النعمة المبررة أن يأتي أعمالًا صالحة أدبيًا، كما ويستطيع مع النعمة الفعلية أن يأتي أعمالًا فائقة الطبيعة (لكن غير استحقاقية)، وبهذه الأعمال يتأهب للبرارة. وعليه فأعمال الانسان في حالة الخطيئة المميتة ليست كلها خطايا. وقد حدَّد المجمع التريدنتيني معلنًا: "" من قال أن الأعمال

التي تمَّت قبل التبرير هي كلها، أيًّا كانت ، خطايا حقيقة أو تستحق غضب الله، فليكن حرو ًا" (.817D؛ انظر 1035، 1040، 1399).

والكتاب المقدس يحضّ الخطأة على الاستعداد للتبرير بأعمال التوبة. حزقيال30/18: "توبوا واستتيبوا بحسب جميع معاصيكم" (انظر زكريا3/1؛ المزمور19/50؛ تي2/3). وليس من المعقول أن تكون الأعمال، التي يحضّ الله عليها ويستعدّ الخاطئ بها للتبرير، أعمال اثم وخطيئة. ولو كانت الأعمال التي تمَّت بدون النعمة المبررة هي كلها خطايا لما كان لأعمال التكفير ونظام الموعوظين في الكنيسة من معنى. وعبارة تي18/7: "لا تستطيع شجرة فاسدة أن تثمر ثمرًا جيدًا" لا تنكر على الخاطئ امكانه للعمل الصالح أكثر مما تنكر العبارة المقابلة على البار امكانه لعمل الخطيئة: "ولا تستطيع شجرة صالحة أن تثمر ثمرًا رديئًا".

والقديس **أوغسطينوس** يعلّم أن حياة شرّ الناس لا تخلو من بعض أعمال صالحة (في كتابه عن الروح والحرف48/28). وأما عبارته التي يستشهد بها اباع جانسينيوس: "حيث لا تسود محبة الله تسود الشهوة اللحمية" فلا تعني ان كل عمل يأتيه الخاطئ هو خطيئة، إنما تصف الحياة الأدبية وما يتنازعها من نزعتين تسود في أحدهما رغبة الخير (محبة الله بمعناها الواسع)، وتسود في الأخرى الرغبات المنحرفة (محبة الذات والعالم). انظر تي24/6: "لا يستطيع أحد أن يعبد ربين"، ولوقا23/11: "من ليس معي فهو عليَّ". في معنى كلمة "محبة" انظر القديس اوغسطينوس، في الثالوث 14/10/8: المحبة= محبة الخير؛ وفي كتابه نعمة المسيح 22/21: المحبة= الارادة الحسنة؛ وفي كتابه ضد رسالتَين لبيلاجيوس 21/9/2: المحبة= شهوة الخير.

ج)* **ليست نعمة الايمان بضرورية لاتمام عمل صالح أدبيًا.** قضية أكيدة.

باستطاعة **غير المؤمن** أن يعمل أعمالًا أدبية صالحة. وعليه فليست أعماله كلها خطايا. وقد أدان القديس بايوس التالية: "أن أعمال غير المؤمنين كلها خطايا، وفضائل الفلاسفة رذائل" (.1025D؛ انظر1298). والكتاب المقدس يعترف أيضًا للوثنيين بالقدرة على الايان بأعمال صالحة (انظر دانيال4/24؛ وتي47/5). وتقول الرسالة إلى الرومانيين 14/2 بأن للوثنيين القدرة الطبيعية على حفظ وصايا الشريعةة الأدبية: "والأمم الذين ليس

عندهم الناموس، اذا علموا بالطبيعة بما هو في الناموس، فهؤلاء وأن لم يكن عندهم الناموس فهم ناموس لأنفسهم". والقديس بولس يقصد بكلامه هذا وثنيين حقيقيين لا وثنيين_ مسيحيين، كما زعم بايوس .1022D) . أما العبارة في الرسالة إلى الرومانيين23/14: "كل ما ليس من الاعتقاد فهو خطيئة" فهي لا تعود إلى الايمان المسيحي كايمان، بل إلى الوجدان والضمير.

يعلن الآباء بدون تحفظ أن الوثنيين قادرون على الأعمال الصالحة. فالقديس **اوغسطينوس** يمدح في صديقه البيبوس، ولمَّا يصر مسيحيًا، عفته ونزاهته واستقامته (اعترافات10/7/6)، كما ويمدح الفضائل الوطنية لدامى الرومان (رسالة17/3/138). وقد نقع عند القديس اوغسطينوس على أقوال نجد لبايوس أمثالًا لها تكاد تكون بحرفها، تبدو فيها حسنات الوثنيين وفضائلهم خطايا وقبائح (انظر في الروح والحرف5/3). وهذا الاتفاق سببه الحرب التي شنّها على الطبيعية البيلاجية فحدته على أن لا يرى من خير حقيقي ومن فضيلة صادقة الا في ما يمتّ إلى غاية الانسان الفائقة الطبيعية بصلة (انظر القديس اوغسطينوس ضد بوليانوس17/3/4، 21، 25).

د)* **ليست النعمة الفعلية بضرورية لاتمام عمل صالح أدبيًا**. قضية أكيدة.

باستطاعة الانسان الساقط، بدون معونة النعمة الالهية، وبقواه الطبيعية وحدها، أن يأتي أعمالًا صالحة أدبيًا. ليست اذًا بخطايا كل الأعمال التي تمَّت بدون النعمة الفعلية. وقد أدان البابا القديس بيوس الخامس عبارة بايوس التالية: "ليست الارادة الحرة جديرة، بدون معونة النعمة الالهية، سوى بالخطيئة" (.1027D؛ انظر1037، 1389).

لا تسمح أقوال الكتاب المقدس والآباء الأقدمين باثبات ضرورة النعمة الفعلية لكل الأعمال الأدبية الصالحة. وقد استشهد أعداء هذا التعليم بالقديس **اوغسطينوس** على غير صواب. فهو إذ يعلن تكرارًا أن عملًا صالحًا واحدًا لا يخلو من خطيئة انما يحمل كلمة "خطيئة" على المعنى الواسع، فيقصد بها كل ما لايمتّ إلى غاية لانسان الفائقة الطبيعة بصلة. وبهذا المعنى أيضا يجب أن نفهم القانون 22 من مجمع أورانج الثاني: "ليس لأحد من نفسه سوى النفاق والخطيئة" (.195D= القديس اوغسطينوس في تفسيره ليوحنا 1/5).

2. حدود المقدرة الطبيعية

آ) * في حالة الطبيعة يعجز الانسان عجزًا أدبيًا، إلا بوحي الهي، عن معرفة الحقائق الدينية والأدبية بسهولة ويقين معرفة لا يثوبها ضلال. من الايمان.

أعلن المجمع الفاتيكاني الأول، مع القديس توما(1/1/1): "لأن يستطيع جميع البشر، في حالة الانسان الحاضرة، أن يعرفوا، بسهولة ويقين راهن وبدون شائبة من ضلال، ما ليس بممتنع على العقل البشري من الاشياء الإلهية، فذلك يعود فضله إلى الوحي الإلهي".

أما السبب الذي لأجله لم يتوصل الا القليل من الناس إلى معرفة الله والناموس الأدبي الطبيعي معرفة تامة فهو "جرح الجهل"، أي الضعف الذي أحدثته الخطيئة الأصلية في قوى المعرفة.

ت)* **في حالة الطبيعة الساقطة يعجز الانسان عجزا أدبيا، ما لم تسفعه النعمة الشافية، أن يحفظ بدون انقطاع كل الشريعة الأ بية، ويتغلب على كل التجارب الخطيرة.** قضية أكيدة.

لئن كان الانسان المتبرر بحاجة، على قول المجمع التريدنتيني، "إلى عون من الله الخاص"، أي إلى مساعدة النعمة الفعلية، ليتجنَّب بدون انقطاع كل الخطايا الثقيلة، ويحافظ بالتالي على حالة النعمة(.D 806، 832). فما أحرى الانسان غير المتبرر بأن يحتاج إلى النعمة الفعلية ليتجنب وقتًا طويلًا كل الخطايا الثقيلة، وإن كانت له المقدرة، بسبب حريته الطبيعية، على تجنب كل خطيئة بمفردها، حفظ كل وصية على حدة.

والقديس بولس يصف في رسالته إلى أهل روما25/14/7 ما أحدثته الشهوة في الانسان الساقط من الضعف تجاه مهاجمة التجارب، ليخلص بعد□لك إلى القول بضرورة النعمة الالهية للتغلب عليها.

الفصل الثالث

توزيع النعمة الفعلية

10. حريَّة الله في توزيع النعمة، أو مجانية النعمة

1. * **لا يمكن بواسطة الأعمال الطبيعية استحقاق النعمة لا من باب العدل ولا باب اللياقة**. من الايمان.

يعلّم مجمع أورانج الثاني، ضد البيلاجية بفرعيها، "أن النعمة لا يسبقها استحقاق البتة" (.191D). ويقول مجمع ترانت بأن تبرير البالغين متأتٍ عن النعمة السابقة، أي عن دعوة من الله "بها يدعوهم دونما سابق استحقاقهم منهم" (.797D). والقديس بولس يثبت في برسالته إلى الرومانيين بأن التبرير لا يُنال لا بأعمال الناموس الموسوي ولا يحفظ الشريعة الطبيعية، وإنما المحبة الإلهية تعطيه بالمجان: "يبررون مجانًا بنعمته"(24/3)، انظر رومانيين9/3_ 23؛ 16/9. ففكرة النعمة وفكرة الاستحقاق هما فكرتان متنافيان. رومانيين6/11: "أن كان ذلك بالنعمة فليس من الأعمال، وإلاّ فليست النعمة نعمة بعد" (انظر أفسس8/2 ومايلي؛ 2 تيمو1/9؛ تيطس3/4/5؛ 1كور7/4).

والقديس **اوغسطينوس** هو، في الآباء، أكثر مَن دافع، ضد البيلاجيين، عن مجانية النعمة. انظر في شرحه للمزمور30، عظة6/1: "لماذا تسمى نعمة؟ لأنها تُعطي بالمجان؟ لأن استحقاقاتك لم تسبقها". وفي تفسيره ليوحنا2/86: "لا نعمة حيث يسبق استحقاق. فهي نعمة، وبالتالي لم تسبقها الاستحقاقات، وانما هي التي بعثت الاستحقاقات".

ويقوم عدم امكان استحقاق للنعمة، **نظريًا**، على عدم وجود نسبة داخلية بين الطبيعة والنعمة، وعلى امكان استحقاق مبدأ الاستحقاق الفائق الطبيعة (النعمة): "فمبدأ الاستحقاق نفسه" (انظر القديس توما5/114/2/1).

2. **لا سبيل إلى النعمة بصلوات طبيعية**. قضية أكيدة.

يعلم مجمع اورانج الثاني، ضد البيلاجية المعدَّلة، أن النعمة لا تعطي على أثر صلاة بشرية طبيعية، بل بالعكس هي التي تجعلنا أن نصلي إلى الله (.176D).

ويقول القديس بولس بأن الصلاة الحقيقة هي من ثمار نعمة الروح القدس. رومانيين26/8: "كذلك روح أيضًا يعضد ضعفنا، فإننا لا نعلم ماذا نصلي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا توصف". 1كور3/12: "لا يستطيع أحد أن يقول: يسوع رب، إلا بالروح القدس".

والقديس اوغسطينوس يقول الصلاة المفيدة للخلاص إنما هي من مفاعيل النعمة الإلهية. ويعلق على ورد في الرسالة إلى الرومانيين15/8 بقوله: نحن نعلم أن الصلاة إلى الله بقلب سليم وبالروح إنما هي عطية من الله. وأنهم لعلى ضلال، ويجب أن يكونوا

بضلالهم عالمين، أولئك الذين يزعمون بأنه يتوقف علينا، لا على هبة نعطاها، أن نصلي ونسعى ونقرع" (في عطية الثبات64/23).

وكما أن المبادرة في عمل الخلاص تتعلق بالله، كذلك الصلاة المفيدة للخلاص تتعلق سابقة منه.

3. **لا سبيل للانسان اكتساب مؤهلات طبيعية ايجابية للنعمة**. قضية أكيدة.

أن كلمة "مؤهلات" تعني الكفاءة على اقتبال شكل أو تكييف. وبينا المؤهلات **السلبية** تنفي عن الشخص ما يحول دون اقتباله الشكل أو الصورة، فإن الموهلات **الايجابية** تعد الشخص لاقتبال الشكل إعداداً يجعله كفوءاً له، يجعل الشكل المعين تكملة طبيعية له. ويجب أن نميز بين المؤهلات الايجابية للنعمة وبين ما يسمى **بالقدرة الطوعية** على النعمة، أي بالامكان السلبي الذي في نفس الانسان الروحية على قبول النعمة. فلا سبيل للمؤهلات الطبيعية إلى النعمة، لأنه ليس من نسبة داخلية بين الطبيعة والنعمة.

يعلّم مجمع أورانج الثاني أن رغبة التطهر من الخطيئة لا تنشأ عن ارادة الانسان الطبيعية، بل عن نعمة سابقة من الروح القدس(.177D؛ انظر179).

والكتاب المقدس ينسب بدء الخلاص، والخلاص كله، إلى النعمة الإلهية (انظر يوحنا44؛5/15 ؛1كور7/4؛ أفسس8/2).

لقد قال القديس **اوغسطينوس**، في كتبه الأولى، بمؤهلات طبيعية ايجابية للنعمة (انظر في أسئلة مختلفة83، سؤال68 عدد4: "يسبق في الخاطئ ما يجعله أهلًا لأن يتبرّر، وأن لم يكن بعد قد تبرّر"، ويقول في محل آخر "باستحقاقات سرية جدًا". إلا أنه في كتبه الأحدث عهدًا، ولا سيما في "أسئلة إلى سمبليشيانوس" ينفي بحزم كل وجود للمؤهلات الطبيعية الايجابية للنعمة، ويدافع عن مطلق مجانيتها (انظر عطية الثبات55/21). وأكثر ما يستشهد به من الكتاب المقدس نصّ لسفر الأمثال(35/8) يورده في ترجمته اللاتينية القديمة التي ترتقي إلى الترجمة السبعينة: "هو الله يعدّ الإرادة" ("نال مرضاةٌ من الرب").

وفي **القديس توما** أيضًا على تطور في التعليم. فبينا هو في مؤلفاته الأولى يقول، مع علماء اللاهوت الأقدمين، بنعمة بأن الانسان يستطيع، بإرادته الحرة وحدها وبدون نعمة باطنية، اكتساب مؤهلات ايجابية للنعمة المبررة، إذا به في مؤلفاته التابعة يقتضي، استعدادًا لقبول النعمة المبررة، معونة إلهية، هي النعمة الفعلية، تحرّك النفس في الصميم (انظر القديس توما6/109/2/1؛ 2/112؛ أسئلة مختلفة7/1).

ملحق: المبدأ المدرسي "من يعمل ما بوسعه لا يضنّ الله عليه بالنعمة"

آ) شروح محتملة

1ً يشرح **القديس توما** هذا المبدأ (الذي ظهر لأول مرة في القرن الثاني عشر منسوبًا إلى طرس ايلارد) في كتبه الأقرب عهدًا التي يجب نعتبرها الصورة النهائية لتعليمه، معنى التعاون مع النعمة، فيقول أن الله لا يضمن نعمة **جديدة** على الذي يعمل مساعدة النعمة ما يستطيع (انظر القديس توما6/109:2/1 على الثاني؛ 3/112 على الأول؛ في تفسيره للرسالة إلى الرومانيين10/1 قراءة3).

2ُ يمكن حمل هذا المبدأ، مع الكثيرين من **اتباع مولينا**، على معنى مؤهلات **طبيعية سلبية** تقوم تحاشي الخطيئة. هنا يجب التنبيه إلى أن الصلة فيما بين هذه المؤهلات السلبية ومنح النعمة هي صلة واقعية لا سببية، تعتمد على إرادة الله في خلاص البشر عامة. فالله يعطي نعمته لا بسبب أن الانسان قد تحاشى الخطيئة، بل لأنه يريد جادًا خلاص البشر أجمعين.

ت) شروح غير وافية

1ً شرح **للبيلاجية المعدَّلة** يقول أن جهود الانسان الطبيعية، ما لها من القيمة الباطنية، تخلق حق لياقة في منح النعمة. هذا الشرح يقرب من شرح المدرسين القدامى ومن شرح القديس توما في شبابه.

2ً شرح **للإسميين** يحمل أيضا هذا المبدأ على معنى جهود الانسان الأدية الطبيعية، ليستنتج من ذلك الحق في النعمة من باب اللياقة. إلا أنهم يعلقون منح النعمة لا على قيمة هذه الجهود الباطنية بل على **قبول الله الخارجي** لهذه الجهود. فالله إنما يعطي نعمته من يعمل ما وسعه لأنه وعدها القديس متى: "سالوا فتعطوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم". _ إلا أن الكتاب المقدس يقول أن الخلاص هو من الله لا من الانسان. والتالي يجب أن نفهم أن ما ذكره الانجيل من أفعال إنما تعود لا إلى جهود أدية طبيعية بل إلى تعاون مع النعمة.

أخذ لويتر في أول الأمر شرح الإسميين، ثم حاربه على أنه يتسم البيلاجية.

11. تعميم النعمة

ولئن كانت النعمة هبةً حرة من محبة الله ورحمته اللامتناهية، فالله يوزعها على الناس أجمعين بمقتضى ارادته التي تريد الخلاص العام. ولكن لما كان من الناس من لا يبلغون الخلاص الأبدي وجب أن يكون هناك ارادتان أو قراران الهيان في شأن خلاص البشر:

أ) ارادة الخلاص **العامة** التي تريد، بدون أن تحسب حسابًا لما تنتهي بكل انسان حياته الأدبية، خلاص الجميع، على شرط أن يغادروا هذه الحياة وهم بحالة النعمة (الارادة السابقة والشرطية).

ب) ارادة الخلاص الخاصة، التي تحسب حسابًا لما تنتهي بكل انسان حياته الأدبية، فتريد، بدون شرط خلاص كل الذين يغادرون هذه الحياة وهم بحالة النعمة (الارادة **التابعة والمطلقة**). وهذه الارادة تسمى الانتخاب؛ وهي عندما يكون موضوعها حرمان النعيم الأبدي تسمى الرذل (انظر القديس يوحنا فم الذهب، الايمان المستقيم29/2).

1. ارادة الله الخلاصية العامة في ذاتها

- **أما وقد وقعت الزلة والخطيئة الأصلية، فإن الله يريد ارادةً حقيقية صادقة خلاص كل البشر.** قضية قريبة من الايمان.

فالله يريد لا بخلاص المختارين وحسب، بل على الأقل كل المؤمنين. تلك هي عقيدة من الايمان.

ان قصر ارادة الله الخلاصية على المختارين، وهو ما يقول به اتباع جنسانيوس وكلفينوس، قد رذلته الكنيسة على أنه بدعه (انظر.318D، 827، 1096). فإرادة الله على الخلاصية تشمل الأقل كل المؤمنين، وهذا ما يقول به قانون ايمان الكنيسة الرسمي بلسان المؤمنين: "ومن أجل خلاصنا نحن البشر نزل من السماء". أما أن تذهب هذه الارادة الإلهية إلى ما بعد المؤمنين فهذا ما نستنتجه من إدانة البابا اكندر الثامن لعبارتين تنكران ذلك(.1294D_1295).

أظهر يسوع أنه يريد خلاص السائرين إلى الهلاك بضربه أورشليم مثلًا لذلك (متى37/23؛ لوقا41/19). ونجد في يوحنا16/3 أن الله يريد خلاص كل المؤمنين على الأقل. فهو يرسل ابنه "لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل

تكون له الحياة الأبدية". ويقول بولس الرسول في 1تيمو4/2 أن ارادة الله الخلاصية تشمل كل البشر دون استثناء: "الله يريد أن جميع الناس يخلصون ويبلغون إلى معرفة الحق".

والآباء الأقدمون قبل اوغسطينوس لا يخالجهم الشك في ارادة الله الخلاصية هذه، فيعلق كتاب **امبروسياستر Ambrosiaster** على 1تيمو4/2: "أنه لم يستثن من الخلاص أحدا". والقديس **اوغسطينوس** يقول في أول عهده بارادة الله الخلاصية هذه(انظر في الروح والحرف58/33). الا أنه قصر بعد ذلك هذه الارادة، تبعًا لتعليمه الشديد عن الانتخاب، على المختارين، فجاء لنص الرسالة الأولى إلى تيموتاوس بالتفسيرات المصطنعة التالية: آ) يريد الله أن يخلص أناسًا من كل الطبقات والصفوف؛ ب) كل الذين سيخلصون انما سيخلصون بارادة الله؛ ج) يعمل الله على أن نريد خلاص البشر (ضد يوليانوس44/8/4؛ 103Enchridion؛ في الخطيئة والنعمة 47/15). بعض علماء اللاهوت يردون تفسير القديس اوغسطينوس الضيق إلى ارادة الله الخلاصية التابعة والمطلقة التي ليست بعامة. الا أن شرحه المرتبك لا يترك مجالًا للاعتقاد بأنه في سنيه الأخيرة لازال يقول بارادة الخلاص العامة السابقة. فتعليمه عن الانتخاب يقول بأن الله ينتخب، بإرادته الحرة، "في كتلة الهلاك"، بعضًا من الناس دون غيرهم. وهذا التعليم لا يترك مجالًا لإرادة الخلاص العام ارادة جدية صادقة.

2. تحقيق ارادة الله الخلاصية العامة بالفعل

آ)* يعطي الله كل الأبرار نعمة كافية ليحفظوا الوصايا الإلهية (نعمة كافية من قريب أو من بعيد). من الايمان.

النعمة الكافية من قريب أو مباشرة هي التي تمنح القدرة المباشرة على اصدار فعل خلاصي معيّن، والنعمة الكافية من بعيد أو غير المباشرة هي التي تمنح القدرة على الاتيان بفعل اعدادي بواسطته عونًا آخر من النعمة. ونعمة الصلاة هي بنوع خاص النعمة الكافية غير المباشرة.

علَّم المجمع أورانج الثاني أن "باستطاعة كل المعمدين، بمساعدة المسيح ومعونته، أن يتمموا كل ما هو ضوري لخلاص نفوسهم" (.200D). وزاد مجمع ترانت على ذلك بأن حفظ وصايا الله ليس بمستحيل على الانسان المتبرر: "من قال أن وصايا الله مستحلية الحفظ حتى على الانسان المبرر وفي حال النعمة، فليكن محرومًا" (.828D). وقد انكرت الكنيسة على جنسانيوس تعليمه المخالف لتعليمها على أنه بدعة(.1092D).

يُظهر الله في الكتاب المقدس عطفًا خاصًا على الأبرار (انظر المزمور18/32؛ 25 وما يلي؛90؛ متى50/12؛ يوحنا21/14؛ روم10/8/5). فوصايا الله سهلة على البار. متى30/11: "لأن نيري ليّن وحملي خفيف". 1يوحنا4/3/5: "هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه، ووصاياه ليست بثقيلة لأن كل من ولد من الله يغلب العالم". 1كور13/10: "لكن الله أمين لا يدعكم تجرّبون فوق طاقتكم بل يجعل مع التجربة مخرجًا لتستطيعوا أن تتحملوا".

والنص الذي تبنَّاه مجمع ترانت هو للقديس اوغسطينوس: "لا يترك اللهُ البارَ من فعمته اذا هو لم يترك اللهَ أولًا" (.804D. انظر، في الطبيعة والنعمة29/26).

أن الله أمين، ولذا عليه أن يمنح الأبرار نعمةً كافية ليحافظوا على ما قد أعطوه من حق في السماء.

ب)* يعطي اللهُ جميعَ الخطأة المؤمنين نعمةً كافية (ولو غير مباشرة) ليتوبوا. قضية عامة.

لا ينزع الله نعمته تمامًا حتى عن الخطأة العميان المتصلبين. وتعّلم الكنيسة أن المعمدين، اذا وقعوا في الخطية الثقيلة، "يستطيعون دائمًا أن يتجددوا بالتوبة الحقيقة"(.430D). وهذا يدلّ على أن الله يعطي نعمةً كافية للتوبة(انظر.911D، 321).

وكثيرًا ما تحضّ الكنيسة الخطأة على التوبة، مما يفرض امكان التوبة بمساعدة النعمة. حزقيال11/33: "ليست مرضاتي بموت المنافق لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا". ورسالة بطرس الثانية9/3: "الرب يتأنَّى لأجلكم، اذ لا يريد أن يهلك أحد بل أن يقبل الجميع إلى التوبة". رومانيين4/2: "ألا تعلم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟". أما النصوص التي تعزو إلى الله تقسية الخطأة (الخروج3/7؛ 12/9؛ روم18/9)، فيجب حملها على معنى أن الله يسمح بالشر عقابًا للخاطئ بنزعه عنه النعم الفعالة، فتصبح التوبة هكذا أصعب، لا مستحيلة.

ويعلّم الآباء عامة أن الخطأة حتى أكبرهم ليسوا بمنأى عن رحمة الله. فيقول القديس **اوغسطينوس:** "لا تقطعنَّ الأمل حتى من أكبر الخطأة، ما دام في قيد الحياة على الأرض". وامكان التوبة للخطأة المتصلين، له أساسه في النفس، اذ ليس بين الأحياء

على الأرض كامل متصلب، كما هو الحال في الهالكين في جهنم.

ج)* يعطي اللهُ كلَّ من هم غير مؤمنين عن براءة (= غير مؤمنين سلبيًا) النعمة الكافية لخلاصهم. قضية أكيدة.

أدان البابا اسكندر الثامن عام 1690 عبارات جنسانيوس القائلة بأن المسيح انما مات لأجله المؤمنين، وأن الوثنيين واليهود والمبتدعين لا ينالون منه من نعمة(.1294D_1295؛ انظر.1376D وما يلي).

يقول الكتاب المقدس بارادة الله الخلاصية العامة(1تيمو4/2؛ 2بطرس9/3) وبعمومية فداء المسيح (1يوحنا2/2؛ 2كور12/5؛ 1تيمو6/2؛ رومانيين18/5). لا سبيل اذًا، مع هذه النصوص كلها، إلى انكار نعمة الخلاص الضرورية الكافية على قسم كبير من البشر.

يرجع الآباء كثيرًا إلى أية9/1: "ينير كل انسان"ليطبقوها على كل البشر، حتى غير المؤمنين (انظر القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره لإنجيل يوحنا، العظة1/8). وهناك كتاب عن توزيع

النعمة العام باسم "دعوة كل الأمم" قد يكون واضعه القديس بروسبر الأكيتاني، ينهاج في شأن النعمة نهجًا وسطًا بين البيلاجية المعدَّلة والقديس اوغسطينوس، ويقول صريحًا بارادة الله الخلاصية الشاملة بتوزيع النعم العام.

ولما يكون **الايمان** "أول الخلاص، وأصل كل برارة وأساسها" (.801D)؛ وجب أن يكون الايمان ضروريًا أيضًا لتبرير الوثنيين. عبر6/11: "بغير ايمان لا يستطيع أحد أن يرضي الله لأن الذي يدنو إلى الله يجب عليه أن يؤمن بأنه كائن وأنه يثيب الذين يبتغونه". وليس "ايمان العقل" بكاف. وقد أدان البابا **اينوشنسيوس** العبارة التالية: "يكفي الايمان بمعناه الواسع أتى ذلك الايمان الذي يقوم على شهادة الخلائق أو على أسباب مماثلة"(.1173D). وعليه **فالايمان اللاهوتي**، أي الايمان الفائق الطبيعة القائم على الوحي، هو ضروري. وهذا الايمان هو من فعل النعمة (.1789D عن معنى الايمان اللاهوتي؛ .1793D: "لا يستطيع أحد أن يتبرر الا بهذا الايمان"). وأما بشأن مضمون هذا الايمان فيجب الايمان بما ورد في عبر 6/11 من أن الله موجود وأنه يُثيب في الحياة الأخرى، ايمانًا صريحًا هو ضروري "ضرورة الواسطة"، ويكفي الايمان الضمني المضمر في ما يختص بالثالوث الأقدس والتجسد الالهي. هذا الايمان الفائق الطبيعة والضروري للتبرير يعطيه اللهُ غيرَ المؤمن بأن يطلعه بطريقة باطنية أو خارجية على الحقيقة الموحاة، ويجعله قادرًا بمساعدة النعمة الفعلية على اصدار فعل ايمان فائق الطبيعة(انظر، في الحقيقة11/14).

اعتراض: يعترض معترض على عمومية الارادة الخلاصية الالهية بأن الله لا يريد

ارادةً جدية صادقة خلاص الأطفال الذين ماتوا قبل العماد. على ذلك يمكن أن نجيب بأن إرادة الله الخلاصية العامة لا تضطره إلى اجتراح المعجزات ليبعد كل عائق بمفرده من العوائق التي تقف دون النظام العام الذي خلقه، على أثر تعاون العلة الثانية مع العلة الأولى، والتي تحبط في حوادث كثيرة خطة الارادة الخلاصية العامة. هذا ويستطيع الله بصورة خارقة أن يغفر للأطفال الذين ماتوا قبل العماد الخطيئة الأصلية ويعطيهم النعمة، لأن قدرته غير مقيدة بوسائل الكنيسة لتوزيع النعمة. الا أنه لا سبيل إلى اقامة الدليل الايجابي على وجود مثل هذا التوزيع للنعمة خارج أسرار الكنيسة.

12. سرّ الانتخاب

1. مدلول الانتخاب وحقيقته

آ) مدلوله

الانتخاب هو، **بالمعنى الواسع**، كل قرار أزلي من الإرادة الإلهية. **وبالمعنى الحصري** هو قرار إرادة الله الأزلي في شأن الغاية الأخيرة الفائقة الطبيعة للخلائق العاقلة، سواء أكان موضوع هذا القرار قبولها في سعادة السماء أم حرمانها اياها. **أما بالمعنى الحصري الأدق** فالانتخاب هو قرار ارادة الله الأزلي بقبول خلائق عاقلة معينة في سعادة السماء(القديس توما2/23/1).

ويتألّف قرار الله بالانتخاب من فعل للعقل وفعل للارادة، من علم سابق واختيار سابق. ونميز، تبعًا لمفعول الانتخاب في الزمان، بين الانتخاب **الناقص** الذي ينظر إما الى النعمة فقط وإما الى المجد فقط، والانتخاب **الكامل** الذي ينظر الى النعمة والمجد معًا. ويحدّد القديس توما هذا الانتخاب الأخير على أنه "إعداد النعمة في الحاضر والمجد في المستقبل" (القديس توما2/23/1 على الرابع).

ت)حقيقته

- **انتخب الله، بقرار أزلي من ارادته، بعض الناس، للسعادة الأبدية**. من الايمان.

تعلن الكنيسة بسلطانها التعليمي العادي أن هذه العقيدة هي حقيقة

موحاة. فأحكام مجمع ترانت التعليمية تفترضها (.805D، 825، 827؛ انظر.316D ومايلي، 320 ومايلي).

حقيقة الانتخاب تذكرها الرسالة الى الرومانيين بأجلى بيان (30/29/8): "ان الذين سبق فعرفهم سبق فحدَّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه حتى يكون بكرًا مابين اخوة كثيرين؛ والذين سبق فحدَّدهم اياهم دعا، والذين دعاهم اياهم برَّر، والذين برَّرهم اياهم مجَّد". وهذا النص يبيّن كل العناصر التي تتعلَّق بالانتخاب الكامل: عمل العقل والارادة في قرار االانتخاب الالهي، ودرجات تحقيقته الكبرى في الزمان (انظر متى34/25؛ يوحنا27/10؛ أعمال48/13؛ أفسس4/1 ومايلي).

يدافع القديس **اوغسطينوس** ومدرسته عن حقيقة الانتخاب ضد البيلاجية والبيلاجية المعدّلة، على أنها من التعليم التقليدي، فيقول القديس اوغسطينوس: "آمنت الكنيسة في كل زمان بهذا الانتخاب الذي ندافع عنه اليوم بغيرة جديدة ضد بدعة جديدة" (في هبة الثبات65/23).

والانتخاب هو جزء من تصميم عناية الله الأزلية (انظر الكتاب الثاني$10).

2. سبب الانتخاب

آ) المشكلة

الصعوبة الرئيسية في تعليم الانتخاب هي أن نعرف هل المنتخَب نفسه هو علة انتخابه (العلة الأدبية)؛ ومن جهة الله، هل قرار الانتخاب الأزلي قد اتخذه الله حاسبًا فيه حساب استحقاق الانسان، أم لا (أي بعد سابق معرفته لاستحقاقات الانسان أم قبلها).

أن الانتخاب الناقص، **أي الى النعمة فقط**، لا يتعلق بأي استحقاق (قبل سابق معرفة اللاستحقاقات)، لأنه لا سبيل الى استحقاق النعمة الأولى. وكذلك الانتخاب الكامل أي الى النعمة والمجد معًا، فإنه لا يتعلق بأي استحقاق النعمة الأولى، لأن النعم التي تليها، كما والاستحقاقات مع المكافأة التي اكتسبناها بالنعمة، تتعلق بالنعمة الأولى كحلقات السلسلة. ونتساءل، في حال أن الانتخاب هو **للمجد فقط**، هل الانتخاب للسعادة الأبدية ناجم عن سابق معرفة استحقاقات الانسان أم بدونها. ففي الحال الأول يكون قرار النتخاب شرطيًا، وفي الحال الآخر بدون شرط أي مطلقًا.

ب) محاولات للحلّ

1ً يقول **اتباع القديس توما** والقديس اوغسطينوس، ومعظم السكوتيين، وبعض

المولينيين الأقدمين (سوارس، بلرمينوس) بانتخاب **مُطلق** (الى المجد فقط)، وبالتالي قبل سابق معرفة الاستحقاقات. وهم يرون الله يحكم منذ الأزل، وبدون أن يحسب لاستحقاقات الانسان حسابًا، وبمحض اختياره، بسعادة أناس معيّنيين، يُعطيهم بعد ذلك نعمًا فعالة ينفذ بها قرار ارادته (نظام النية). ففي الزمان يعطي الله أولًا النعم الفعّالة المقررة سابقًا، ثم يمنح بعدها، مكافأة للاستحقاقات التي تولّدت من تعاون الارادة الحرة مع النعمة، السعادة الأبدية (نظام التنفيذ). فنظام النية ونظام التنفيذ هما اذًا بحسب ترتيب

معكوس (المجد_ النعمة؛ النعمة_ المجد).

2ً أغلب **المولينيين**، القديس فرنسيس دي سال (+1622)، يقولون باختيار شرطي (الى المجد فقط)، وبالتالي بعد سابق معرفة الاستحقاقات وبسببها. فيرون أن الله يعرف مسبقًا. **بواسطة علم وسط**، ماذا سيكون من تصرف ارادة الانسان الحرة في مختلف حالات النعمة. وعلى نور هذه المعرفة يختار، بحسب ارادته، نظامًا للنعمة معينًا. وبناء عليه يعرف كل المعرفة، **بواسطة علم رؤية**، كيف سيتصرّف كل انسان بما يعطاه من النعمة. فالذين يتعاونون باستمرار مع النعمة يختارهم، بسبب ما سبق فرآه من استحقاقاتهم، الى السعادة الأبدية، والذين يرفضون التعاون مع النعمة يعدّهم، بسبب ما سبق فرآه من سيئاتهم، للعذاب الابدي. فنظام النية ونظام التنفيذ هما على اتفاق (النعمة _المجد).

تقبل الكنيسة بالتفسيرين (انظر.1090D). والبراهين المأخوذة من الكتاب المقدس، التي يعتمد عليها كل فريق منهما ليست بقاطعة. **فالتوماويون** يستشهدون خاصة بفقرات من الرسالة الى أهل وما حيث تبدو لله في الخلاص اليد الطولي(روم29/8؛11/9_ 13؛ 21/20/9). الا أن القديس بولس لا يتكلم عن الانتخاب الى المجد فقط، بل عن الانتخاب الى النعمة والمجد معًا، وذلك ما لا علاقة له باستحقاق. _ **والمولينييون** يستشهدون بالآيات التي تبيّن عمومية ارادة الله الخلاصية، ولا سيما 1تيمو4/2، وحكم الدّيان الأعظم في متى36/34/25 حيث تبدو اعمال الرحمة سبب القبول في ملكوت السماء. ولكن ليس ما يدل دلالة قاطعة على أن هذه الأعمال هي أيضًا سبب "الاستعداد" الى الملكوت، أي سبب قرار الانتخاب الأزلي.

كما أن المراجع الى الآباء وعلماء اللاهوت المدرسيين ليست بأكيدة، لأن هذه القضية لم تنتظم في علم اللاهوت الا بعد المجمع التريدنتيني. وبينا الرأي السائد قبل القديس اوغسطينوس يدعم نظرية مولينا، يميل القديس **اوغسطينوس** بالحري، على الأقل في كتبه الأخيرة، الى النظرية التوماوية. هذه تبين جليًا سببية الله العامة، بينما تلك تبيّن جليًا عمومية ارادة الخلاص الالهية وحرية الانسان ومساهمته الشخصية في عمل خلاصه. وأن الصعوبات التي لا تزال تعترض كلتا النظريتين لتدل على أن سابق انتخاب الله هو سر لا يسير غوره حتى ولا العقل المتستنير بالايمان (روم33/11 ومايلي).

3. صفات الانتخاب

آ) عدم تغيره

ان قرار الانتخاب، من حيث أنه من فعل علم الله وارادته، هو ثابت ثباتَ الكائن الالهي نفسه، لا يتغير، فعدد الذين كتبت أسماؤهم "في كتاب الحياة" (فيلبي3/4؛ رؤيا يوحنا8/17؛ انظر لوقا20/10) هو محدود صوريًا وماديًا، أي أن الله يسبق فيعرف ويحدد، بصورة لا تقبل الخطأ، كم من الناس. وأيًا من الناس سيخلصون. فالله وحده يعلم عدد المختارين. وضد الرأي المتشدد، الذي يقول به القديس توما أيضًا(7/23/1) بسبب ما رود من متى14/13/7 (انظر متى14/22) والذي يحسب عدد المختارين أقل من عدد المرزولين، لنا أن نعتقد، بسبب ارادة الله الخلاصية العامة وبسبب فداء المسيح العام، أن مملكة المسيح ليست بأصغر من مملكة الشيطان.

ب) عدم التأكد منه

حدد المجمع التريدنتيني، ضد كلفينوس، أن لا سبيل لأحد الى التأكد من انتخابه الا بوحي خاص (.805D؛ انظر 825_ 826).

والكتاب المقدس يحثنا على أن نعمل خلاصنا بخوف ورعدة (فيلبي12/2). "من ظن أنه قائم فليحذر أن يسقط" (1كور12/10). ولكن على الرغم من عدم التأكد هذا، فإن هناك علامات للانتخاب تحدو المرء على الاعتقاد اعتقادًا كبير الاحتمال بأنه من المنتخبين (العمل الدائم بروح التطويبات الانجيلية، المواظبة على تناول القربان المقدس، أعمال المحبة للقريب، محبة المسيح والكنيسة، العبادة للعذراء القديسة).

13. سرّ الذل

1. مدلول الرذل وحقيقته

الرذل هو القرار الذي اتخذته ارادة الله منذ الأزل بإقصاء خلائق عاقلة

معينة عن السعادة الأبدية. فينا الله يساهم بنعمته مساهمة فعلية في الاستحقاقات الفائقة الطبيعة التي هي سبب السعادة الأبدية، فهو يسمح سماحًا فقط بالخطيئة التي هي سبب الرذل.

نميّز، بحسب موضوع قرار الرذل، بين الرذل **الايجابي** والرذل **السلبي**، تبعًا لما يتضمنه قرار الرذل الالهي ممن عذاب أبدي في جهنم أو من عدم انتخاب للسعادة الأبدية. ونميّز أيضًا، بحسب سبب الرذل، بين الرذل **الشرطي** والرذل **المُطلق**، تبعًا لما عليه قرار الرذل الالهي من علاقة سابق معرفة الاستحاقات المستقبلة او من استقلال عنها.

- **انتخب الله، بقرار أزلي من ارادته، أناسًا للهلاك الأبدي، بسبب سابق معرفته بخطاياهم.** من الايمان.

ليس من تحديد رسمي لحقيقة الرذل، إلا أنه تعليم الكنيسة العام. وقد علَّم مجمع فالنسيه (855): "نقول باختيار الأشرار للموت"، وذكره القديس متى في41/25: "اذهبوا ياملاعين الى النار الأبدية المعدَّة لابليس وملائكته"، كذلك الرسالة الى الرومانيين في22/9: "آنية غضب مؤهلة للهلاك".

1. الرذل الايجابي

آ) أن بدعة الانتخاب (Pheresie predestinatienne) على مختلف أشكالها (الكاهن **لوشيدوس** من غالبا الجنوبية في القرن الخامس، والراهب **غودسكل** (Godescal)من القرن التاسع على شهادة خصومه لا بموجب كتبه التي اكتشفت حديثًا، **وويكلف، وهوس،** ولا سيما **كلفينوس**)قول بانتخاب ايجابي للخطيئة وانتخاب **مطلق** للهلاك الأبدي، لكن دون النظر الى الآثام المستقبلة. وقد أدان هذه البدعة مجمع اورانج (.200D)، ومجمعان في كيارسي (Quiercy) وفالنسيا (.316D، 322)، والمجمع التريدنتيني العام (.827D). وهذا الرذل الايجابي المطلق بفضي الى انكار ارادة الله الخلاصية وعمل الفداء، ويتنافى وعدل الله وقداسته وحرية الانسان.

ب) لا تنكر الكنيسة وجود رذل ايجابي **شرطي** يحسب حسابًا لسابق معرفة الآثام المستقبلة. وشرط الرذل الايجابي هذا عمومية الخلاص التي للارادة الإلهية. فهي ارادة الخلاص العام هذه التي تحول دون أن يسبق الله فيريد هلاك أناس معيّنيين (انظر1تيمو4/2؛ حزقيال11/33؛ 2بطرس9/3).

يقول القديس **اوغسطينوس**: "أن الله هو صالح وعادل. فبموجب صلاحه يستطيع أن يخلص أناسًا دون استحقاق منهم، وبموجب عدله لا يستطيع اهلاك أحد دون اثم اقترفه". (ضد يوليانوس35/18/3).

3.الرذل السلبي

يقول **التروماويون**، تبعًا لنظرية الانتخاب المطلق للسعادة الأبدية، برذل **المطلق** لكن **لبي**. وهذا الرذل المطلق السلبي هو نظر أكثرهم عدم انتخاب للسعادة الأبدية يضاف اللى القرار الالهي الذي يسمح بأن يقع قسم من الخلائق الناطقة في الخطيئة فيخسرون بالخطيئة الخلاص الأبدي. ويتمسك التوماويون، ضد نظرية المبتدعين في الانتخاب الايجابي المطلق، بعمومية ارادة الله الخلاصية، ويعمل الفداء، وبتوزيع النعم الكافية على المرذولين، وبحرية الارداة البشرية. الا أنه من العسير التوفيق بين عدم الانتخاب المطلق وعمومية ارادة الله الخلاصية. ولا غرو، فالرذل السلبي المطلق الذي يقول به التروماويون لا يختلف عن الرذل الايجابي المطلق الذي يقول به المبتدعون، أنه لا وجود، بعد الجحيم والنعيم، لآخرة ثالثة.

4. صفات الرذل

أن قرار الرذل الالهي هو، كقرار الانتخاب الالهي، ليس بقابل للتغيير، ولا سبيل لأحد الى التأكد منه.

الفصل الرابع

العلاقات بين النعمة والحرية

14. تعليم الكنيسة عن النعمة والحريَّة، ضد البدعة

لما كان الله يعطي كل البشر نعمًا كافية لخلاصهم فلا يخلص الا قسم منهم فقط، وجب أن تكون هناك نعم تؤدي الى ما يريده الله من الخلاص (**نعم فعَّالة**)، ونعم ليس لها هذا المفعول (**نعم محض كفاية**). ونتساءل: هل السبب في اختلاف فعالية النعمة هذا هو في النعمة نفسها أم في الحرية البشرية؟ وقد حل البروتستان والجانسينيوس المشكل العويص حلًا

جذريًا بانكارهم حرية الارادة (انظر لوتير، في الارادة المقيّدة). أما الحلول التي اوجدتها مختلف التعاليم الكاثوليكية عن النعمة فهي داخل نطاق الكنيسة.

1. حرية الارادة تحت تأثير النعمة الفعالة

- **تبقى الارادة البشرية حرة تحت تأثير النعمة الفعالة. فالنعمة ليست بممتنعة على المقاومة.** من الايمان.

حدَّد مجمع ترانت ضد البروتستان: "من قال أن ارادة الانسان الحرة التي يحرّكها الله ويهيب بها، لا تتعاون مع الله الذي يهيب بها ويدعوها، فلا تأتي ما تستعد وتتأهب به لقبول نعمة التبرير، وأنها لا تستطيع أن تقاوم اذا شاءت، بل تكون كعادم الحياة لا تأتي عملًا، وتلزم حالة محض سلبية، فليكن محرومًا" (.814D). وقد أدان البابا اينوشنسيوس العاشر كبدعة عبارة جانسينيوس التالية: "في حال الطبيعة الساقطة لا سبيل مطلقًا الى مقاومة نعمة باطنية" (.1093D؛ انظر797، 815، 1094_ 1095).

يبيّن الكتاب المقدس تارةً عامل ارادة الانسان الحرة، وتارة عامل النعمة الالهية. وأن التحريضات العديدة على التوبة والأعمال الصالحة لدليل على أن النعمة لا تُزيل حرية الارادة، التي أثبتها الكتاب المقدس بصريح القول في سفر تثنية الاشتراع19/30؛ وابن سيراخ18/15؛ 10/31؛ ومتى37/23: " كم من مرة أردت أن أجمع بنيك... ولم **تريدوا**"؛ وأعمال الرسل51/7: "في كل حين **تقاومون** الروح القدس". ويشيد القديس بولس بالتعاون بين النعمة والارادة الحرة، في 1كور10/15: "بنعمة الله صرت على ما أنا عليه، ونعمته في لم تكن باطلة بل تعبت أكثر من جمعيهم لا أنا بل نعمة الله التي معي،". انظر 2كور1/6؛ فيلبي12/2.

والقديس **اوغسطينوس**، الذي يرجع اليه المبتدعون، لم ينكر يومًا حرية الارادة أمام النعمة. ودفاعًا عن حرية الارادة هذه كتبت في عام427 كتابه "في النعمة والاردة الحرة" يسعى فيه الى تعليم وتطمين "أولئك الذين يظنّون أنهم بدفاعهم عن النعمة انما ينقضون حريةّ الارادة، فيدافعون عن حرية الارادة دفاعًا ينقض النعمة بقولهم أنها تعطي لنا تبعًا لاستحقاقاتنا"(1/1). فالتبرير ليس من عمل النعمة فقط، بل من عمل الارادة الحرة أيضًا: "أن الذي خلقك بدونك لا يبررك بدونك" (عظة13/11/169). وعندما يقول القديس اوغسطينوس بأننا نعمل قسرًا ما هو لنا أكثر لذة، فإنه لا يعني لذة غير واعية، صالحة كانت أم سيئة،

تسبق قرار الارادة وتوجّهه، كما يزعم الجانسينيون، بل لذة واعية منطوية في القرار الذي اتخذته الارادة.

أن حرية الارادة مع النعمة هي الشرط الأساسي اللازم لاستحقاق الأعمال الصالحة. ثم أن شهادة ضمير الانسان أيضًا تدعم التعليم الكاثوليكي.

2. **النعمة الكافية حقيقةً ومحضًا** (Gratia vere et mere sufficiens)

- **توجد نعمة كافية حقًا، على بقائها مع ذلك غير فعّالة**. من الايمان.

هي نعمة تُعطي، في ظروف معينة، المقدرة على إصدار فعل خلاصي. الا أنها لا تأتي مفعولها بسبب مقاومة الارادة لها. وقد انكر البروتستان والجانسينيوس وجود مثل هذه النعمة. فهم يقولون، بسبب إنكارهم لحرية الارادة، بنعمة تضطر الارادة اضطرارًا. والنعمة الكافية هي دائمًا في نظرهم فعَّالة.

يعلّم المجمع التريدنتيني أن الانسان يستطيع، بمعونة النعمة السابقة، أن يتأهب لنعمة التبرير (كافية **حقيقة**، vere)، إلا أنه لا يستطيع أيضًا، اذا شاء (كافية **محضًا**، mere)، أن يرفضها (.814D؛ انظر 797). وقد أدان البابا اسكندر الثامن عبارة للجانسينيين هي تجديف على الله تقول بأن النعمة الكافية التي يقصد بها نعمة صغيرة غير كافية، هي شر، لأنها تجعل مذنبًا بين يدي الله (.1296D).

ويشهد الكتاب المقدس على أن الانسان كثيرًا ما لا يفيد من النعمة التي يعطاها (انظر متى37/23؛ أعمال51/7).

والتقليد يُجمع على القول بحقيقة النعم الكافية التي تبقى دون جدوى بذنب الانسان.

والقديس **اوغسطينوس** يعرف جليًا الفرق بين النعمة التي هي محض كافية و النعمة التي هي فعالة. انظر، في الروح والحرف60/34: "أن رحمة الله تستدركنا في كل شئ، لكن قبول دعوة الله أو رفضها هو من فعل ارادتنا نفسها". وعندما ينكر القديس اوغسطينوس على "النعمة التي تعطي المقدرة" اسم نعمة حقيقية، فلأنه يقصد بها "نعمة الامكان" التي يقول بها البيلاجيون والتي بالارادة الحرة.

هذه النعمة التي هي نعمة حقيقية ومحض كافية يجب اقامتها، **نظريًا**، من طرف على عمومية ارادة الله الخلاصية وعومية النعمة، ومن طرف آخر على تخلف أناس عن بلوغ الخلاص الأبدي.

15. العلاقات بين النعمة والحريَّة في علم اللاهوت النظري

القضية

أن الجدل الكبير، القائم في علم اللاهوت منذ أواخر القرن السادس عشر، عن العلاقات بين النعمة الفعَّالة وحرية الارادة، يدور حول المسألة التالية: ما السبب في أن النعمة الفعالة تؤدي، بصورة أكيدة لا تخطئ، الى الفعل الخلاصي الذي يريرده الله؟ هل هو في النعمة نفسها أم في قبول الارادة الحر الذي استدرك الله معرفته؟ هل النعمة الفعّالة بباطن قوتها (بذاتها)، أم يصير فعالّة بقبول الارادة الحر (بطريق العرض أو من الخارج)؟ ومن ذلك ينشأ السؤال الآخر: هل النعمة الفعالّة تختلف في صميمها عن النعمة الكافية، أم من الخارج فقط باضافة قبول الارادة الحر اليها؟

1. النظرية التوماوية

هذه النظرية، التي فتق بها الدومينيكاني الاسبانيولي **دومينيك بانييس** Banez (†1604) وكان من أهم اتباعها علماء اللاهوت ن الرهبانية الدومينيكانية، تقول بأن الله يقرّر من الأزل عملًا خلاصيًا معينًا مع نعمة فعالة لتحقيقه. وبهذه النعمة يعمل الله في الزمان، **فيزيقيًا**، في إرادة الانسان الحرة، ويدفعها على أن تأخذ حرةً بالتعاون مع النعمة. فالنعمة الفعَّالة تعمل بذاتها، دون أن تخطئ، على أن تختار الارادة التعاون معها حرة. فهي تتميز اذًا بذاتها وبجوهرها من النعمة الكافية التي تعطي القدرة فقط على العمل الخلاصي. ولكي تنتقل هذه القدرة من الامكان الى الفعل يجب أن يضاف اليها نعمة جديدة تختلف عنها جوهريًا هي النعمة الفعَّالة. وقبول الارادة الحرة للنعمة قد استدرك الله معرفته دون خطأ في القرار الذي قررت به ارادته منذ الأزل العمل الخلاصي المعيَّن والنعمة الفعَّالة له.

أن فضل هذا الشرح هو أنه يسير على منطق الفكرة القائلة بأن الله هو العلة الأولى لكل عمل للخلائق، وأن الخليقة هي في فعلها وكيانها خاضع لله كل الخضوع. الا أن هناك صعوبة لا تزال قائمة: كيف تكون النعمة الكافية حقًا؟ وما السبيل الى التوفيق بين حرية الارادة والنعمة الفعَّالة؟

2. النظرية الأوغسطينية

أنشا هذه النظرية رهبان من رهبانية القديس اوغسطينوس في القرنين السابع عشر والثامن عشر، منهم الكردينال **هنري نوريس** Noris(+1704) **ولوران بارتي** Berti (+1766). وهي تقول بنعمة فعالة بذاتها وبقوّتها الداخلية، كالنوماويين. الا أنها تفترق عن التوماويين في نوع مفعول هذه النعمة، فتقول بأنها تضطر الارادة لا فيزيقيًا بل **أدبيًا** فقط، بإحداثها هوي في الخير ناجعًا يؤدي الى قبول الارادة للنعمة قبولًا أكيدًا، لكن حرًا (مذهب القسر الأدبي).

تحاول الأوغسطينية تأمين الحرية للارادة. الا أن نظرها للنعمة على أنها شغف ولذة وهوى لا يفسّر تفسيرًا كافيًا نجاح النعمة الأكيد وعلم الله السابق.

3. النظرية المولينية

انشأ هذه النظرية اليسوعي الاسباني لويس مولينا Molina (+1600)، ومن أهم الدعاة لها علماء اللاهوت من الرهبانية اليسوعية. وهي لا ترى من فرق جوهري داخلي بين النعمة الفعالة والنعمة الكافية، بل تقول بفرق عرضي خارجي فقط. فالله يزود قوّة الارادة بالنعمة الكافية لتعمل عملًا فائق الطبيعة، بحيث أن الانسان يستطيع أن تأتي متى شاء عملًا خلاصيًا بدون حاجة إلى نعمة جديدة مختلفة. فإن قبلت الارادة التعاون مع النعمة وأصدرت بها عمل الخلاص صارت النعمة الكافية فعَّالة. أما اذا رفضت الارادة القبول بالتعاون مع النعمة فتظل النعمة محض كافية. فالله يعرف بصورة أكيدة لا تخطئ قبول الارادة الحر هذا. والمولينية تفسّر سابق معرفة الله هذه بالعلم الوسط.

تحرص المولينية قبل قبل كل شئ على تأمين الحرية للانسان، مما يؤدي الى بعض التقليل من سببية الله الأولى العامة. ثم أن **العلم الوسط**، وبالتالي سابق معرفة الله لفوز النعمة الفعَّالة الأكيد، ببقيان غامضين.

4. نظرية الموافقة (congruisme)

جاء بهذه النظرية **سوراس** (+1617) والقديس **بلرمينوس** (+1621). وقد أعلنها كلودا كوافيفا، الأب العام لليسوعيين(1613)، التعليم الرسمي للرهبانية. وقد أتت على شكل تطور ونمو للمولينية. وهي تقول بأن الفرق بين النعمة الفعالة والنعة الكافية لا يقوم فقط بقبول الارادة الحرة والتعاون مع النعمة، بل أيضًا بالموافقة، أي الموافقة بين النعمة وظروف الانسان الخاصة. فإن أتت النعمة موافقة لظروف الانسان الداخلية والخارجية صارت فعَّالة بقبول الارادة الحرة لها، وإلا ظلَّت دون جدوى لعدم قبول الارادة الحرة لها. والله يسبق فيرى، بالعلم الوسط، موافقة النعمة وفوزها الأكيد.

نظرية الموافقة هذه تزيد، أكثر من المولينية، من دور الله في عمل الخلاص.

5. **نظرية الائتلاف** (syncretisme)

أهم من يمثل هذه النظرية لاهوتين من السربون نقولا **ايزمبر** Ysarnbert (†1642)، واسحق **هابر** Habert (†1787)، **وهونوره تورتلي** Tournely (†1729)، والقديس **الفونس ليغوري**(†1787). وهي تريد التوسط بين النظريات السابقة، فتميز نوعين من النعمة الفعالة، وتقول مع المولينيين والتوافقين **بنعمة فعّالة من الخارج** للأعمال الصالحة اليسيرة ولا سيما للصلاة، وتقول مع التوماويين والأوغسطينيين بنعمة **فعّالة بذاتها** تضطر الارادة أدبيًا لا فيزيقيًا، للتجارب الصعبة. فالذين يحسنون التصرف بالنعمة الفعالة من الخارج، ولا سيما بنعمة الصلاة، ينالون أكيدًا، بسبب ما للصلاة من وعد الاستجابة الأكيدة، النعمة الفعالة بذاتها.

نظريا الائتلاف هذه تقع في صعوبات النظريتين الأخرى كلها، أو تكاد. الا أنها تحسن صنعًا باعتمادها على الصلاة، التي لها ما لها من الدور الخطير في عمل الخلاص.

القسم الثاني

النعمة الملكية

الفصل الأول

التبرير

16. مدلول التبرير

1. مدلوله في التعليم البروتستاني

أساس التعليم البروتستاني في التبرير يقوم على قولهم بان الطبيعة البشرية قد فسدت بخطيئة آدم فسادًا تامًا، وبأن الخطيئة الأصلية هذه تقوم في ذاتها بالشهوة. وقد نظر لوتير الى التبرير على أنه حكم قضائي يعلن الله فيه الخاطئ مبررًا، وإن ظلَّ في الباطن غير مبرَّر وخاطئًا. فالتبرير يعني، سلبيًا، لا محو الخطيئة محوًا حقيقيًا، بل عدم حسبانها فقط أو سترها. والتبرير يعني، ايجابيًا، لا تجديدًا داخليًا للخاطئ ولا تقديسًا باطنيًا له، بل فقط نسبةً بر المسيح اليه نسبةً خارجية. فشرط التبرير في الخاطئ هو الايمان الواثق، أي الثقة الوطيدة المقرونة بثقة الخلاص، بأن الله الرحيم غفر خطاياه بسبب المسيح.

3. مَدلوله في التعليم الكاثوليكي

حدَّد المجمع التريدنتيني التبرير، تبعًا لما جاء في الرسالة الى أهل كولوسي13/1، "بأنه نقل الانسان من الحال التي ولد فيها ابنا لآدم الأول، الى حال النعمة وتبنّي أبناء الله بآدم الثاني يسوع المسيح مخلصنا" (.796D). فالتبرير هو، **سلبيًا**، محو الخطيئة محوًا حقيقيًا، **وايجابيًا** تقديس الانسان الباطني وتجديده تجديدًا فائق الطبيعة (.D799). وقد رذل المجمع التريدنتيني، كبدعة (.792D، 821)، قول البروتستان بمحض ستر الخطيئة أو عدم حسبانها، ونسبة بر المسيح الى الخاطئ نسبة خارجية.

ويرى الكتاب المقدس، من الوجهة **السلبية**، أن غفران الخطايا يعني محوها محوًا حقيقيًا تامًا، ويستعمل لذلك الألفاظ التالية: آ) محا رفع (المزمور

3/50؛ اشعيا25/43؛ 22/44؛ أعمال19/3)، ونزع ونقل ورفع وأقصى (2صموئيل13/12؛ سفر الأحبار الأول8/21؛ ميخا18/7)، ورفع وأزال وذهب به (يوحنا29/1)، وأقصى وأبعد (المزمور12/102)؛ **ب)**غسل وطهر (المزمور4/50؛ اشعيا16/1؛ حزقيال25/36؛ أعمال16/22؛ 1كور11/6؛ عبر3/1؛ 1يوحنا7/1)؛ **ج)** غفر أو ترك وصفح (المزمور1/31؛ 3/84؛ متى6/2/9، لوقا48/47/7؛ يوحنا23/20؛ متى28/26؛ أفسس7/1).

أما بعض النصوص التي تتكلم عن ستر الخطايا أو عدم حسبانها (المزمور8/31؛ 3/84؛ 1كور19/5) فيجب فهمها بمعنى محو حقيقي، ذلك على ضوء النصوص المقابلة لها (غفر، في المزمور1/31؛ 3/84)، وعلى ضوء تعليم الكتاب المقدس الجلي. وعبارات سفر الأمثال12/10 ("الحب يستر جميع المعاصي") ورسالة بطرس الأولى8/4 ("أن المحبة تستر جمًّا من الخطايا") تتكلم لا عن مغفرة الله للخطايا، بل عن مغفرة البشر بعضهم لبعض.

ويرى الكتاب المقدس، من الوجهة **الايجابية**، أن التبرير هو اشبه بولادة هي ولادة الى حياة جديدة فائقة الطبيعة لذلك الذي كان الى الآن خاطئًا (يوحنا5/3؛ تيطس5/3)، وأشبه بخلق جديد (2كور17/5؛ غلاطيا15/6)، وبتجديد باطني (أفسس32/4)، وبتقديس (1كور11/6)، وبنقل من الموت الى الحياة (1يوحنا14/3)، ومن الظلمة الى النور (كولوسي13/1؛ أفسس8/5)، وبوحدة ثابتة للانسان مع الله (يوحنا23/14؛5/15)، وباشتراك في الطبيعة الالهية (2بطرس4/1). وعندما يقول القديس بولس أن المسيح صار لنا برًّا (1كور30/1؛ انظر رومانيين18/5) فإنه يبين علة تبريرنا الاستحقاقية فقط.

ويرى الأباء في مغفرة الخطايا محوًا حقيقيًا لها، فيدحض القديس **اوغسطينوس** ضلال البيلاجية القائل بأن العماد لا يزيل الخطايا ازالة تامة بل، "يقشرها" فقط، فيعلن: "أننا نقول بأن العماد يغفر الخطايا كلها، **فيزيل** الآثام ازالة، **لا يقشرها**" (ضد رسالتين لبيلاجيوس26/13/1). والتقديس الذي يأتي به التبرير كثيرًا ما يدعوه الآباء تأليها. ويعلن القديس اوغسطينوس أن **برّ** الله الذي يتكلم عنه القديس بولس ليس ذلك الذي به الله بار، بل الذي يجعلنا نحن أبرارًا(.799D)؛ وهو يدعي بر الله لأن الله هو الذي يعطيناه (في نعمة المسيح14/13).

واذا كان الله يعلن الخاطئ بارًا اعلانًا فقط، مع بقائه في الباطن خاطئًا، فماذا يكون من صدق الله وقداسته؟

17. علل التبرير

عيَّن المجمع التريدنتيني علل التبرير التالية (.799D):

1. **العلة الغائبة** هي مجد الله والمسيح (العلة الغائبة الأولى) وحياة الانسان الأبدية (العلة الغائبة الثانية).
2. **العلة الفاعلة**، ويعتبر أدقّ، العلة الفاعلة الرئيسية هي حمة الله.
3. **العلة المستحقة** هي يسوع المسيح الذي كفَّر عنا، من حيث هو وسيط بين الله والناس، واستحق لنا نعمة التبرير.
4. **العلة الآلية** للتبرير الأول هي سر العماد. ويزيد المجمع بقوله: "أنه سر الايمان الذي لا يتبرر أحد قط بدونه". فالمجمع يعلن الايمان اذًا شرطًا اساسيًا لازمًا (للبالغين) للتبرير (علة اعدادية).
5. **العلة الصورية** هي بر الله، لا البر الذي به الله بار، بل البر الذي يجعلنا نحن أبرارًا (.820D)، أي النعمة المبررة.

وفي تعليم مجمع ترانت أن النعمة المبررة هي **وحدها** علة التبرير الصورية، وذلك يدل على أن أفاضة النعمة المبررة تأتي على السواء بمغفرة الخطايا والتقديس الداخلي. والمجمع يدحض بذلك التعليم القائل بتبرير **مزدوج**. والقائلون به هم بعض البروتستان (كلفينوس، مرتن بوسر)، وبعض اللاهوتيين الكاثوليك،

(سربياندو Seripando، كونتاريني Contarini، بيغيوس Pighius، غرويرGropper). وفي هذا التعليم أن نسبة برّ المسيح الى الخاطئ هي التي تغفر له خطاياه، أما تقديس النفس ايجابيًا فيتم بواسطة برّ ملازم لها.

وفي الكتاب المقدس أن النعمة والخطيئة تتنافيان، كالظلمة والنور، والحياة والموت.ولذا فمنح النعمة هو أيضًا مغفرة الخطايا. انظر 2كور14/6: "أية شركة بين الأمم والبر، وأية مخالطة للنور مع الظلمة؟" (كولوسي13/2: "حين كنتم أمواتًا في الزلات أحياكم معه مسامحًا لكم بجميع الزلات" (انظر يوحنا14/3؛ القديس توما6/113/2/1 على الثاني).

18. الاستعداد للتبرير

1. امكان الاستعداد وضرورته

*** يمكن الخاطئ ويلزمه أن يستعدّ، بمعونة النعمة الفعلية، لقبول نعمة التبرير.** من الايمان.

أنكر البروتستان إمكان الاستعداد للتبرير وضرورته بناءً على ما في تعليمهم من أن الانسان أصبح، على أثر ما حلَّ بالطبيعة البشرية □ن الفساد التام بسبب خطيئة آدم، عاجزًا عن كل عمل خير. وقد أدان المجمع التريدنتيني هذه الرأي: "من قال... أن الخاطئ لا يلتزم بحال من الأحوال أن يتأهب أو يستعد، بدافع من ارادته، فليكن محرومًا" (.819D)؛ انظر .797D

ويورد المجمع من بينات الكتاب المقدس: زكريا3/1: "توبوا اليَّ فأتوب عليكم"، ومراثي إرميا: "أعِدْنا يارب إليك فنعود". فالنص الأول

يُظهر عودة إرادتنا الحرة الى الله، الثاني يظهر ضرورة النعمة الالهية السابقة. وفي الكتاب المقدس تحريضات كثيرة على التوبة والرجوع الى الله.

وقد جرت الكنيسة القديمة، في شأن التائبين والموعوظين، على عادة تهيئتهم تهيئةً صارمة لقبول النعمة المبررة. ويقول القديس **اوغسطينوس:** "من خلقك بدونك لا يبرر بدونك. فهو قد خلقك دون أن تدري، لكنه لن يبرر دون أن ترضي ارادتك" (العظة13/11/169) (انظر القديس توما2/1: 3/113).

2. الايمان والتبرير

- **لا سبيل الى التبرير بدون الايمان**. من الايمان.

في تعليم مجمع ترانت أن الايمان "هو بدء خلاص الانسان وأساس وأصل كل تبرير" .801D؛ انظر .799D: "بدون الايمان لا سبيل أبدًا الى التبرير"؛ كذلك .1793D.

أما نحوى هذا الايمان المبرر، فليس في ذلك الايمان الذي يدعى "ايمان الثقة" بل في **الايمان اللاهوتي أو العقائدي** وهذا هو الايمان الضروري. وهو يقوم بالاعتقاد بحقائق الوحي الالهي بسبب سلطة الله الموحي بها. وفي تحديد مجمع ترانت: "مَن قال أن الايمان المبرَّر ليس سوى الثقة برحمة الله، فليكن محرومًا" .822D؛ انظر .798D: "الايمان هو الايقان بالأمور الموحاة التي وعد بها الله" ؛ .1789D (تحديد الايمان).

وفي الكتاب المقدس أن الايمان، اي العقائدي، هو الشرط الاساسي اللازم للخلاص الأبدي. مرقس16/16: "اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها. فمن آمن واعتمد يخلص، ومن لم يؤمن يُدان". ويوحنا31/20 "وانما كتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم اذا آمنتم الحياة باسمه". والرسالة الى العرانيين: "بغير ايمان لا يستطيع أحد أن يرضي الله، لأن الذي يدنو الى الله يجب عليه أن يؤمن بأنه كائن وأنه يثيب الذين يبتغونه" (انظر مرقس15/1؛ يوحنا14/3 ومايلي؛ 24/8؛ 26/11؛ رومانيين 8/10 ومايلي).

أما النصوص التي ترفع من شأن عنصر الثقة في الايمان والتي يرجع اليها المخالفون (رومانيين3/4 ومايلي؛ متى2/9؛ لوقا19/17؛ 50/7؛ عبر1/11) فهي لا تنفي

الايمان العقائدي، فالثقة برحمة الله انما هي نتيجة لازمة للايمان بالحقيقة التي أوحى بها الله.

ولدينا برهان حقيقي من الآباء عن ضرورة الايمان العقائدي للتبرير في العادة التي درجت عليها الكنيسة منذ القدم في تعليم الموعوظين الحقائق المسيحية وفي إبرازهم قانون الايمان قبل العماد. **وترتليانوس** يسمّى العماد باسم خاتم الايمان الذي يعترف به المعتمد قبل اعتماده (في التوبة 6). ويقول القديس **اوغسطينوس**: "الايمان الحقيقي هو بدء الحياة الصالحة التي تؤدي الى الحياة الأبدية" (العظة1/1/43).

3. ضرورة أعمال أخرى من الفضيلة علاوة على الايمان

- **يجب أن تُضاف أيضًا الى الايمان أعمال أخرى من الفضيلة.** من الايمان.

في تعليم البروتستان أن الايمان، بمعنى الايمان بالثقة، هو السبب الوحيد للتبرير. وقد أعلن المجمع التريدنتيني ضدهم بأنه لا بدَّ، علاوةً على الايمان، من أعمال أخرى من الفضيلة (.819D)، مثل **خشية** العدل الالهي، **والرجاء** بالرحمة الالهية بسبب استحقاقات المسيح، والسعي الى محبة الله، وبغض الخطيئة **وكرهها، والعزم** على الاعتماد وبدء حياة جديدة. ويصف المجمع الطريق السيكولوجي العادي لسير التبرير، الا أنه لا يقول بأن كلًّا من أعمال مراحل هذا الطريق يجب أن يندرج في سياقه المذكور. وكما أن الايمان يجب أن يكون دائمًا، اذ أنه بدء الخلاص، كذلك يجب أن تكون **الندامة** على الخطايا المقترفة، اذ لا سبيل الى مغفرة الخطايا بدون كره باطني للخطيئة (.798D؛ انظر .897D).

يقتضي الكتاب المقدس ما عدا الايمان، أعمالًا أخرى استعدادية، كخوف الله (ابن سيراخ28/27/1؛ أمثال27/14)، والرجاء (ابن سيراخ9/2)، ومحبة الله (لوقا47/7؛ ايوحنا14/3)، والندامة والتوبة (حزقيال30/18؛ 11/33؛ متى17/4؛ أعمال38/2؛ 19/3).

القديس بولس والقديس يعقوب._ حين يقول **القديس بولس** بأننا نتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس (روم28/3: "أن الانسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس، انظر غلاطيا16/2)، فإنه يريد بالايمان ذلك الايمان الحي الذي يظهر في أعمال المحبة (غلاطيا6/5)، ويريد بالأعمال الناموسية في العهد القديم كالختان، ويريد بالتبرير ذلك التبرير الذي يقوم بالتطهير الباطني وبالتقديس الخاطئ غير المسيحي باعتناقه الايمان المسيحي._ وحين يقول **القديس يعقوب،** مخالفا بذلك، في الظاهر، القديس بولس، بأننا انما نتبرر

بالأعمال لا بالايمان وحده (يعقوب24/2: "أن الانسان بالأعمال يبرر لا بالايمان وحده")، فإنه يريد بالايمان ذلك الايمان الميت (يعقوب17/2؛ انظر متى21/7)، ويريد بالأعمال تلك الأعمال الصادرة من الايمان المسيحي، ويريد بالتبرير ذلك التبرير الذي يظهر به المسيحي أمام منبر الله. فالقديس بولس يتوجّه بكلامه الى المسيحيين المتيهودين الذين كانوا يتباهون بأعمال الناموس ولذا فهو يشدّد على الايمان، والقديس يعقوب يتوجه بكلامه الى المسيحيين الفاترين ولذا فهو يشدّد على الأعمال الصالحة. لكن كلاهما يطلبان معًا الايمان الحي الفعال.

والآباء يعلّمون، بالاتفاق ومسلك الكنيسة القديمة مع الموعوظين، أن الايمان وحده لا يكفي للتبرير. ويعلن القديس **اوغسطينوس**: "يمكن أن يوجد الايمان بدون أن توجد معه المحبة، لكنه لا يفيد شيئًا" (في الثالوث23/18/15) (انظر القديس توما2/1: 5/113).

الفصل الثاني

حالة التبرير

19. ماهية النعمة المبررة

1. تحديد كيان النعمة المبررة

آ)* النعمة المبررة هي موهبة فائقة الطبيعة، مخلوقة، تتميز حقيقةً عن الله.
قضية قريبة من الايمان.

يرى **بطرس لومبارد** أن نعمة التبرير ليست بمخلوقة، انما هي الروح القدس نفسه يسكن في نفس البار ويعمل فيهى مباشرة (لا بواسطة ملكة ما) أعمال محبة الله ومحبة القريب (انظر القديس توما11/2: 2/23).

حدَّ مجمع ترانت نعمة التبرير "أنها بر الله، لا البر الذي به الله بار، بل البر الذي يجعلنا نحن أبرارًا" (.799D). هذا التحديد ينفي وحدة النعمة المبررة والروح القدس. والروح القدس ليس بالعلة الصورية للتبرير بل علته الفاعلة. ففي الرسالة الى أهل روما5/5: "أُفيضت محبة الله في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا"، يفيض علينا الروح القدس محبة الله التي أعطيناه مع نعمة التبرير. عليه فليس الروح القدس ونعمة التبرير بواحد، كما أن المعطي والعطية ليسا بواحد.

ب)* النعمة المبررة هي حالة فائقة الطبيعة مفاضة من الله، متحدة بالنفس اتحادًا ثابتا. قضية أكيدة.

يرى **الإسميون** أن نعمة التبرير هي عطف من الله□ائم به يغفر للخاطئ خطاياه بسبب استحقاقات المسيح ويمنحه النعمة الفعلية الضرورية لخلاصه. ومثلهم يحدّ **لوتير** النعمة المبررة بانها منّة من الله يوليها الخاطئ تقوم بأن لا ينسب اليه خطيئته وإنما ينسب اليه برّ المسيح.

أن كلمات "تفاض، وتلازم، وتشيع" (.821D، 809، 800)، التي يستعملها مجمع ترانت تدل على أن النعمة المبرّرة هي حالة ثابتة في البار. وكتاب التعليم المسيحي الروماني، الذي انما وضع بأمر من المجمع المذكور، يحدّ النعمة المبررة بقوله "أنها صفة الهية متحدة بالنفس"(49/2/2). وتبرير الأولا□ القاصرين انما هو نتيجة لكون نعمة التبرير هي نعمة ثابتة في نفس المتبرر (انظر.410D، 483، 790 وما يلي).

والكتاب المقدس يصف حالة التبرير بأنها بمثابة وجو□ زرع الهي في الانسان (1يوحنا9/3: "كل من هو مولو□ من الله لا يعمل خطيئة لأن زرعه ثابت فيه")، وبمثابة مسح وختم وعربون للروح القدس(2كور21/1)، وبمثابة اشتراك في الطبيعة الالهية (2بطرس4/1)، وحياة أبدية (يوحنا16/15/3)، وميلا□ ثانٍ (يوحنا5/3؛ تيطس5/3)، وخلق آخر (2كور17/5؛ غلاطيا15/6)، وتحديد باطني (أفسس23/4). وهذه التعابير المختلفة لا يمكن حملها على معنى أعمال عابرة منفرة يأتيها الله في النفس لتفعل أفعالًا خلاصية، وانما تقتضي حالة فائقة الطبيعة ثابتة تلازم النفس. فالحياة الجديدة الفائقة الطبيعة في المتبرر تستلزم مبدأ ثابتًا للحياة الفائقة الطبيعة.

يسمّى القديس **كيرلس الاسكندري** النعمة المبررة "صفة" تقدسنا (عظة لعيد الفصح2/10) أو "أشبه بصورة الهية" يفيضها الروح القدس فينا (انظر القديس توما2/1: 2/110).

ث)* **ليست النعمة المبررة بجوهر، وانما هي عرض حقيقي يلزم جوهر النفس**. قضية أكيدة.

ج) يستعمل مجمع ترانت لفظة "لزم" inhoerece (.800D؛ 809؛ 821)، التي تدل على نوع وجود العرض.

وبتعبير أدقّ، تقع النعمة المبرّرة من حيث حالةٌ في النفس تحتَ نوع الصفة، ومن حيث هي حالة ثابتة تحتَ نوع الملكة. ولما كانت النعمة المبررة تكمل جوهر النفس مباشرةً ولا تتعلق بفعلها الا بصورة غير مباشرة، فهي تسمّى **"ملكة كيانية"** (تمييزًا لها عن الملكة الفاعلة). وملكة النعمة المبررة هذه يجب أن تسمى أيضًا **"ملكة مفاضة"** (تمييزًا لها عن الملكة الفطرية والملكة المكتسبة).

د)* تختلف النعمة المبرِّرة عن المحبة اختلافًا حقيقيًا. قضية أعم.

يرى **القديس توما** مدرسته أن النعمة المبرَّرة من حيث أنها تكملة لجوهر النفس (ملكة كيانية)، تختلف اختلافًا حقيقيًا عن المحبة من حيث أنها تكملة لقوة الارادة (ملكة فاعلة). ويحدد **السكوتيون** النعمة بأنها ملكة فاعلة هي و المحبة واحد. لذلك لا يسلمون بين النعمة والمحبة الا بتمييز كائن **بالقوة.** ولم يقطع المجمع التريدنتيني في الأمر. فينا هو في أحد نصوصه (.821D) يميّز بين النعمة والمحبة، يتكلم في غيره (.800D)، بالاستناد الى رومانيين5/5، عن افاضة النعمة فقط. والرأي التوماوي يدعمه ما بين النظام الطبيعي والنظام الفائق الطبيعة من وجه شبه، مما يحدو على القول بأن الصفة الفائقة الطبيعة التي لجوهر النفس تختلف عن الصفة الفائقة الطبيعة التي لقواها، اختلافجوهر النفس عن قواها (انظر القديس توما2/1: 110: 4/3).

3. تحديد علم اللاهوت للنعمة المبررة

آ)* **النعمة المبررة تولد اشتراكًا في الطبيعة الالهية**. قضية أكيدة.

تصلي الكنيسة في تقدمة القداس اللاتيني هذه الصلاة: "أعطنا، بسرّ هذا الخبز والخمر، أن نصير شركاء في لاهوت مَن تنازل وصار شريكًا في ناسوتنا". وكذلك في فاتحة صلاة الصعود: "صعد السماء ليجعلنا شركاء في لاهوته".

وفي 2بطرس4/1، أن المسيحي قد رُفع الى الاشتراك في الطبيعة الالهية: "بمجده وقوته جعلكم الله تملكون وعوده الثمينة العظيمة لتصيروا بها شركاء في الطبع الالهي". وكذلك في النصوص الكتابية التي تصف التبرير على أنه ميلاد أو ولادة من الله (يوحنا12/1؛ 5/3؛ 1يوحنا1/3؛ تيطس5/3؛ يعقوب18/1؛ 1بطرس23/1). فهي تقول ضمنًا باشتراك الانسان في الطبيعة الالهية، لأن الولادة تقوم باشتراك الولد في طبيعة والده.

من هذه وغيرها من النصوص المقدسة (المزمور6/1/81؛ يوحنا10: 35/34) خلص الآباء الى التعليم عن تأليه الانسان بالنعمة. فهم على يقين وطيد بأن الله انما صار انسانًا ليصير الانسان الهًا، أي ليتأله. انظر القديس اثناسيوس (الصلاة54 في تجسد الكلمة: "الكلمة صار انسانًا لكي نصير نحن الله" (أي لنتأله). ويشرح ديونيسوس المزعوم هذا التأليه "بأنه تشبه واتحاد بالله ما أمكن".

ب) في شأن نوع هذا الاشتراك في الطبيعة الالهية يجب تجنّب طرفي النقيض:

1ً يجب الا نفهمه بالمعنى **الحلولي** على أنه استحالة جوهر النفس الى الألوهية، اذ لا يزال الفرق غير متناه بين الخالق والخليقة (.433D، 510، 1225).

2ً يجب كذلك الا نفهمه على أنه **وحدة أدبية** مع الله تقوم بالاقتداء بكمالات الله الأدبية، على شبه تبني الشيطان للخطأة (يوحنا44/8: "أنتم من أب هو ابليس").

3ً هو، ايجابيًا، اشتراك **فيزيقي** للانسان مع الله، يقوم باتحاد **عرضي** يتحقق بواسطة موهبة الهية مخلوقة، ويجعل النفس شبيهة بالله ومتحدة به اتحادًا يفوق كل ما تستطيعه القوى المخلوقة. فالانسان، الذي هو **أثر** لله من حيث أنه في جسده تحقيق لفكرة الهية، **وصو□ة لله** من حيث أنه في روحه تمثيل للعقل الالهي، قد ارتفع بالنعمة الالهية الى **شبه الله**، أي الى درجة من الشبه بالله سامية فائق الطبيعة (انظر القديس توما10/2/3 على الأول).

هذا الشبه الفائق الطبيعة بالله هو في نظر □**يبلدا** Ripalda شبه بقداسة الله، وفي نظر **سوا□س**، بتعبير أدق، شبه **بروحانية** الله. وكما أن روحانية الله هذه هي مبدأ حياة الله، ومعرفة الله لنفسه، كذلك النعمة المبررة هي، من حيث أنها اشتراك بروحانية الله، مبدأ الحياة الالهية في الانسان المزين بالنعمة.

ج)هذا الشبه الفائق الطبيعة بالله، الذي يقوم في هذه الدنيا على النعمة المبررة، يكتمل في الأخرى بالرؤية الطوباوية، أي الاشتراك في □عرفة الله لنفسه، وفي □ا ينجم عن هذه المعرفة من السعادة. فالنعمة والمجد هما أشبه بالزرع والثمر. فالنعمة هي بدء المجد، والمجد هو تكملة النعمة وازدهارها. انظر القديس توما2/2: 3/24 على الثاني. ويدل

الكتاب المقدس على الوحدة الجوهرية بين النعمة والمجد بقوله أن الانسان المبرر فيه منذ الآن الحياة الأبدية (انظر يوحنا15/3، 36/3؛ 14/4؛ 54/6).

20. مفاعيل النعمة المبررة

1. تبرير النفس

* **النعمة المبررة تبرَّر النفس**. من الايمان.

في المجمع التريدنتيني أن التبرير هو "تقديس الانسان الباطني وتجديده" (.799D). ويكتب القديس بولس الى مسيحي كورنتس (1كور11/6): "قد اغتسلتم **وتقدستم وتبررتم** باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا"، ويسميهم قدّيسين (انظر مقدمات الرسائل)، ويحثهم على أن "يلبسوا الانسان الجديد الذي خلق على مثال الله في البر وقداسة الحق" (أفسس24/4).

تحتمل القداسة في ذاتها، **سلبيًا**، الحلو من الخطيئة الثقيلة، **وايجابيًا** الاتحاد الفائق الطبيعة الدائم مع الله.

2.جمال النفس

- **النعمة المبرِّرة تجمِّل النفس بجمال فائق الطبيعة**. قضية عامة.

يقول كتاب التعليم المسيحي الروماني في كلامه عن النعمة المبررة: "النعمة هي أشبه ببهاء، وبنور يمحو كل أدران نفوسنا ويجعل النفوس أكثر جمالًا وضياء" (49/112).

يرى الآباء في عروس "نشيد الأناشيد" رمزًا للنفس المزينة بالنعمة. ويقول القديس توما: "أن النعمة الالهية تجمّل كالنور" (في شرحه للمزمور8/25).

أن النعمة المبررة، من حيث هي اشتراك في الطبيعة الالهية، تطبع في النفس مثالا للجمال الالهي

غير المخلوق يحوّلها الى صورة لابن الله (رومانيين29/8؛ غلاطيا19/4) الذي هو، على ما تقول الرسالة الى العبرانيين3/1 "ضياء مج الله وصورة جوهره".

2. الصداقة مع الله

- **النعمة المبرِّرة تجعل البار صديقًا لله**. من الايمان.

يقول المجمع التريدنتيني أن الانسان يتحوَّل بتبريره "من شرير الى بار، ومن عدو الى صديق (الله)" (.799D؛ انظر803). ويخاطب يسوع تلاميذه: "أنتم أحبائي أن صنعتم ما أنا موصيكم به. لا أسميكم عبيدًا بعد، لأن العبد لا يعلم ما يصنع سيده ولكني سميتكم أحبائي لأني أعلمتكم بكل ما سمعت من أبي" (يوحنا15/14/15) (انظر سفر الحكمة14/7؛ أفسس19/2؛ رومانيين10/5).

ويصف **قديس يوحنا فم الذهب** الايمان المبرر: "وجدك ميتًا، ضالًا، سجينًا، عدوًا، فجعلك صديقًا وابنًا وانسانًا حرًا وبارًا ووريثًا" (العظة6/14 في شرحه للرسالة الى الرومانيين).

أن محبة الصداقة، على ما وصفها القديس توما، مع ارسطو (في الأدب4/2/8) هي حب خّير متبادل يقوم على نوع من الوحدة (القديس توما2/2: 1/23). وأساس الصداقة الالهية يقوم على ما يمنحه الله البار من مشاركة في طبيعته الالهية. ثم أن فضيلة المحبة الالهية، التي تلازم حالة النعمة، تجعل البار قادرًا على التجاوب مع المحبة الالهية بمحبة مثلها.

4. التبني

- **النعمة المبررة تجعل البار ابنًا لله وتخوّله الحق في الميراث السماوي**. من الايمان.

في المجمع التريدنتيني أن التبرير "هو نقل الى حال النعمة والى التبني الالهي" (.796D). فالبار هو "وريث الحياة الأبدية بالرجاء" (تيطس3/7؛ 799D). والكتاب المقدس يصف حالة التبرير على أنها علاقة بنوية مع الله. رومانيين17/15/8: "لم تأخذوا روح العبودية أيضا للمخافة بل أخذتم روح التبني الذي ندعو به آبا، أيها الآب. والروح عينه يشهد لأرواحنا بأنا أبناء

الله، وحيث نحن أبناء فنحن ورثة الله ووارثون مع المسيح" (انظر غلاطيا5/4 ومايلي؛ يوحنا13/12/1؛ 1يوحنا3: 1، 2، 9).

التبنّي هو اتخاذ شخص غريب عن إنعام كابن ووارث. وبينا التبني البشري يفترض وحدة الطبيعة بين المتبني والمتبني، ولا يخلق بينهما سوى علاقة شرعية، أدبية، يحقق المتبني الالهي للانسان إشراكًا له في حياة فائقة الطبيعة ومتألهة، ميلادًا شبيهًا بميلاده (يوحنا13/1؛ 3/3 وما يلي) هو أساس لوحده فيزيقية بين الابن بالتبني والله. وبنوة المسيح الالهية الطبيعية التي تنشأ من ولادة أزلية هي صورة لتبني الله للبار. رومانيين29/8: "حتى يكون بكرًا ما بين اخوة كثيرين" (انظر القديس توما1/23/3).

3. سكنى الروح القدس

النعمة المبرَّرة تجعل البار هيكلًا للروح القدس. قضية أكيدة.

يسكن الروح القدس في نفس البار لا بواسطة ما يمنحه من النعم المخلوقة فقط، بل أيضًا بجوهره الالهي غير المخلوق (انظر .898D، 1015). والكتاب المقدس يؤكّد هذه السكنى. 1كور16/3: "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وأن روح الله مستقر فيكم" (انظر رومانيين5/5؛ 11/8؛ 1كور19/6).

يشهد الآباء على تعليم الكتاب المقدس الواضح كل الوضوح (انظر القديس ايريناوس، ضد المبتدعين1/6/5)، فيستمدون من سكنى الروح القدس الشخصي في الأبرار برهانًا، ضد مذهب المكدونيين، على الوهية الروح القدس (انظر القديس اثناسيوس، رسالة الى سيرابيون24/1).

تحدث سكنى الروح القدس الشخصية وحدة مع نفس البار لا جوهرية، بل **عرضية** فقط. ولما كانت سكنى الروح القدس عملًا من الله الى الخارج، وكانت الأعمال الالهية الى **الخارج**، كانت الأعمال الالهية الى الخارج مشتركة بين الأقانيم الثلاثة، فسكنى الأقانيم الثلاثة شئ واحد. الا أن هذه السكنى، من حيث أنها اعلان للمحبة الالهية، تنسب الى الروح القدس الذي هو محبة الآب والابن المشخصة. والكتاب المقدس يتكلم ايضًا عن سكنى الآب و الابن. يوحنا23/14: "أن أحبني أحد يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، واليه نأتي، وعنده نجعل مقامنا" 2كور16/6: "أنكم هيكل الله الحيّ".

يقول بعض علماء اللاهوت (بيتوPetau، بسّالياPassaglia، هرترHurter، شبينScheeben، شلّSchell)، متأثرين بالآباء اليونان، بسكنى أخرى للروح القدس، غير مخصصة، بجانب سكنى الثالوث الأقدس، تختلف عن سكنى الثالوث

الأقدس، وتكون للاقنوم الثالث وحده. الا أنه من العسير التوفيق بين هذا الرأي ووحدة الفعل الالهي الى الخارج.

21. موكب النعمة المبررة

تقترن بالنعمة المبررة مواهب فائقة الطبيعة تختلف عنها بالحقيقة لكنها تتصل بها اتصالا صميما. ويسميها التعليم المسيحي الروماني "موكب النعمة المبررة"، فيقول: "الى النعمة المبررة ينضم موكب رفيع من كل الفضائل التي يفضيها الله في النفس مع النعمة" (50/2/2).

1. الفضائل اللاهوتية

- **مع النعمة المبررة يفيض الله الفضائل اللاهوتية الثلاث: الايمان والرجاء والمحبة**. من الايمان.

يعلّم المجمع التريدنتيني "أن الانسان يقتبل في التبرير نفسه، ومع مغفرة الخطايا، فضائل الايمان والرجاء والمحبة، مفاضةً فيه كلها معًا بيسوع المسيح الذي به اتحد" (.800D). وهذه الفضائل قد أُعطيت النفس على شكل **مَلَكة**. وفي شأن فضيلة المحبة يذكر المجمع بصريح الكلام أن الروح القدس قد أفاضها في قلب الانسان، وأنها **تلزمه**، أي تثبت فيه كحالة (.821D).

والمجمع يعتمد بقوله هذا بنوع خاص على رومانيين5/5: "أن محبة الله قد افيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا" (انظر 1كور8/13):

"المحبة لا تسقط أبدًا". مثل المحبة يثبت الايمان والرجاء في المبرَّر بصورة دائمة. 1كور13/13: "الذي يثبت الآن هو الايمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاث".

ويقول القديس **يوحنا فم الذهب** في كلامه عن مفاعيل العماد: "يثبت لك الايمان والرجاء والمحبة. اسعَ وراءها، فهي أعظم من العلامات (=المعجزات)، وليس ما يعادل المحبة" (في تفسيره لأعمال الرسل، العظة2/40).

ولئن لم تكن **المحبة** والنعمة المبررة واحدًا كما يعلم السكوتين، الا انهما متحدان اتحادًا لا ينفصم. فملكة المحبة تفاض مع النعمة وتفقد بفقدها (انظر.1031D_ 1032)، بيد أن ملكتي **الايمان والرجاء** تقبلان الانفصال عن النعمة. فالانسان لا يفقدهما بكل خطيئة ثقيلة، كالنعمة والمحبة، بل فقط بالخطايا التي تتنافى واياهما، فيفقد الايمان بالجحود، والرجاء بالجحود واليأس (.808D، 838). وبسبب أنهما تقتبلان الانفصال عن النعمة. فالانسان لا يفقدهما بكل خطيئة ثقيلة، كالنعمة والمحبة، بل فقط بالخطايا التي تتنافى واياهما، فيفقد الايمان الجحود، والرجاء بالجحود واليأس (.D انظر808، 838). وبسبب أنهما تقبلان الانفصال عن النعمة والمحبة، فقد رأى بعض علماء اللاهوت (مثل سوارس) أنهما تفاضان، اذا ما توفرت الاستعدادات لهما، حتى قبل التبرير، على شكل فضيلتين لا صورة لهما بعد. وهذا الراي لا يتنافى وتعليم مجمع ترانت .800D: "تفاض **معًا**"، لأن المجمع لا يقصد إلا الايمان والرجاء اللذين لهما صورتهما.

2. الفضائل الأدبية

- **مع النعمة المبررة تفاض الفضائل الأدبية ايضا**. قضية عامة.

يتكلّم مجمه فيانا (1311_ 12)، عن إفاضة الفضائل والنعمة، كملكات، ذلك بصورة عامة، ودون أن يحصر القول في الفضائل اللاهوتية (.483D). ويذكر التعليم المسيحي الروماني (50/2/2) "الموكب الرفيع من **الفضائل كلها**".

لا سبيل الى البرهان الكتابي عن افاضة الأدبية أكيدة. الا أن هناك دلائل على ذلك في سفر الحكمة7/8 (يذكر الفضائل الاصلية الاربع، العفة والفطنة والعدل والقوة، على أنها هدية العرس من الحكمة الالهية)، وفي حزقيال20/19/11 (حفظ أحكام الرب هو ثمرة قلب جديد)، ولا سيما في 3بطرس4/1 وما يلي،

حيث يسرد، بجانب الاشتراك في الطبيعة الالهية، سلسلة مواهب أخرى (الايمان والقوة والعلم والعفاف والصبر والتقوى والمحبة الأخوية ومحبة الله). ويقول **القديس اوغسطينوس** عن الفضائل الاصلية الأربع التي يرد اليها كل الفضائل الأدبي: "هذه الفضائل تعطي لنا الآن، في وادي الدموع هذا ، بواسطة نعمة الله" (في تفسر للمزمور11/83) (انظر القديس اوغسطينوس في تفسيره لرسالة يوحنا الأولى1/8؛ انظر القديس توما2/1: 3/63).

3. مواهب الروح القدس

- **مع النعمة المبررة تفاض مواهب الروح القدس أيضًا**. قضية عامة.

أساس ذلك في اشعيا11/2/3: حيث يصف عدة الحرب الروحية التي هي للمسيح الآتي: "يستقر عليه روح الرب، وروح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح العلم وتقوى الرب. ويتنعم بمخافة الرب...ويقضي للمساكين بعدل ويحكم بانصاف". والنص العبري يحصي، علاوة على روح الرب، مواهب ست، الا أن الترجمة السبعينية تجعلها □بعًا، اذا تميز بين "خوف الرب" في الآية2 وفي الآية 3. ومن نصّ اشعيا هذا تخلص الليتورجيا والآباء (مثل القديس امبروسيوس، في الاسرار8/2/3؛ وفي الأسرار العقائدية42/7) وعلماء اللاهوت الى القول بأن هذه المواهب تعطي للأبرار جميعًا، لأنهم جميعًا على صورة المسيح (روم29/8). انظر رتبة التثبيت، والتراتيل الليتورجية اللاتينية: هلم أيها الروح القدس، وهلم أيها الروح الخالق، كما ورسالة البابا لاون الثالث عشر عن الروح القدس Divinum illud (1897).

نتضارب الآراء حول ماهية عطايا الروح القدس وعلاقتها بالفضائل المفاضة. أما القديس توما فيري، ورأيه هو السائد اليوم، أن مواهب الروح القدس هي ملكات من قوى النفس فائقة الطبيعة، ثابتة، تختلف حقيقة عن الفضائل المفاضة، تهيب الانسان الى الانقياد لدافع الروح القدس بسهولة وسرور(القديس توما2/1: 4/68).

ترجع مواهب الروح القدس بعضها الى العقل (الحكمة والفهم والمعرفة والمشورة)، وبعضها الى الارادة (القوة والتقوى وخوف الرب). وأن ما يميزها عن **الفضائل** المفاضة هو أن المبدأ المحرك للفضائل انما هو قوى النفس المرفوعة الى الحالة الفائقة الطبيعة، بينما المبدأ المحرك للمواهب انما هو الروح القدس مباشرة. وبينا الفضائل تجعل الانسان قادرًا على اصدار افعال عادية من الحياة المسيحية الصالحة، تجعل المواهب الانسان قادرًا على اصدار أفعال بطولية خارقة. وتتميز المواهب عن القوات (charismes) بأنها تعطي لخلاص من يقتبلها وتفاض دائمًا مع التبرير.

22. خواص حالة النعمة

1. عدم التأكد من حالة النعمة

*** بدون وحي الهي خاص لا يستطيع أحد أن يتأكد، تأكد ايمان، من أنه في حال النعمة**. من الايمان.

أعلن المجمع التريدنتيني، ضد تعليم البروتستان القائل بأن المتبرَّر يتأكد تأكد ايمان لا يقبل الشك من التبرير الذي ناله: "عندما يفكر الانسان بضعفه وعدم أهليته يدخل في خوف وخشية بخصوص حالته من النعمة، اذ لا يستطيع أحد أن يتأكد تأكيد ايمان لا يخامره ضلال من أنه حائز على النعمة الألهية" (.802D).

ولدينا البينة على ذلك في الكتاب المقدس، فتقول الرسالة الأولى الى القورنتيين4/4 "لست أشعر بشئ في ضميري، لكني لست مبررًا بذلك"، والرسالة الى الفيليبيين12/2: "اعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة".

والسبب في عدم التأكد من حالة النعمة هو أن الانسان لا يستطيع، الا بوحي خاص، أن يتأكد تأكد ايمان من تتميمه لكمال الشروط اللازمة لنيل التبرير. الا أن عدم التأكد هذا لا ينفي **التأكد الأدبي** الى حد كبير مستندًا الى شهادة الضمير (انظر القديس توما1/2: 5/112).

2. تفاوت في التبرير

- **لا يتساوى الأبرار جميعًا مقدار نعمة التبرير التي نالوها**. من الايمان.
- **يمكن انماء النعمة المقبولة بالأعمال الصالحة.** من الايمان.

لما كان البروتستان يرون التبرير، من وجهته الايجابية، في نسبة برّ

المسيح نسبةً خارجية، وجب عليهم أن يستخلصوا من ذلك أن التبرير هو واحد للجميع. وعكس ذلك حدد مجمع ترانت أن مقدار نعمة التبرير يختلف في كل□ار، وذلك تبعًا لاختيار الله، واستعداد الانسان وتعاونه (.799D).

وفي شأن **انماء** حالة النعمة، فقد حدَّد مجمع ترانت، ضد البروتستان القائلين□ان الأعمال الصالحة انما هي من ثمار التبرير، ان البرارة تنمو في الانسان□الأعمال الصالحة، معلنًا: "من قال ان البرّ المقبول لا يُحفظ ولا يُنمي أيضًا أمام الله□الأعمال الصالحة... فليكن محرومًا" (.834D، 842؛ انظر .803D، 842). ثم أن تفاوت ما يأتيه كل□ار□مفرده من الأعمال الصالحة يسبب تفاوتًا في نمو حالة النعمة عنده.

في الكتاب المقدس أن مقدار النعمة يختلف لكل انسان. أفسس7/4: "لكل واحد من أُعطيت النعمة على مقدار موهبة المسيح". 1كور12/11: "وهذا كله يعمله الروح الواحد□عينه موزعًا على كل واحد كيف شاء". ويقول الكتاب المقدس أيضًا□نمو النعمة. 2□طرس18/3: "انموا في النعمة". ورؤيا يوحنا11/12: "من هو□ار فليتبرَّر□عد، ومن هو قديس فليتقدس □عد".

وقد حارب القديس **ايرونيموس**□دعة جوفنيانوس، الذي كان يقول،□تأثير من تعليم الرواقيين في تساوي الفضائل كلها،□أن للأ□رار جميعا درجة واحدة من البر، وللطو□اويين جميعا درجة واحدة من النعيم السماوي (ضد جوفتيانوس23/2). ويقول القديس **اوغسطينوس:** "يلبس القديسون البر، الواحد منهم أكثر والآخر أقل" (الرسالة 13/3/167).

والسبب الأساسي في تفاوت درجات النعمة هو أن النعمة صفة فيزيقية، ومن خصائص الصفة الفزيقية أن تكون أو اقل (انظر القديس توما2/1: 4/112).

3.امكان فقدان النعمة

آ) فقدان النعمة

*** يمكن فقدان نعمة التبرير. وهي تفقد بكل خطيئة ثقيلة**. من الايمان.

ضدّ كلفان القائل□أن لا سبيل الى فقدان حالة النعمة، وضد لوتير القائل□أن النعمة لا تفقد الا □خطيئة الجحود، أي□فقدان ايمان الثقة، يقول مجمع ترانت□فقدان النعمة لا□الجحود فقط،□ل أيضًا□كل خطيئة ثقيلة

(.808D؛ انظر833، 837). وأما الخطيئة العرضية فهي لا تنقض النعمة ولا تنقصها (.804D).

يعلّم الكتاب المقدس بالقول والمثل (سقوط الملائكة، الخطيئة الأصلية، يوضاص، القديس بطرس) إمكان فقد النعمة. انظر حزقيال24/18؛ 12/33؛ متى41/26: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة". 1كور12/10: "من ظن أنه قائم فليحذر أن يسقط". ويسرد القديس بولس (1كور9/6) عددًا من الخطايا، بجانب الجحود، تقصي عن ملكوت الله، وبالتالي تفقد أيضًا النعمة المبررة.

وقد دافع القديس **ايرونيموس** عن امكان فقدان النعمة ضد جوفنيانوس الذي حاول، بناء على 1يوحنا9/3، أن يبرهن على عدم إمكان فقدانها (ضد جوفنيانوس4/1/2). ولدينا في أسلوب التوبة في الكنيسة القديمة دليل على فقدان حالة النعمة بكل خطيئة ثقيلة.

البرهان **النظري** على هذا التعليم يقوم على الحرية البشرية التي تقبل الخطيئة، وعلى ما هية الخطيئة التي هي انصراف عن الله الى الخليقة وبالتالي تتنافى والنعمة المبررة التي تقتضي وحدة الحياة الفائقة الطبيعة مع الله.

ب) فقدان الفضائل المفاضة ومواهب الروح القدس.

بفقد النعمة المبررة تفقد أيضًا دائمًا فضيلة المحبة اللاهوتية. فالمحبة والخطيئة الثقيلة تتنافيان. وقد أدين تعليم بايوس المضاد لذلك (.1031D_ 1032).

لكن فضيلة **الايمان** لا تفقد مع النعمة دائمًا، على ما حدّد مجمع ترانت بصريح العبارة. والايمان والباقي بعد ذهاب النعمة هو ايمان حقيقي، وأن لم يكن ايمانًا حيًا (.838D).

ولا يفقد الايمان الا بخطيئة الجحود التي تنافى طبيعة الايمان.

وكذلك فضيلة **الرجاء** يمكن أن تبقى بعد ذهاب المحبة (انظر.1407D)، لا بعد ذهاب الايمان. وهي تفقد بخطيئة من اليأس تصيب طبيعة الرجاء، كما وبخطيئة الجحود. أما **الفضائل الأدبية ومواهب** الروح القدس، فهي تفقد، على رأي علماء اللاهوت عامة، مع ذهاب النعمة والمحبة.

الفصل الثالث

نتائج أو اتحاد تبرير. الاستحقاق

23. حقيقة الاستحقاق

1. تعليم البروتستان

أنكر **البروتستان** حقيقة الاستحقاق الفائق الطبيعة. فقال لوتير في أول امره بأن كل أعمال البار هي ذاتها خطايا بسبب الخطيئة الباقية فيه (انظر.771D: يرتكب البار خطيئة في كل عمل صالح). الا أنه قال بعدئذ بأن البار يستطيع، بل يجب عليه أن يعمل أعمالًا صالحة، بمعونة الروح القدس الذي قبله. الا أنه أنكر قيمتها الاستحاقية. وقال **كلفان** بأن أعمال الانسان كلها "دنس وقذارة" في عين الله. وتخطئ البروتستانية باعتقادها أن التعليم الكاثوليكي عن الاستحقاق هو بخس لقدر النعمة واستحقاقات المسيح، ورفع من شأن قداسة الأعمال الخارجية، وسعي دنئ وراء الأجرة، واعتداد فريسي.

(في شأن الاستحقاق، انظر المتاب الثالث الجزء الثاني1/11)

1. تعليم الكنيسة

- **يكتسب البار حقيقة، بأعماله الصالحة، الحق بأجر من الله فائق الطبيعة.** من الايمان.

حدَّد مجمع اورانج الثاني، مع القديس بروسير الاكيتاني والقديس اوغسطينوس، بقوله: "يحق للأعمال الصالحة **أجر** بعد تحقيقها. لكن النعمة الالهية، التي لاسبيل الى استحقاقها، تسبق هذه الأعمال لتأتي صالحة" (.191D). ويقول مجمع ترانت بأن الحياة الأبدية هي معًا للمتبررين عطية وعد بها المسيح، **وأجر** لأعمالهم الصالحة واستحقاقاتهم (.809D). ولما كانت النعمة الإلهية الشرط والأساس للأعمال الصالحة التي تستحق السماء، كانت هذه الأعمال الصالحة عطيةً من الله وأجرًا للانسان، في آن واحد (.810D). والمجمع

ينبّه الى مدار الكلام عن استحقاق "حقيقي" (.842D)، أي عن استحقاق يقتضيه العدل (انظر.835D_ 836).

2. البرهان المأخوذ من الايمان

في الكتاب المقدس أن السعادة الأبدية هي أجر الأعمال الصالحة في هذه الحياة (أجر، ثواب، مكأفاة). لكن الأجر والاستحقاق هما فكرتان متلازمتان. **فيسوع** يعد المضطهَدين لأجله بمكأفاة وافرة في السماء: "افرحوا وابتهجوا فأن أجركم عظيم في السماء" (متى12/5). والديان الأعظم يبني حكمه للأبرار على أعمالهم الصالحة: "تعالوا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم، لأني جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريبًا فآويتموني وعريانًا فكسوتموني ومريضًا فعدتموني ومحبوسًا فأتيتم اليَّ" (متى34/25). وسبب الأجر هذا يكرره يسوع مرارًا في خطابه (انظر □تى29/19؛ 21/25؛ لوقا38/6). **والقديس بولس** الذي يشيد بالنعمة يذكر بوضوح ما للأعمال التي نأتيها مع النعمة من أجر، معلنًا أن الأجر انما هو على قدر الأعمال: "أن الله سيكافئ كل أحد بحسب أعماله" (روم6/2). "أن كل أحد يأخذ أجرته على قدر تعبه" (1كور8/3؛ انظر كولوسي24/3؛ عبرانيين35/10؛ 6/11). ويصف الأجر الأبدي "باكليل العدل الذي يجزي به اليان العادل"، وبذلك القول يبيّن أن أعمال البار الصالحة تكسبه حقًا عند الله بالأجر (انظر عبرانيين 10/6؛ رؤيا يوحنا12/22).

منذ عهد الآباء الرسوليين يقرّ التقليد للأعمال الصالحة بصفة الاستحقاق. فيكتب القديس **اغناطيوس الأنطاكي** الى القديس بوليكربوس: "حيث يكثر التعب هناك يكثر الأجر"(3/1). "اجتهد في إرضاء رئيسك لأنك منه ستأخذ أجرتك... واجعل من أعمالك خزانتك لتقبض منها يومًا مبالغ وافرة" (2/4) (انظر القديس يوستينوس، في الدفاع عن الدين43/1). وهو **ترتليانوس** الذي ادخل كلمة "استحقاق"، دون مع ذلك أن يدخل جديدًا في التعلم التقليدي. والقديس **اوغسطينوس** كان أكثر من اشاد من الآباء الأقدمين بدور النعمة في الأعمال الصالحة في كفاحه ضد البيلاجيين، ومع ذلك فلم يكفّ يومًا عن القول بأن للأعمال التي يأتيها البار بمعونة صفة الاستحقاق. الرسالة19/5/194: "ما استحقاق الانسان قبل النعمة؟ فهو انما بالنعمة ينال النعمة، اذ أن كل استحقاق نحصل عليه انما هو من النعمة، وأن الله اذا يكافئ استحقاقاتنا انما يكافئ عطاياه".

لا سبيل للعقل الطبيعي الى اثبات حقيقة الاستحقاق الفائق الطبيعة، لأن هذا الاستحقاق يقوم على وعد حر من الله بمكأفاة. الا أنه يستطيع أن يظهر، بناء على الضمير الانساني العام، مايليق للأعمال الصالحة الحرة الفائقة الطبيعة من مكأفاة فائقة الطبيعة (انظر القديس توما1/2: 1/114).

24. شروط الاستحقاق

1. من جهة العمل المستحق

يجب أن يكون العمل المستحق:

آ) **صالحًا أدبيًا**، أي مطابقًا للشريعة الأدبية في موضوعه، غايته، وظروفه. انظر أفسس8/6: "تعلمون أنها مهما عمل كل واحد من الخير فسيناله من الرب عبدًا كان أو حرًا". والله، القداسة المطلقة، لا يستطيع أن يكافئ الا الخير.

ب) □رًا من كل اكراه خارجي واضطرار باطني. وقد أدان البابا اينوشنسيوس العاشر كبدعة التعليم الجانسيني القائل بأن التحرر من الاكراه الخارجي هو كاف، في حال الطبيعة الساقطة، للثواب والعقاب (.1094D). انظر ابن سيراخ10/31؛ متى 17/19: "أن كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا". ومتى21/19؛ 1كور17/9. ويقول القديس ايرونيموس: "حيث اضطرار فلا مكأفاة" (ضد جوفنياس3/2). ويشهد الضمير الانساني العام على أن العمل الحر وحده يستحق ثوابًا أو عقابًا.

ج) **فائق الطبيعة**، أي تثيره وتسير به النعمة الفعلية ويصدر بدافع فائق الطبيعة. فالمتبرَّر بحاجة هو أيضًا الى النعمة الفعلية ليأتي افعالًا خلاصية (3/8). والدافع الفائق الطبيعة الضروري، لأن الانسان الذي يعمل هو ذو عقل وارادة، وبالتالي يجب عليه أن يوجه عمله باختياره الى الغاية الفائقة الطبيعة. وقد وعد **يسوع** بمكأفاة الأعمال التي تؤتى لأجله. مرقس40/9: "من سقاكم كأس ماء بارد باسمي بما أنكم للمسيح فالحق أقول أنه لا يضيع أجره" (انظر متى42/10؛ 29/19؛ لوقا48/9). **والقديس بولس** يحضّ

على عمل كل شئ باسم الرب يسوع أو لمجد الله. كولوسي17/3: "مهما أخذتم فيه من قول أو فعل فليكن الكل باسم الرب يسوع شاكرين به لله الآب".

أما في شأن طبيعة الدافع للعمل فيشرحها القديس توما ومعظم اللاهوتيين شرحًا أدق بقولهم ان محبة الله محبة كاملة هي الدافع الضروري للعمل الصالح لكي يكون له استحقاقه. ونجد أساسًا لهذا التعليم في أقوال الرسل بأن الأعمال الصالحة ليست شيئًا بدون المحبة(1كور3/2/23)، و بأن الله وعد الذين يحبونه باكليل الحياة الأبدية(يعقوب12/1؛ 1كور9/2). وليس من ضرورة، كما يزعم بعض اللاهوتيين (باينيس)، لأن تكون محبة الله الدافع الفعلي لكل عمل بمفرده، بل يكفي التأثير الضمني لفعل محبة سابق يقدّم به البار الى الله ذاته وأعماله كلها. فالمحبة تتناول في الصميم كل أعمال الانسان الصالحة وتوجّهها الى الغاية القصوى الفائقة الطبيعة، ما دامت في النفس بصورة عادية. ويعلّم القديس توما بواضح الكلام أن كل عمل خال من الخلل الأدبي يأتيه البار هو عمل استحقاقي، وأن لم يفكر حاليًا في الله (عن الشر5/2، اعتراض11). والاستحقاق على قدر المحبة، وعليه فمن المستحسن أن نستثير فينا كثيرًا محبة الله (النية الصالحة).

2.من جهة الانسان الذي يستحق

يجب أن يكون:

آ) **"في حال الطريق"**، أي أنه لا يزال يقضي غربته على هذه الأرض، لأن إمكان الاستحقاق هو مقصور، بتدبير خاص من الله، على الوجود في قيد الحياة. انظر يوحنا4/9: "سيأتي الليل الذي لا يستطيع أحد فيه عملًا". وفي الرسالة الثانية الى الكورنتيين10/5 يقاس الأجر بما يكون الانسان قد صنعه "هو في الجسد"، أي في هذه الحياة الدنيا (انظر متى34/25 وما يلي؛ لوقا26/16). وقد نبذ الآباء رأي اوريجانس القائل بامكان التوبة والاستحقاق في الحياة الأخرى. ويصرح القديس فلجنسيوس: "أن الله لم يعط الناس الوقت لاكتساب الحياة الأبدية إلا في هذه الحياة" (في الايمان الى بطرس36/3).

ب) **في حالة النعمة**، فيما يختص بالاستحقاق بمعناه الحصري (من قبيل العدل). وتحديدات مجمع ترانت في الاستحقاق تطلق كلها على المبررين دون غيرهم (.836D، 842). وقد أدين تعليم بايوس المضاد لذلك(.1013D وما يلي). **ويسوع** يقتضي من المسيحي الاتحاد الدائم معه شرطًا أساسيًا لكي يأتي بثمار فائقة الطبيعة: "كما أن الغصن لا يستطيع أن يأتي بثمر من عنده أن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضًا أن لم تثبتوا في"(يوحنا4/15). **والقديس بولس** يقتضي للعمل الاستحقاقي المحبة مقرونةً دون انفصام بحال النعمة

(1كور3/2/13). ويقول القديس اوغسطينوس بأن المتبرر بالايمان يستطيع وحده أن يعيش جيدا ويعمل جيدا.

حالة النعمة هذه يمكن اثبات ضرورتها للاستحقاق، **نظريًا**، من أنه بين العمل الذي يستحق الثواب والثواب الذي يعطيه المثيب لا تكون معادلة جوهرية الا اذا كان الذي يستحق الثواب قد رفعته النعمة الفائقة الطبيعة الى حالة صديق ابن الله.

3. من جهة الله الذي يكافئ

يتعلق الاستحقاق بقرار من الله حر بمكأفاة الأعمال التي تؤتى بالنعمة بالسعادة الابدية. وبسبب المسافة غير المتناهية التي تفصل بين الخالق وخليقته، لا يستطيع الانسان أن يجعل الله مدينًا له الا اذا أقام الله نفسه مدينا بقرار منه حر. والحال أن الله قد اتخذ مثل هذا القرار بوعده بالمكأفاة الأبدية. انظر متى3/5 وما يلي (التطوبيات الثمان)؛ 29/19 (الجزاء مئة ضعف)؛ 34/25 وما يلي (حكم الديان الأعظم). **والقديس بولس** يتكلم "عن رجاءالحياة الأبدية التي وعد بها الله الذي لا يكذب من قبل الأزمنة الدهرية" (تيطس2/1) (انظر 1تيمو8/4؛ يعقوب12/1)._ ويصرح القديس **اوغسطينوس**: "أقام الله نفسه مدينًا لنا بالاستدانة، بل بالوعد. فلا تستطيع أن نقول له: ردَّ ما أخذت، بل كل ما نستطيع أن نقول له: برّ بما وعدت" (في شرحه للمزمور16/83)(القديس توما2/1: 1/114 على الثالث).

يرى **السكوتيون الإسيمون** أن للأعمال الصالحة استحقاقًا بسبب قبول الله لها، لا غير. فالله قادر على أن يجعل الأعمال الصالحة الطبيعة ذات استحقاق ويكافئها بالحياة الأبدية. ويرى **التوماوين**، ورأيهم أرسخ أساسًا، أن الأعمال الصالحة هي ذات استحقاق أيضًا بسبب قيمتها الذاتية بعد أن تمَّت بحالة النعمة. ولا غرو فالنعمة تخلق معادلة جوهرية بين الأعمال الصالحة ومكأفاتها الأبدية، كما يتضح من معنى الاستحقاق الذي هو من قبيل العدل.

تعليق: أن شروط الاستحقاق الذي هو قبيل اللياقة هي الشروط ذاتها التي هي للاستحقاق الذي هو من قبيل العدل، باستثناء حالة النعمةووعد الله بالمكأفاة.

25. موضوع الاستحقاق

1. موضوع الاستحقاق الذي من قبيل العدل (de condigno)

*** الانسان المبرر يستحق بأعماله الصالحة زيادة النعمة المبررة، والحياة الابدية، ومزيدا من المجد السماوي.** من الايمان.

حدَّ مجمع ترانت: "من قال أن المبرَّر لا يستحق حقًا بالأعمال الصالحة زيادة النعمة، والحياة الأبدية (اذا توفي في النعمة)، وزيادة المجد أيضًا، فليكن محرومًا" (.842D). وبناءً على هذا التحديد يجب أن نميّز ثلاثة مواضيع للاستحقاق بمعناه الحقيقي الحصري:

آ) زيادة النعمة المبررة

لما كانت النعمة أول المجد، وكان المجد على مقدار الأعمال، وجب أن تنمو النعمة بنمو الأعمال. وكما أن المجد هو موضوع للاستحقاق، فكذلك زيادة النعمة أيضًا (انظر.803D، 834).

يرى القديس توما أن النعمة لا تزداد دائمًا بعد انجاز عمل صالح مباشرة، وانما تزداد عندما تكون النفس مستعدة لها استعدادًا لائقًا (القديس توما2/1: 8/114 على الثالث).

ب) الحياة الأبدية

أو بالحري الحق بالحياة الأبدية، ثم الحصول عليها فعلًا اذا ما كان الانسان عند الموت في حال النعمة.

وفي الكتاب المقدس أن الحياة الأبدية هي مكأفاة الأعمال الصالحة التي تتمّ في هذه الحياة (انظر متى29/19؛ 46/25؛ روم6/2).

ينجم عن فقدان النعمة المبررة بالخطيئة الثقيلة فقدان كل الاستحقاقات المكتَسبَة، فتُصبح الأعمال الصالحة وكأنها ميتة. الا أنها تبعث مجددًا، على قول اللاهوتيين عامةً، بالنعمة المبررة (انظر سر التوبة3/16).

ح)زيادة المجد السماوي

يقول مجمع فلورنس في تحديده بأن مقياس المجد السماوي يختلف عند

المختارين باختلاف استحقاقاتهم. وعليه فزيادة الاستحقاقات تسبّب أيضًا زيادة المجد. فيقول القديس بولس: "أن من يزرع قليلًا يحصد قليلًا، ومن يزرع البركات يحصد البركات" (2كور6/9؛ انظر متى27/16؛ رومانيين7/6/2؛ يعقوب12/1؛ 1كور8/3؛ رؤيا يوحنا12/22).

ويلاحظ **ترتليانوس** قائلًا: "لماذا كثرة المنازل في بيت الآب الا لاختلاف الاستحقاقات؟" وقد دحض القديس ايرونيموس تعليم جوفنيانوس في وحدة المجد السماوي بين المختارين جمعيهم (ضد جوفنيانوس34/32/2).

3.موضوع الاستحقاق الذي من قبيل اللياقة (de congruo)

ليس من قرارات تعليمية للكنيسة في هذا الموضوع. ولما كانت كلمة "الاستحقاق من باب اللياقة" تحتمل معاني كثيرة، بسبب أن ما قام عليها من الحق بالجزاء يحتمل مقادير مختلفة، فقد تعدت آراء اللاهوتيين في شأن هذا الاستحقاق.

آ) استحقاق خاطئ

مَن يرتكب خطيئة مميتة يستطيع، بتعاونه مع النعمة الفعلية، أن يستحق، من باب اللياقة، الحق بنعم فعلية أخرى يستعد بها للتبرير، وأخيرًا **الحق بالنعمة المبررة** نفسها (**قضية محتملة**). انظر المزمور19/50: "القلب المنكسر المنسحق لا ترذله يا الله". ويقول القديس اوغسطينوس عن العشار (لوقا 14/9/18) أنه نزل الى بيته مبررًا، بسبب ما استحق بواسطة تواضعه المفعم ايمانًا (الرسالة9/3/194).

ب) استحقاق المبرَّر

1ً يستطيع الانسان المبرر أن يستحقّ، من باب اللياقة، نعمة **الثبات الى النهاية**، اذ يليق بالله أن يمنح البار، الذي تعاون باخلاص مع النعمة، النعم الفعلية اللازمة لحفظ حالة النعمة(**قضية محتملة**).

أن الحق البار، المبني على الأعمال الصالحة، بنعمة الثبات، لحق ضئيل قليل الأمل بالنجاح. وأكثر منه نجاحًا الصلاة المتواضعة المتواصلة. انظر متى7/7: "اطلبوا تجدوا"؛ ويوحنا23/16: "أن كل ما تسألون الآب باسمي يعطيكموه". (القديس اوغسطينوس، في موهبة الثبات10/6).

2ً يستطيع الانسان المبرر أن يستحق، من باب اللياقة، **استعادة نعمة التبرير** اذا ما سقط يومًا في الخطيئة، اذ يليق بالله أن يعيد النعمة بمحض رحمته الى الخاطئ الذي صنع في ماضيه الكثير من الخير وهو في حالة النعمة (**قضية محتملة**).

عندما يعلّم القديس توما (7/114/21) أن الانسان لا يستطيع أن يستحقّ لا من باب العدل ولا من باب اللياقة التوبة بعد الخطيئة، فإنه يأخذ كلمة استحقاق اللياقة بمعناها الحصري. وهو في شرحه للرسالة الى العبرانيين(3/6) يأخذ الكلمة بمعناها الواسع ويقول بامكان مثل هذا الاستحقاق.

3ً يستطيع البار أن يستحق من باب اللياقة لغيره ما يستطيع أن يستحقه لنفسه، وعلاوة على ذلك النعمة الفعلية الأولى (**قضية محتملة**).

امكان الاستحقاق للغير يقوم على صداقة الله التي في البار وعلى شركة القديسين. والصلاة للغير هى انجع من الاستحقاق(انظر يعقوب16/5: "صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تبرأوا؛ ما اعظم قوة صلاة البار الفعالة"؛ 1تيموتاوس4/1/2).

هو المسيح وحده، من حيث أنه رأس الكنيسة وصانع الخلاص(عبر10/2) يستطيع أن يستحق للغير من باب العدل(انظر2/1: 6/114).

4ً ليست **الخيرات الزمنية** موضوع استحقاق فائق الطبيعة الا بمقدار ما تصلح كوسائط للخلاص الأبدي (**قضية محتملة**). (انظر القديس توما2/1: 10/114).

الجزء الثاني

الكنيسة

الفصل الأول

أصل الكنيسة الالهية

1. مدلول الكنيسة

1. شرح الكلمة

أن كلمة Ecclesia باللاتينية، ومنها الفرنسية Eglise، هي تقل للكلمة (اليونانية) التي تعني جماعة. والكتاب المقدس يستعملها (وقد نقلتها الترجمة السبعينية من العبرية "قاهل" بالمعنى **العالمي** والديني. فهي تدل بالمعنى **العالمي** على جماعة الشعب، على جمعية مدنية، على مجتمع بشري أيًا كان. مثلًا المزمور5/25: "ابغضت مجمع الأشرار"؛ وابن سيراخ34/23؛ أعمال الرسل19: 32، 39، 40؛ وبالمعنى **الديني** على جماعة الله، أي، كما في العهد القديم، على جماعة الاسرائيليين(مثلًا المزمور26/21،23، 26؛ 10/39)؛ وفي العهد الجديد على اجتماع أو جماعة المسيحيين سواء أكانت جماعة بمفردها كالجماعة التي في بيت اكيلا وبرسكا(رومانيين5/16)، وكالجماعة التي في أورشليم(أعمال1/8؛ 22/11) أو في انطاكيا(أعمال1/13؛ 26/14) أو تسالونيكي(1 و 2تسالونيكي1/1)، أم جماعة المسيحيين عمومًا(مثلا متى18/16؛ أعمال31/9؛ 28/20؛ غلاطيا13/1؛ أفسس22/1؛ 23/5 وما يلي؛ فيلبي6/3؛ كولوسي18/1؛ 1تيمو15/3). والكلمات المترادفة لها هي: ملكوت السماء(متى)، ملكوت الله، بيت الله (1تيمو15/3؛ عبر21/10؛ 1بطرس17/4)، المؤمنون(أعمال44/2).

وكتاب التعليم المسيحي الروماني(2/10/1) يحدد الكنيسة، بالاستناد الى ما ورد في القديس اوغسطينوس(في شرح المزمور3/149) بقوله: "الكنيسة هي جماعة المؤمنين المنتشرة على وجه الأرض".

2. شرح الموضوع

- **الكنيسة هي جسد يسوع المسيح السري**. قضية أكيدة.

أعلن البابا بيوس الثاني عشر في رسالته Mystici Corporis (1943): "لتحديد ماهية كنيسة المسيح الحقة التي هي الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية ليس بأشرف وأكمل واقدس من العبارة التي تقول بأنها جسد يسوع المسيح السري".

يعلّم القديس بولس أن الكنيسة، جماعة المسيحيين، هي جسد المسيح، وأن المسيح هو الرأس لهذا الجسد، وبهذه الصورة من الرأس والجسد يكشف لنا عن الاتحاد الروحي الصميم، المبني على الايمان والمحبة والنعمة، بين المسيح وكنيسته. أفسس22/1: "اخضع كل شئ تحت قدميه وجعله رأسًا فوق الجميع للكنيسة التي هي جسده"؛ كولوسي18/1: "وهو رأس جسد المسيح"؛ 1كور27/12: "انتم جسد المسيح، وكلٌّ منكم هو عضو من أعضائه"(انظر روانيين4/12؛ كولوسي19/2؛ افسس15/4؛ 23/5).

تعليم الكتاب المقدس هذا يواصله التقليد الكنسي، فيقول **اقليمندوس** المزعوم (منتصف القرن الثاني): "لا تجهلون على ما أظن أن الكنيسة الحية هي جسد المسيح"(كور2/14). وعلى السؤال عن ماهية الكنيسة يجيب القديس **اوغسطينوس** بقوله: "أنها جسد المسيح. اضف اليه الرأس(=المسيح) فيصير إنسانا. فالراس والجسد انسان واحد"(عظة5/45).

وفي مستهل القرون الوسطى (Ratramna, Paschase Radbert) أطلقت كلمة "جسد المسيح السري" على الكنيسة، وهي غير كلمة "جسد المسيح الحقيقي" التي اطلقت على جسد المسيح التاريخي وفي الأسرار. واطلقت المدرسة، في أول عهدها، كلمة "جسد المسيح السري" على الاوخارستيا، تمييزًا لجسد المسيح في الأسرار عن جسد المسيح التاريخي. ولم تطلق هذه الكلمة على الكنيسة ويعم استعمالها الا في أواخر القرن الثاني عشر. وكلمة"سري" (=رمزي) تدل على ما في الوحدة الفائقة الطبيعة بين المسيح والمؤمنين من سرّ لا يسبر له غور.

3. تقسيم الموضوع

آ) جسد المسيح السري هو، **بالمعنى الواسع**، جماعة الذين يتبرّرون بنعمة المسيح. وتضم هذه الجماعة كل المؤمنين على الأرض، وكل الأبرار في المطهر، وكل القديسين في

السماء. وعليه نميّز بين الكنيسة والمجاهدة، والكنيسة المتألمة، والكنيسة الظافرة.

ب) وجسد المسيح السري هو، **بالمعنى الحصري**، الكنيسة المنظورة على الأرض. وكثيرًا ما يحصى القديس اوغسطينوس(في المزمور1/2/90) والقديس غريغويوس الكبير(الرسالة18/5) واللاهوتين، في صف الكنيسة، كل الذين سبقوا المسيح وكانوا متحدين معه اتحادًا روحيًا بايمانهم بالمخلص الآتي. ونميز كنائس مختلفة لمختلف حقب الخلاص، فنقول: كنيسة الناموس الطبيعي، وكنيسة الناموس الموسوي، وكنيسة الناموس الانجيلي أو كنيسة العهد الجديد التي أسسها المسيح. وعلى هذه الكنيسة الأخيرة يدور الكلام في هذا الكتاب.

وفي معنى كنيسة العهد الجديد، كما في معنى السر، وجهة **خارجية** ووجهة **باطنية**. فالوجهة الخارجية هي التنظيم الشرعي الخارجي الذي مصدره المسيح، والوجهة الباطنية هي اتحاد الانسان والمسيح اتحادًا باطنيًا فائق الطبيعة مصدره الروح القدس. ولئن كان هذان العنصران من معنى الكنيسة، الا أنهما يختلفان الواحد عن الآخر اختلافًا جوهريًا، كاختلاف العلامة الحسية والنعمة الداخلية في سرّ من الأسرار. وقد بيَّن القديس **بلّرمينوس**، في تحديده المعروف، الجانب الشرعي الخارجي من الكنيسة، بقوله: "الكنيسة هي جماعة من الناس يربطهم الايمان المسيحي الواحد، وشركة الأسرار الواحدة، تحت رعاة شرعيين على راسهم الحبر الروماني نائب المسيح الأوحد على الأرض". وبيّن **مهلر** Mohler الجانب الداخلي التبريري من الكنيسة، بقوله: "باسم كنيسة الأرض يعني الكاثوليك جماعةً من المؤمنين منظورة أسسها المسيح لتواصل حتى منتهى الدهر العمل الذي قام به أثناء حياته على الأرض لأجل مصالحة البشر وتقديسهم، وذلك تحت ارشاد الروح القدس، بواسطة رسالة لا تنقطع اقامها هو بنفسه. وفي هذه الكنيسة أيضًا يرد الأمم كلها، على مرّ الزمان، الى الله... فالكنيسة المنظورة هي اذًا ابن الله يواصل حياته بين الناس على شكل بشري، يتجدد دون انقطاع، فلا تبلي جدته الى الأبد. والكنيسة هي تجسد المسيح الدائم، كما أن الكتاب المقدس يدعو المؤمنين جسد المسيح" (Symbolik& 36).

2. تأْسيس المسيح للكنيسة

1. العقيدة والمبتدعون

- **أسس الكنيسة الانسان_ الاله، يسوع المسيح.** من الايمان.

أعلن مجمع الفاتيكان الأول، في منشوره العقائدي عن كنيسة المسيح: "أن الراعي الصالح أسقف نفوسنا (1بطرس25/2) أراد، كي يمتدّ عملُ الفداء الى ما لا نهاية، أن يؤسَّس الكنيسة المقدسة، التي تضمّ، كما في بيت الله الحي، كل المؤمنين، في وحدة الايمان والمحبة" .1821D. وفي القَسَم ضد المودرنست (1910) يعلن البابا بيوس العاشر "أن الكنيسة قد أسسها المسيح التاريخي الحقيقي شخصيًا ومباشرة، في زمن حياته الأرضية" .2145D. ونقصد بتأسيس المسيح للكنيسة أنه وضع بنفسه أساسات الكنيسة الجوهرية في تعليمها وعبادتها ودستورها.

يقول البروتستان بأن المسيح أسس كنيسة غير منظورة، وبأن تنظيم الكنيسة الشرعي هو من وضع بشري. **والكنيستان الأرثوذكسية والانكليكانية** تقولان بكنيسة. ويزعم علم **اللاهوت الحر** الحديث أنه لم يكن في نية المسيح أن يفصل تلاميذه عن الهيكل وينشئهم جماعة دينية مستقلة. الا أن هذين الأمرين قد تمَّا بفعل العوامل الخارجية. ويقول **المودرنست** بأن المسيح كان ينظر الى ملكوت السماء، الذي أنبا بوشيك وقوعه، نظره الى رؤيا أخر الزمان(eschatology)، على ما كانت سائدة في آخر عهد اليهودية. ولما كان يرى نهاية العالم وشيكة، كان أبعد من أن يفكر بتأسيس كنيسته على شكل جماعة لتبقى مدى الأجيال على الارض. فالكنيسة انما خرجت من ضمير الجماعة الذي كان يدفع المؤمنين على التجمع في جماعة(.2052D_ 2091).

2. تأسيس الكنيسة، حسب الكتاب المقدس والتقليد الكنسي

آ) كان أنبياء العهد القديم قد أنبأوا بعهد المسيح الآتي وبتأسيس ملكوت جديد لله لا يكون مقصورًا على شعب اسرائيل وحده، وانما يضم الشعوب كلها (انظر اشعيا2/2_ 4؛ ميخا1/4_ 3؛ اشعيا60). وقد بدأ **يسوع** رسالته العلنية بالدعوة الى "ملكوت السماء"(متى)، أو "ملكوت السماء" (في سائر الأناجيل): "توبوا فقد اقترب ملكوت السماء"(متى17/6؛ انظر7/10). وقد دلَّت معجزاته

على أن ملكوت السماء قد جاء(متى28/12). والشروط التي يقتضيها يسوع للدخول الى ملكوت الله تتميم البر(متى20/5)، وحفظ ارادة الآب(متى21/7)، وروح الطفولة(متى3/18). وهو يناشد سامعيه بأن يطلبوا أولًا ملكوت الله (متى33/6)، ويتوعَّد الفريسين بأقصائهم عن ملكوت الله(متى43/21؛ 13/23)، وينبئ بخروج الأمر في ملكوت الله من يد اليهود الى الأمم(متى43/21). ولا يحمل يسوعُ ملكوتَ الله على المعنى الدال على آخر الزمان. فهو ملكوت قد بني ليدوم على الارض، إلا أنه سيكتمل في الاخرى. وأمثال كثيرة تصف شكل ملكوت الله الحاضر كمثل الزارع، والزؤان والحنطة، والخميرة في العجين، وحبة الخردل.

وبخلاف جماعة العهد القديم التي كانت تُدعي جماعة يهوه، فقد سمي يسوع الجماعة الدينية الجديدة التي أراد انشاءها جماعته، فقال في متى18/16: "أنت هو الصخرة ولعى هذه الصخرة ابني كنيستي". وفي هذا القول ما فيه من الدلالة الواضحة على ما عزم يسوع من انشاء جماعة دينية جديدة منفصلة عن الهيكل. وهو السبب جمع حوله تلامذة(متى18/6 وما يلي)، واختار منهم اثني عشر لكي يجعلهم من صحابته ويرسلهم للتبشير، مزودًا اياهم بالسلطان على طرد الشياطين(مرقس15/14/3). ولذلك سمَّاهم رسلًا(لوقا13/6) أي مرسَلين (وهي ترجمة للكلمة العبرية (_)، والآرامية(_)= المرسل).

وقد دأب طوال معهم في معاشرة صميمة على تدريبهم لرسالة التبشير(مرقس34/6؛ متى52/13)، وأولاهم سلسلة من السلطات: سلطة الربط والحل (متى17/18)، أي السلطة التشريعية والقضائية والجزائية، وسلطة تكريس سر الخبز والخمر(لوقا19/22)، وسلطة غفران الخطايا(يوحنا23/20)، وسلطة التعميد(متى19/28). وقد أرسلهم الى العالم كله ليبشّروا بالانجيل ويعمّدوا(متى20/19/28؛ ومرقس16/15/16). وقبل أن يعود الى الآب نقل سلطته الى الرسل: "كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم"(يوحنا21/20)،وجعل الرسول بطرس رأسًا للرسل ورئيسًا أعلى للكنيسة(متى18/16؛ يوحنا18/16؛ يوحنا17/15/21). فكنيسته التي أسسها عالمية، وتعليمه الذي تجاوز به العهد القديم سوف يقضيان بالجماعة المسيحية الأولى حتمًا الى الانفصال عن الهيكل والمجمع.

ويصف **القديس بولس** المسيحَ بأنه "حجر الزاوية" في أساس الهيكل

الروحي الذي هو جماعة المؤمنين(أفسس20/2)؛ فهو البناء الذي "فيه أنتم أيضًا □ُبنون"، وعليه يواصل مبشرو الانجيل عملهم الرسولي(1كور11/3). فالمسيح هو رأس الكنيسة(أفسس23/5؛ كولوسي18/1)، والكنيسة هي مملكته التي اشتراه بدمه(أعمال28/20)، وعروسه التي أحبها وبذل نفسه لأجل ليقدسها... وليهديها لنفسه كنيسةً مجيدة(أفسس27/25/5). وقد أخذ الرسل بكلام المسيح، فبشروا اليهود والأمم بالانجيل، واسسوا جماعات مسيحية مرتبطة بعضها ببعض بالايمان الواحد برعاية الرسل (انظر كتاب "أعمال الرسل" ورسائل القديس بولس).

ب) ويرى الأباء في الكنيسة ومؤسساتها عمل المسيح، بوجه عام. فالقديس **اقليمندوس الروماني** يردّ مجمل أنظمة الكنيسة الى الرسل، وبواسطة الرسل الى المسيح فالله (في رسالته الى أهل كورنتس42). ويعلق القديس **قبريانوس** على متى 18/16 فيسمى الكنيسة، في سياق حديث عن□أسيس المسيح لها، "كنيسة المسيح"، "وعروس المسيح" (في وحدة الكنيسة 4 و 6).

أما **زمن** □أسيس المسيح للكنيسة، فهناك مراحل مختلفة: "الاستعداد لها مدة رسالته العلنية، والاستكمال لأسبابها بموت المسيح على الصليب، وانطلاقها الى العالم يوم العنصرة بعد حلول الروح القدس. فالعنصرة الأول هي بمثابة يوم مولد للكنيسة.

3. غاية الكنيسة

1. مواصلة رسالة المسيح

- **أسس المسيح الكنيسة لتواصل عمله الفدائي في كل الأزمنة**. من الايمان.

أعلن المجمع الفاتيكاني الأول في هذا الشأن: "صَّمم المسيح على□اسيس الكنيسة ليديم عمل الفداء الخلاصي الى الابد" (.1821D). وقال لاون الثالث عشر رسالته Satis cognitum (1896): "ماذا بغي المسيح من□أسيسه الكنيسة؟ وماذا أراد؟ أن يكل الى الكنيسة ما وكل اليه الآب من مهمة ورسالة

لتواصلهما". وبعد أن اكتسب المسيحُ بعمله نفسه ثمارَ الفداء بقي على الكنيسة أن توزع ثمار الفداء هذا على البشر. وهذا ما تعمله الكنيسة بواسطة السلطات الثلاث التي زوَّدها بها المسيح: التعليمية والراعوية والكهنوتية. فالكنيسة اذًا هي المسيح بتابع حياته وعمله على الأرض.

فوَّض **المسيح** الى الرسل رسالته:"كما أرسلني أبي الى العالم أرسلتهم أنا الى العالم"(يوحنا18/18). "كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم" (يوحنا21/20). ولكن رسالة المسيح هذه غايتها الخلاص الأبدي: "انما أتيتُ لتكون لهم الحياة وتكون أوفر"(يوحنا10/10). "لأن ابن الانسان أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا10/20). وللقيام بهذه المهمة اعطي يسوع كنيسته ملء السلطان على المناداة بالحقيقة(الوظيفة التعليمية)، والسهر على حفظ وصاياه(الوظيفة الراعوية)، وتوزيع وسائل النعمة (الوظيفة الكهنوتية). متى19/28: "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر". لوقا16/10: "من سمع منكم فقد سمع مني. ومن احتقركم فقد احتقرني، ومن احتقرني فقد احتقر الذي أرسلني". انظر متى18/18 (سلطة الربط والحل)؛ مرقس150/16التبشير والتعميد)؛ لوقا19/22(الاوخاستيا)؛ يوحنا23/20(مغفرة الخطايا).

وقد اعتبر **الرسلُ** أنفسَهم، بناءً على كلام المسيح، خدامه ورسله ووكلاء اسرار الله. انظر 1كور1/4 "فليحسبنا الانسان كخدّام المسيح ووكلاء اسرار الله"؛ 2كور20/5 "فنحن سفراء المسيح، كأن الله يعظ على ألسنتنا".

غاية الكنيسة اذًا هي تقديس الناس بالحقيقة والوصايا والنعم التي توزّعها عليهم. لكنها الغاية القريبة، أما الغاية القصوى الأخيرة فهي تمجيد الله.

2. النتائج

آ) * **الكنيسة هي، بالنظر الى غايتها ووسائلها، جماعة روحية فائقة الطبيعة**. قضية أكيدة.

أعلن لاون الثالث عشر في رسالته Immortale Dei (1885): "ولئن كانت هذه الجماعة (الكنيسة) تتألف من بشر، كالجماعة المدنية، فهي مع

ذلك، بسبب الغاية المعينة لها والوسائل التي بها تسعى الى غايتها، جماعة فائقة الطبيعة وروحية. ولهذا فانها تتميز جوهريًا عن االجماعة المدنية".

قال المسيح بيلاطس: "أن مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا36/18). ويعلّق القديس اوغسطينوس على ذلك: "اسمعوا اذًا أيها اليهود والوثنيون، وأنتم يا ملوك الأرض اصغوا: أني لا أحول دون ملككم على العالم"(في يوحنا2/115).

لما كانت غاية الكنيسة محض روحية فليس لها بحدّ ذاتها أن تقوم بمهمة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية علمية. ولكن، من جهة أخرى، لما كانت الطبيعة وما فوق الطبيعة هما على صلات وثيقة من التكامل والتعاضد، كان بلوغ غايات الكنيسة الدينية هو عينه تتميمًا لغايات الجماعة المدنية. فالكنيسة ليست، كما يشهد بذلك تاريخها كله، عدوّة للمدنية والتقدم(انظر.1740D، 1799؛ رسالة لاون الثالث عشر Annum ingress (1902).

ومن أن غاية الكنيسة هي في جوهرها غاية روحية لا ينتج أنها لا تستطيع أن تقتني أموالا زمنية. ولما كان عليها أن تنجز مهمتها الروحية الفائقة الطبيعة على الأرض، مع الأرضيين، ما كانت لتستطيع، كما أنه لم يكن مؤسسها الالهي ليستطيع(يوحنا6/12؛ 29/13)، أن تستغني عن الوسائل الأرضية. وقد أدان بيوس التاسع في Syllobus (1864) العبارة التالية: "ليس للكنيسة حق طبيعي شرعي بأن تقتني وتملك"(.1726D). ومع ذلك فالمقتنيات الزمنية ليست لها غاية في ذاتها، وانما هي فقط واسطة لبلوغ غايتها.

ب)* **الكنيسة هي جماعة كاملة**. قضية أكيدة.

أعلن البابا لاون الثالث عشر، في رسالته Immortale Dei: "أن الكنيسة هي جماعة كاملة في طبيعتها وحقوقها، لأنها تملك، في ذاتها وبذاتها، بارادة مؤسسها ونعمته، كلَّ ما هو ضروري لوجودها وعملها. ولما كانت الغاية التي تسعى اليها الكنيسة هي أسمى غاية، فسلطتها هي أسمى سلطة، ولا يمكن اعتبارها دون السلطة المدنية، أو اخضاعها لها بنوع من الأنواع". ويقول لاون الثالث عشر في الرسالة نفسها في شأن العلاقات بين السلطة الكنسية والسلطة المدنية: "كل من هاتَين السلطتين مستقلة في نطاقها، ولكل من هاتين السلطتَين حدود معيَّنة يجب عليها التزامها، وقد رسمتها لها طبيعتها وغايتها القريبة"(.1866D). وقد أدان بيوس التاسع، في Syllobus(1864)، القول بخضوع السلطة الكنسية للسلطة المدنية(.1719D_ 1720).

للكنيسة، تبعًا لإرادة مؤسسها الالهي، **غاية** مستقلة تختلف عن غاية السلطة المدنية، وهي الانسان وخلاصه الأبدي، كما ولديها كل **الوسائل** اللازمة لبلوغ هذه الغاية، وهي السلطة التعليمية، والسلطة الراعوية، والسلطة الكهنوتية. وممارسة هذه السلطات الكنيسة هي، بموجب الحق الالهي، مستقلة عن كل سلطة زمنية. ولهذا السبب فالكنيسة تشجب كل تدخل للحكومة في المجال الروحي: من ترخيص تقتضيه الحكومة لاعلان شرائعها وقوانينها، ومن عقبات تقيمها في ممارسة شرعها الكنسي يتخويل المحاكم المدنية حق النظر فيه، ومن موانع تضعها في سبيل الاتصالات الأساقفة والمؤمنين بالبابا، ومن إقتحام نفسها في تنظيمات الكنيسة الداخلية(.1719D_ 1720، 1741، 1749؛ مجموعة الحق القانوني2333_ 2334).

الفصل الثاني

دستور الكنيسة

4.دستور الرئاسة في **الكنيسة**

1. **أصل نظام كنيسته دستور نظام رئاسي**. من الايمان.

تشتمل سلطة الرئاسة في الكنيسة على السلطة التعليمية، والسلطة الراعوية(= التشريعية والقضائية والجزائية)، والسلطة الكهنوتية. وهذه السلطات الثلاث تقابل الوظائف الثلاث التي قام بها المسيح كانسان لخلاص الانسان: الوظيفة النبوية أو التعليمية، والوظيفة الراعوية أو الملكية، والوظيفة الكهنوتية. وقد قلد يسوع رسله هذه الوظائف مع السلطات التي تقابلها.

وضد البروتستان الذين يرفضون الكهنوت الخاص ونظامَ الرئاسة ولا يعترفون الا بالكهنوت العام، كهنوت كل المؤمنين، يقول مجمع ترانت بوجود نظام للرئاسة أقامته السلطة الالهية في الكنيسة الكاثوليكية: "من قال أن ليس في الكنيسة الكاثوليكية مراتب رئاسة انشأتها السلطة الالهية فليكن محرومًا"(.966D). وقد أدان **البابا بيوس السادس** كبدعة تعليم مجمع بستوا الغليكاني(gallican) القائل بأن الله قد فوض السلطة الكنسية مباشرةً الى الكنيسة أي الى جماعة المؤمنين،

وبواسطة الكنيسة الى رعاتها(.1502D). وفي تعليم الكنيسة أن المسيح قلَّد رسله مباشرة السلطة الروحية. وقد أدان **بيوس العاشر** رأي المودرنست القائل بأن مراتب الرئاسة الكنسية هي نتيجة لتطور تاريخي تقدمي(.2054D).

لم يقبل **البابا بيوس الثاني عشر**، في رسالته Mystici Corporis(1943)، بالتمييز بين كنيسة المحبة وكنيسة الشرع، لأن هذا التمييز يفترض أن المسيح أسَّس كنيسةً كانت في أصلها جماعة دينية مزوَّدة بالقوات (Charismes) يشدها رباط المحبة لا غير، ثم لم تلبث أن تحوَّلت، بتأثير الظروف الخارجية، الى جمعية منظمة تنظيمًا شرعيًا وذات دستور للرئاسة. هذا التمييز يستند الى نظرية **سوهم**(R.Sohm) التي تزعم أن جوهر شرع الكنيسة يتنافى وجوهر الكنيسة نفسها، والتي تقتضي أخيرًا الى رأي البروتستان القائل بأن الكنيسة هي جماعة من المسيحيين غير منظورة، أي لا نظام لها شرعيًا. وفي تعليم الكنيسة أن جسد المسيح السري يتضمن عنصرًا شرعيًا خارجيًا منظورًا هو الدستور الشرعي، وعنصرًا رمزيًا داخليًا غير منظور هو توزيع النعمة. كما هو الشأن في المسيح رأس الكنيسة حيث الطبيعة البشرية المنظورة والطبيعة الالهية غير المنظورة، أو كماهو الشأن في الاسرار حيث العلامة الخارجية والنعمة الداخلية.

البرهان المأخوذ من الكتاب المقدس. عهد المسيح الى رسله بالمهمة التي كان قد قبلها من أبيه(يوحنا21/20). ومهمة المسيح هذه تقتضي وظائفه الفدائية الثلاث. فأرسلهم ينادون بالانجيل في العالم كله(متى19/28؛ مرقس15/16)، وزوَّدهم بسلطانه(لوقا16/10؛ متى40/10)، ووعدهم بسلطان الحلوالربط(متى18/18)، وقلَّدهم السلطات الكهنوتية، سلطة التعميد(متى19/18)، وتكريس الاوخارستيا(لوقا19/22)، ومغفرة الخطايا(يوحنا23/20). وقد اعتبر الرسل أنفسَهم، بشهادة القديس بولس، كوكلاء المسيح، "وقد نالوا به النعمة والرسالة لطاعة الايمان في جميع الأمم لأجل اسمه"(رومانيين5/1)، "ككخدام المسيح ووكلاء أسرار الله"(1كور1/4)، وكسفراء المسيح الذي يعظ على ألسنتهم(2كور20/5)، وكرسل "كلمة المصالحة" والقائمين "بخدمة المصالحة"(2كور19/18/5). وقد أخذوا بهذه السلطات التي أُعطوها، "فخرجوا وبشروا في كل مكان"(مرقس20/16)؛ فأصدروا الى المؤمنين الوصايا والأوامر(أعمال28/15؛ 1كور34/11)، ومارسوا القضاء ونزلوا العقوبات(1كور5/3/5؛ 21/4)؛ وقد عمّدوا(أعمال41/2؛ 1كور14/1)، وكسروا الخبز(أعمال42/2، 46؛ 7/20)، وقلدوا وظائف كنيسة بوضع

الأيدي(أعمال6/6؛ 22/14؛ 1تيمو14/4؛ 2تيمو6/1؛ تيطس5/1).

بجانب الرسل ظهر في الكنيسة الأولى "الكهنة"، وقد دعوا أيضًا "أساقفة" بداعي وظيفتهم، أي محافظين(انظر أعمال17/20، 28؛ 1بطرس2/1/5؛ تيطس7/5/1)، "والشمامسة"، كأصحاب مناصب كنيسة وذوي رتب رئاسة. فوعظ الشماس فيلبس وعمد(أعمال38/5/8)، وحكم كهنة أورشليم، بالاشتراك مع الرسل، في شأن إلزام الشريعة الموسوية(أعمال22/15 وما يلي)، ومسح كهنة الكنيسة المرضى بالزيت باسم الرب ومنحوا غفران الخطايا(يعقوب14/5). وكانت الجماعة تختار معاوني الرسل وهؤلاء. الا أنهم كانوا يقبلون وظيفتهم وسلطانهم لا من الجماعة بل من الرسل(أعمال6/6: إقامة الشمامسة السبعة الأوليين؛ 22/14: سيامة الكهنة). ولم يكن ذوو المواهب والقوات، الذين ساهموا مساهمة جوهرية في بنيان الكنيسة في عهد الرسل(انظر1كور12و 14)، من مصاف الرؤساء، اللهم إلا اذا كانوا أيضًا من ذوي الوظائف الكنيسة. وقد اقتضى بولس الرسول من ذوي المواهب والقوات أن يخضعوا للوظائف الرسولية(1كور26/14 وما يلي).

2.دوام مصاف الرؤساء

*** أن سلطات مصاف الرؤساء التي أعطيها الرسل قد انتقلت الى الأساقفة**. من الايمان.

يقول مجمع ترانت "أن الأساقفة الذين حلّوا محل الرسل هم من مصاف الرؤساء، وقد أقامهم الروح القدس ليرعوا كنيسة الله"(.9609D. ويعلن مجمع الفاتيكان الأول: "كما اختار المسيحُ رسله من العالم على مثال ما أرسله الآب(يوحنا21/20)، كذلك اراد أن يكون في كنيسته رعاة ومعلمون الى انتهاء العالم"(.1821D). وهولاء الرعاة والمعلمون هم الأساقفة خلفاء الرسل(.1828D).

أن الدوام لسلطات مصاف الرؤساء ينتج بحكم الضرورة من الدوام الذي أراده المسيح لكنيسته(انظر&12). فالوعد الذي قطعه لرسله بأن يكون معهم "الى انتهاء العالم"(متى20/28) يقتضي دوام الوظيفة الرسولية في خلفاء الرسل. وقد سلم الرسل سلطاتهم الى غيرهم، تبعًا لإرادة المسيح، كما فعل مثلًا القديس بولس مع تيموتاوس وتيطس. انظر2تيمو5/2/4؛ تيطس1/2(السلطة التعليمية)؛ 1تيمو21/19/5؛ تيطس15/2(السلطة الراعوية)؛ 1تيمو22/5؛ تيطس5/1(السلطة الكهنوتية). وفي وظيفة تلميذَي الرسول هذهين تظهر

لأول مرة بكل وضوح الاسقفية الفردية التي قامت مقام الوظيفة الرسولية. "فملائكة" كنائس آسيا الصغرى(رؤيا يوحنا3/2)هم، بحسب الشرح المتناقل الذي لا يزال مع ذلك موضع جدل، أساقفة فرديون.

يخبر القديس **اقليمندس الروماني** في شأن تسليم الرسل لسلطاتهم الرئاسية بأنهم "اذ كانوا يبشرون في المدن والأرياف اختبروا بالروح القدس بواكير رسالتهم وأقاموهم اساقفة وشمامسة للمؤمنين الآتين"(في رسالته الى أهل كورنتس4/42). "وقد أعلم السيد المسيح رسله بما سيقع من مشادة بشأن المرتبة الأسقفية، ولذلك فقد اختاروا، استدراكًا للمستقبل، هؤلاء الذين ذكرناهم، ثم قضوا بأن يخلفهم في وظيفتهم رجال آخرون مختبرون"(في رسالته الى أهل كورنتس2/1/44). ويخبر القديس **اوغناطيوس الأنطاكي** أنه منذ أول القرن الثاني كان على رأس كنائس آسيا الصغرى "والى أقاصي الأرض"(من رسالته الى أهل أفسس2/3). اسقف فرد جمع في يده كل زمام الأمور الروحية والإدارية في الكنيسة. "لا تأتوا عملا، في ما يختص بالكنيسة، بدون الأسقف. لا تعتبروا صحيحًا الا الاحتفال الأوخارستي الذي يجري برئاسة الأسقف او وكيله. فحيث الأسقف هناك الكنيسة، كما أنه حيث المسيح هناك الكنيسة الجامعة. ولا يجوز بدون الأسقف لا التعميد ولا الاحتفال بكسر الخبز. وهكذا لا يحدث في الكنيسة الا ما هو مقرّر صحيح... ومن كرَّم الأسقف يكرمه الله، ومن عمل على غير علم الاسقف خدم الشيطان"(في رسالته الى أهل ازمير2/1/8؛ 1/9). ويقوم في كل كنيسة، بجانب الأسقف وتحت رئاسته، كهنة وشمامسة هم بمثابة وكلاء له في الوظيفة.

ويقول القديس **يوستينوس** "أن الذي يرئس جماعة الأخوة(أي الأسقف) يقيم الليتورجيا" ويرى **ايريناوس** في تعاقب الأساقفة منذ الرسل خير ضمان لسلامة التعليم المسيحي المتناقل من كل فساد: "يمكننا أن نعدّد أسماء الأساقفة الذين اقامهم الرسل وخلفائهم حتى يومنا هذا"(ضد المبتدعين3/3/!). وبسبب ضيق المكان والوقت لا يعدّد خلفاء الرسل في الكنائس كلها، بل يكتفي "بأعظم الكنائس، وأقدمها، وأشهرها، تلك التي أسسها وأنشأها في روما الرسولان المجيدان بطرس وبولس". ثم يسرد اقدم جدول بأسماء اساقفة روما، مبتدئًا من "الرسولين الطوباويين" ومنتهيا بالقديس الفتاروس خلفهما الثاني عشر(ضد المبتدعين3/3/3). وقد اخبر نقلًا عن القديس بوليكربوس(ضد المبتدعين4/3/3) بأنهم "الرسل" نصبوه اسقفًا على ازمير_ هو القديس يوحنا، بحسب ترتليانوس _. ويبرهن **ترتليانوس** عن حقيقة التعليم المسيحي، على مثل القديس ايريناوس، بواسطة تسلسل الأساقفة منذ الرسل.

5.رئاسة بطرس الأُولى

الرئاسة الأولى هي التي تقدم كل الرئاسات. وبمقتضى الامتياز الذي تقوم الرئاسة الأولى نميز رئاسة الشرف، والإشراف، والإدارة، والولاية أي الحكم. ورئاسة الولاية الأولى تقوم بتولّي السلطة التشريعية، والقضائية، والجزائية، على وجه كامل سام.

1. العقيدة والبدع

- **أقام المسيح بطرسَ رئيسًا جميع الرسل وراسًا منظورًا للكنيسة كلها، بتقليده اياه مباشرة وشخصيًا رئاسة الولاية.** من الايمان.

دَّد المجمع الفاتيكاني الأول: "من قال أن السيد المسيح لم يقم الطوباوي بطرس الرسول رئيسًا على جميع الرسل ورأسًا منظورًا للكنيسة كلها، أو قال أن سيدنا يسوع المسيح أولاه رأسًا ومباشرة رئاسة الشرف فقط لا رئاسة الولاية الحقيقية الخاصة، فليكن محرومًا"(.1823D).

أن رأس الكنيسة غير المنظور هو المسيح الممجَّد. وقد قام بطرس مقامَه في الادارة الخارجية للكنيسة المجاهدة، وبذلك أصبح"نائب المسيح" على الأرض"(.694D).

يعارض هذه العقيدة الكنيسة **الأرثوذكسية**، والمذاهب الشرقية، وبعض أعداء البابوية في القرون الوسطى(Marsile de Padoue، Jean de Jandun، وwicleff، وJean Huss)، و**البروتستانية** عامة، والغليكانيون، والفبرونيانيون، والكاثوليك القدامى، والمودرنست. فيقول **الغاليكانيون**(E.Richer) والفبرونيانيون(N.Hontheim) بأن المسيح فوض ملء السلطة الروحية مباشرةً الى الكنيسة، وبواسطة الكنيسة الى القديس بطرس، بحيث أن القديس بطرس كان الخادم الأول للكنيسة التي اختارته لها. ويقول **المودرنست** بأن الرئاسة لم تصدر عن المسيح، وانما نشأت من الظروف في عهد ما بعد الرسل فقط(.2055D_ 2056).

2. البرهان المأخوذ من الكتاب المقدس

من البدء ميز المسيح بطرس عن سائر الرسل. فعند أول التقاء بدل له اسم سمعان باسم الصفاة(= الصخرة): "أنت سمعان بن يونا، أنت تدعي كيفا الذي تفسيره الصفاة"(يوحنا32/1؛ انظر مرقس16/3). وفي اسم كيفا تلميح الى الوظيفة التي اختاره المسيح لها(انظر متى18/16). وفي كل قوائم أسماء الرسل يأتي اسم بطرس في الراس. وفي متى(2/10) سممي صريحا بالأول. ولما كان أندراوس قد جاء الى يسوع قبل بطرس دلت الأولية هنا على أولية في الوظيفة والمقام. وقد شهد بطرس ويعقوب ويوحنا بعث ابنة يائيروس (مرقس37/5)، وتجلي المسيح على الجبل(متى1/17)، والنزاع في بستان الزيتون(متى37/26). ووعظ يسوع من سفينة بطرس(لوقا3/5)، ودفع عن نفسه وعنه جزية الهيكل(متى27/17)، وأمره بأن يقوي اخوته بعد تثبيته(لوقا32/22)، وتراءى بعد قيامته له وحدة قبل سائر الرسل(لوقا34/24؛ 1كور5/15).

وعد يسوع بطرس بالرئاسة الأولى في قيصرية فيلبس عندما أجابه على اعترافه العلني بأنه المسيح ابن الله، فقال له(متى19/17/16): "طوبي لك يا سمعان بن يونا! فأنه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن أبي الذي في السماوات. وأنا أقول لك أنت الصفاة(=كيفا)، وعلى هذه الصفات سأبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما ربطته على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما حللته على الأرض يكون محلولًا في السماوات". هذا الكلام موَّجه مباشرة الى بطرس دون سواه. وهو يصوّر له، بصور ثلاث، السلطة العليا التي ستكون له في الكنيسة التي عزم المسيح عن تاسيسها. فعليه ان يضمن لها، كما تضمن للبيت اساساته الصخرية، الوحدة والرسوخ(انظر متى24/7). فسيستولي على المفاتيح، أي سيكون قِسّم ملكوت الله على الأرض(انظر اشعيا22/22؛ رؤيا يوحنا18/1؛ 7/3المفاتيح، رمز القوة والسلطة). وسيربط ويحل، أي سيضع الحرم أو يرفعه، على عادة رؤساء اليهود، أو سيعلن في شرحه للناموس عمّا هو محلل ومحرَّم. وبالمقابلة مع متى18/18 حيث نرى سلطان الحل والربط بمعنى الادخال في الجماعة أو الاخراج منها، وبالنظر الى شمول التعبير"كل ما"، تبين أن السلطات الكاملة الموعود بها القديس بطرس يجب أن لا تقصر على السلطة التعليمية، بل يجب أن تمتد الى مجال سلطان الولاية كله. والله يقر في السماء ما يقره بطرس أو يرفعه على الارض من الواجبات.

هذا النص الخاص بالقديس متى، الذي جرت محاولات كثيرة لإظهاره، كليًا أو جزيئًا، بمظهر النص المدسوس، هو من الصحة بمكان، لا لوجوده في كل المخطوطات والترجمات القديمة والتعليم المنقول وحسب، بل ايضا لما هو عليه من اللون السامي الظاهر. فليس اذًا ما يدعو الى الشك في أن المسيح هو قائلة، كما وليس من مجال الى الزعم بأنه هو وتعليم الانجيل على طرفي نقيض.

أما **تسليم** الرئاسة الأولى هذه فقد تمَّ عندما قال المسيح بعد قيامته الى بطرس، جوابًا على تأكيد محبته ثلاث مرات لمعلمه: "ارعَ خرافي، ارعَ خرافي، ارعَ غنمي"(يوحنا17/15/21). وهذا الكلام قد وجَّهه المسيح، مثل كلامه في متى19/18/16، الى بطرس وحده، مباشرة. "الخراف"، "والغنم" تدلّ على مجموع قطيع المسيح، اي الكنيسة كلها(انظر يوحنا10). وكلمة "رعي"، في لغة الأقدمين والكتاب المقدس، تدل، اذا ما أطلقت على البشر، على معنى حكم(انظر أعمال28/20). وقد حصل بطرس، بهذه الأوامر الثلاثة، لا على إعادته رسولًا اذ لم يفقده نكرانه للمسيح صفة الرسول، بل على سلطان سياسة الكنيسة الأعلى.

وقد **مارس** القديس بطرس بعد صعود المسيح رئاسة هذه. فكانت له في الكنيسة الأولى، منذ البدء، مكانته الممتازة. فهو الذي أراد انتخاب القديس متيّا(أعمال 15/1)، وهو أول من نادى، يوم العنصرة برسالة المسيح بصلب المخلص وقيامته(أعمال14/2 وما يلي)، وهو الذي شهد برسالة المسيح أمام المحفل(أعمال8/4ومايلي)، وقبل في الكنيسة أول وثني هو كورنيليوس قائد المائة(1/10 ومايلي)، وكان أول من تكلم في مجمع أورشليم(7/15 مايلي). والقديس بولس انما انطلق أورشليم"ليزور بطرس"(غلاطية18/1).

3. شهادة الآباء

يشهد الآباء بان المسيح أقام الكنيسة على بطرس، ويعترفون له لعى الرسل جمعيهم بالرئاسة الأولى، وهم بذلك على اتفاق مع الوعد الذي قطعه له المسيح بها. فيقول **ترتليانوس** عن الكنيسة: "أنها بينت عليه"، ويعلق القديس **قبريانوس** على متى19/18/16 بقوله: "لقد بني الكنيسة على واحد"(في وحدة الكنيسة6). **واقليمندوس الاسكندري** يسمى القديس بطرس "المختار، المصطفى، الأول في التلاميذ، الذي دفع المسيح لنفسه وله

الجزية". ويدعوه القديس **كيرلس الأورشليمي**: "راس الرسل وإمامهم"(التعليم المسيحي19/2). ويذكر القديس **لاون الكبير**"أن بطرس قد اختير ليكون وحده في العالم كله رئيسًا لكل الشعوب المدعوّة، ولكل اباء الكنيسة"(العظة2/4).

قابل أباء كثيرون في جهادهم ضد الآريوسية، بين الصخرة التي عليها بنى المسيح كنيسته والايمان بألوهة المسيح الذي اعترف به بطرس، دون أن يقطعوا فيما بين الاثنين من صلة بشخص بطرس. فهو الايمان الذي اعترف به بطرس كان الداعي لاختيار له أساسا تقوم عليه الكنيسة.

4. القديس بطرس والقديس بولس

ينتج من عقيدة الرئاسة البطرسية على الكنيسة كلها أن القديس بولس كان خاضعًا لها كباقي الرسل. وقد أدان البابا اينوشنسيوس العاشر1647)، كبدعة، ما قال به الجانسيني أنطون أرنو Arnauld في رأس الكنيسة المزدوج(.1091D).

أن الآباء الذين كثيرًا ما يعادلون فيما بين القديس بطرس والقديس بولس(زعيمَي الرسل)، انما ينظرون الى نشاط الرسولين وفضلهما في سبيل كنيسة روما والكنيسة عامة. فمن حيث النشاط الرسولي فقد شهد القديس بولس لنفسه بأنه فاق الرسل جمعيهم(1كور10/15). فالقديس بطرس رئاسة السلطة، للقديس بولس رئاسة المناداة بالايمان. أما قول القديس بولس عن القديس بطرس في غلاطيا11/2: "قاومته مواجهة لأنه كان ملومًا" فلا يضع رئاسة بط موضع الشك. فالقديس بولس لام القديس بطرس على تصرفاته المتناقض الذي انما هو خطير لما لبطرس من السلطة العليا في الكنيسة، لأنه يهدد ما اعترف هو نفسه به من تحرر المسيحيين الآتين من الوثنية من قيد الناموس.

6_ يرئس الباباوات الكنيسة رئاسة ولاية

1. دوام الرئاسة الأولى

- **يجب على أمر من المسيح، أن يكون لبطرس دومًا خلفاء يرئسون كلها رئاسة عليا**. من الايمان.

حدَّد المجمع الفاتيكاني الأول: "مَن قال ليس من وضع السيد المسيح

نفسه وبالتالي من الشرع الالهي أن يكون للقديس بطرس دومًا خلفاء، يرئسون الكنيسة كلها رئاسة عليا، فليكن محرومًا"(.1825D).

ليس في كلام الوعد بهذه الرئاسة ولا في كلام تسليمها ما يدل صريحًا على دوامها لدى خلفاء القديس بطرس. إلا أن دوامها تقتضيه طبيعة الرئاسة وغايتها. فهي طبيعتها وظيفة لأجل ادارة الكنيسة، وغايتها حفظ الوحدة والاتحاد في الكنيسة. ولما كانت ارادة مؤسسها أن تبقى على الدوامالى انتهاء الدهر تواصل عمل المسيح الخلاصي، وجب أن تبقى الرئاسة فيها أيضًا على الدوام. ولما كان بطرس، ومثله مثل كل انسان، خاضعًا للموت(يوحنا199/21، وجب أن تنتقل وظيفته منه الى غيره، اذ لا تقوم للبناء قائمة بدون أساساته(متى18/16)، ولا سبيل الى حفظ القطيع بدون رعاة ترعاه(يوحنا17/15/21).

يقول الآباء بأن بطرس لا يزال حيًا يعمل في خلفائه. وقد أعلن **فيلبّس** ممثّل البابا لدى مجمع أفسس431: "أن بطرس يحيا ويقضي اليوم دائمًا في شخص خلفائه"(.112D، 1824). ويقول القديس بطرس **كريسولوغو** □ في رسالة الى اوتيخا عن أسقف روما: "هو القديس بطرس لا يزال حيًا برئس على كرسيه الحبري، ويهدي الى الايمان الصحيح هؤلاء الذين يسعون اليه"(اورده القديس لاون في الرسالة2/25). ويعلن القديس **لاون الكبير** أن الرئاسة الأولى هي مؤسسة دائمة: "كما أن ايمان بطرس بالمسيح هو ثابت على الدوام. كذلك تفويض المسيح لبطرس هو ثابت على الدوام"(العظة2/3).

2. أصحاب الرئاسة الأولى

- **أن خلفاء القديس بطر □ في الرئاسة الأولى هم أساقفة روما**. من الايمان.

حدَّد المجمع الفاتيكان الأول، على غرار مجمعي ليون(1274) وفلورنس(1439) المسكونيَين: "من قال أن الحبر الروماني ليس خليفة القديس بطرس في رئاسته الاولى عينها، فليكن محرومًا"(.1825D. اطلب694، 466).

هذه العقيدة تعني فقط أن كل أسقف لروما هو بمحض أنه أسقف روما صاحب الرئاسة الاولى. الا أن التحديد لا يذكر على أي عنوان شرعي تقوم الوحدة بين الرئاسة الأولى هذه وكرسي روما الأسقفي. ويرى أغلب اللاهوتيين أن هذه الوحدة لا ترتقي فقط الى الحدث التاريخي من أن القديس بطرس عاش ومات اسقف روما، وانما يجب أن ترتقي الى أمر خاص من المسيح أو من الروح القدس، وانها بالتالي من الشرع الالهي. فاذا كانت

هذه الوحدة من الشرع الكنسي فقط أمكن البابا أو أحد المجامع العامة فصل الرئاسة الأولى عن اسقفية روما، أما اذا كانت من الشرع الالهي فلا سبيل الى مثل هذا الفصل.

أن اقامة القديس بطرس في روما تذكرها رسالته الأولى13/5: "تسلّم عليكم الكنيسة المختارة التي في بابل"(بابل هي اسم رمزي لروما)؛ ويذكرها القديس اقليمندوس الروماني الذي يسمّى الرسولين بطرس وبولسبين ضحايا اضطهاد نيرون(في رسالته الى أهل كورنتس1/6)، والقديس اغناطيوس الانطاكي الذي كتب الى مسيحي روما يقول: "لا أصدر اليكم أوامر مثل بطرس وبولس"(في رسالته الى الرومانيين3/6). أما نشاط القديس بطرس في روما فقد ذكره صريحا القديس ديونيسيوس أسقف كورنتس حوالي عام 170(اوسابيوس تاريخ الكنيسة8/25/2)، والقديس ايريناوس(ضد المبتدعين3/1؛ 3/2/3) والكاتب الروماني غايوس في حبرية القديس زفرينوس(أوسابيوس، تاريخ الكنيسة6/25/2)، وترتليانوس(ضد مركيون5/4)، واقليمندوس الاسكندري(اوسابيوس، تاريخ الكنيسة6/14/6). وقد أتى القديس ديونيسيوس والكاتب غايوس وترتليانوس على ذكر استشهاده أيضًا في روما. وبامكان غايوس أن يدل بالضبط على موضع ضريحَي الشهيدين: "أستطيع أن أدلّ على ضريحي الرسولين: اذهب الى الفاتيكان أو الى طريق أوستيا، تجد ضريحي المؤسسين لهذه الكنيسة"(أوسابيوس، في المرجع المذكور). وليس من مدينة غير روما ادَّعت يومًا باحتوائها على ضريح القديس بطرس.

خضعت عقيدة رئاسة أساقفة روما، كغيرها من العقائد والمؤسسات الكنيسة، الى سنّة التطور، فمحّصت بينات الانجيل ودرست درسًا أوفى. ومنذ أواخر القرن الأول ظهرت علامات واضحة كل الوضوح تنمّ عمّا كان لأساقفة روما من الايقان بتولّيهم للرئاسة الأولى، وعمّا كان بيديه سائر الكنائس من الاعتراف لها بهذه الرئاسة. **فالقديس اقليمندوس الروماني** يرسل الى كنيسة كورنتس، باسم كنيسة روما، رسالة أملاها شعوره بمسؤوليته تجاه الكنيسة كلها، وفيها يحضّ المتمردين، بسلطان والحاح، على الخضوع لكهنتهم ولعى التوبة. ومع ذلك فالرسالة لا تشتمل على أقل دلالة على الرئاسة العليا، أي لا تستشهد صراحة بزعامة كنيسة روما، ولا تتضمن قرارات تشريعية. والقديس **اغناطيوس الانطاكي** يضع كنيسة روما فوق كل الكنائس التي كتب اليها، بما خصَّ عنوان رسالته اليها من عبارات التفخيم، فأتى مرتين على ذكر ما لها من التقدم على غيرها، مما يشير الى علاقات بين رئيس ومرؤوس(انظر رسالته الى أهل مغنيسيا1/6)، ويقول: "الكنيسة التي لها الصدارة في

أرض الرومانيين"، "التي تتراس المحبة". والقديس **ايريناوس** يصف"الكنيسة التي أسسها في روما الرسولان المجيدان بطرس وبولس" بأنها "اكبر الكنائس واقدمها وأشهرها"؛ وهو ينسب اليها بصريح العبارة التقدم على سائر الكنائس. ومن أراد أن يعرف الايمان القويم فما عليه الا ان يبحث عن ايمان هذه الكنيسة وحدها كما تناقله أساقفتها المتعاقبون. "ولذا، فعلى كل كنيسة، أي على المؤمنين من كل أرض أن يكونوا معها على اتفاق، بسبب ما لها من الزعامة والسلطان. ففيها حفظ على الدوام التعليم الرسولي على يد من هم في كل مكان"("أو "اتجاه الآتين من كل صوب"، أي تجاه المبتدعين)(ضد المبتدعين3/2/3).

وفي منتصف القرن الثاني جاء روما القديس بوليكربوس اسقف ازمير ليتداول مع البابا القديس انيستوس(154_ 165) في شأن تعيين عيد الفصح (اوسابيوس تاريخ الكنيسة1/14/4)، وكذلك جاء روما بوليكراتوس اسقف افسس ليتداول أيضا في شأن تعيين عيد الفصح مع البابا القديس فيكتور الأول(189_ 198) الذي توعد بالحرم كنائس أسيا الصغرى لتمسكها بعيد الفصح بتاريخ الرابع عشر(اوسابيوس24/5: 1- 9). وجاء هجسيبوس روما في حبرية القديس انيستوس لكي يتلقى فيها تعليم الايمان القويم (اوسابيوس3/22/4).

ويعترف **ترتليانوس** بسلطان روما التعليمي: "أن كنت في جوار ايطاليا فدونك روما، اذ يأتينا سلطانها، نحن الافريقيين ايضًا، بالمعونة". الا أنه اعلن، عندما اعتنق مذهب مونطان، أن سلطان الحل والربط المعطي لبطرس انما عطية بصفة محض شخصية. ويشهد القديس **قبريانوس** اسقف قرطاجة على زعامة كنيسة روما بتسميته لها "أم الكنيسة الكاثوليكية وأصلها"(الرسالة3/48)، "سدّة بطرس"، "مقام بطرس"(الرسالة3/48)، و"الكنيسة العظمى التي خرجت منها وحدة الاساقفة"(الرسالة14/59). الا أن موقفه من الجدل حول عماد المبتدعين يدل على أنه لم يكوّن له بعد فكرة واضحة عن مدى هذه الرئاسة الأولى. وقد أعلن البابا القديس **اسطفانوس الأول**، الذي وقف خصمًا للقديس قبريانوس في هذا الجدل، على ما أورده له فرميليانوس اسقف قيصرية، "بأنه جالس، خلفًا لسلف، على كرسي بطرس الذي عليه قامت اساسات الكنيسة(أورد هذا القول القديس قبريانوس في رسالته17/75)؛ وقد هدَّد اساقفة آسيا الصغرى باقصائهم عن جماعة الكنيسة(اوسابيوس، تاريخ الكنيسة4/5/7).

وقال القديس **امبروسيوس**: "حيث بطرس هناك الكنيسة"(في تفسيره للمزمور30/40). وكتب القديس **ايرنيموس** الى البابا داماسيوس: "أعلم أن الكنيسة الرومانية مبنية على الصخر(=القديس بطرس)"(الرسالة2/15). ويقول القديس **اوغسطينوس** عن الكنيسة الرومانية أن فيها دوام رئاسة السدَّة الرسولية(الرسالة7/3/43). ويرى القديس **لاون الكبير** في التكريم الذي يقدم لشخصه"حقا يعود لمن يحمل دومًا ما يحمله الأساقفة

جميعهم من رعاية النعاج التي عهد اليها بها(العظة4/3). وقبيل افتتاح مجمع أفسس(431) أدلى **فيلبس،** مندوب البابا، بتصريح جلي عن الرئاسة الاولى التي يتقلدها البابا من حيث أنه الممثل الحي للقديس بطرس(.112D). وفي مجمع **خلقيدونيا**(451) أجاب الآباء على رسالة البابا لاون الأول العقائدية هاتفين: "هو بطرس تكلم بفم لاون".

تثبت المدرسة، نظريًا، رئاسة البابا الأولى، باثباتها وحدة الكنيسة. ولذلك يقتضي **القديس توما،** في كتاب "الردود على الخوارج"76/4، البرهين التالية(وقد اتخذها فيما بعد للكلام عن الكنيسة Jacques de Viterbe، و Jacques Quidort de Paris، وJean de Naples)، وهذه هي: آ) لما كانت الكنيسة **واحدة،** وجب أن يكون للشعب المسيحي كله رئيس واحد، كما أن لكل ابرشية اسقف واحد هو رئيس رعيته. **ب)** حفظًا لوحدة الايمان لا بدَّ من رأس واحد للكنيسة كلها، لكي يستطيع أن يقضي في أمور الايمان التي تعرض. **ج)** غاية كل حكومة، التي هي السلام والوحدة بين رعاياها، تتحقق برئيس واحد على وجه أكمل مما تتحقق برؤساء عديدين. ولا غرو فأن واحدًا هو مصدر وحدة أكثر من عديدين. **د)** الكنيسة المجاهدة هي صورة للكنيسة الظافرة. ولما كان لهذ رئيس واحد وجب أن يكون ايضًا لتلك رئيس واحد.

7.طبيعة رئاسة البابا

1. العقيدة

للبابا سلطان الولاية الكامل الاسمى على الكنيسة كلها، لا في أمور الايمان والآداب فقط، بل أيضا في تنظيم الكنيسة وارادتها. من الايمان.

ضد مختلف مذاهب"الاسقفية"(episcopalisme) التي تقصر ولاية

البابا على مصلحة الأساقفة يحدّد المجمع الفاتيكاني الاول: "من قال أن وظيفة الحبر الروماني في الكنيسة كلها تتوقف عند حد الإشراف والإرشاد، لا في أمور الايمان والآداب فقط، بل أيضًا في الأمور التي تتعلق بتنظيم الكنيسة وإدارتها في كل أ□راف المعمور؛ أو من قال بأن للحبر الأعظم القسم الأكبر من الولاية العليا لا ملء الولاية؛ أو من قال بأن سلطته هذه العليا ليست عادية ومباشرة بحيث تتناول جملة وأفرادًا، والرعاة والمؤمنين جملة وأفرادًا، فليكن محرومًا"(.1831D؛ انظر1827؛ الحق القانوني218).

رئاسة البابا الأولى هي اذًا، بناءً على هذا التحديد:

آ) **سلطة ولاية** بالمعنى الحقيقي، أي سلطة حكم حقيقي لا سلطة واشراف وارشاد فقط، كتلك التي مثلًا لرئيس حزب سياسي أو رئيس شركة أو جمعية. وهي تقتضي، من حيث أنها سلطة حكم، السلطة التشريعية، والقضائية(حقوقية وصلحية)، وتنفيذية، كما وتقتضي من الرعايا واجب الخضوع والطاعة.

ب) **سلطة عامة**، اي تمتد شخصيًا الى كل الرعاة (الأساقفة) والمؤمنين في الكنيسة كلها، جماعة وأفرادًا. وهي لا تنحصر، ماديًا، في أمور الايمان والآداب(وظيفة التعليم)، بل تمتد أيضًا الى تنظيم الكنيسة وحكمها(الوظيفة الراعوية).

ج) السلطة□**عليا** في الكنيسة، اي ليس من سلطة أعلى منها أو معادلة لها. فهي تفوق سلطة الأساقفة افرادًا ومجتمعين. فليس اذًا مجموع الأساقفة (بدون البابا) بأعلى من البابا.

د) **سلطة كليّة**، أي للبابا وحده ملء سلطة الولاية في الكنيسة، لا قسط منها أكبر من قسط سائر الأساقفة أفرادًا او مجتمعين. وعليه فالبابا يستطيع أن يقضي بنفسه في كل ما هو من الولاية الكنسية، بدون أخذ موافقة سائر الأساقفة أو عامة الكنيسة.

ه) سلطة **عادية** مألوفة، أي أنها، بناء على تدبير الهي، متعلقة بالوظيفة، لا مفوضة تفويضًا من سلطة أعلى. ويمكن بالتالي ممارستها في كل وقت لا في الظروف الاستثنائية فقط عندما يهمل بعض الأساقفة واجباتهم الأسقفية في ابرشياتهم(فبرونيوس، أيبل)(.1500D).

و) سلطة **أسقفية** حقًا، اي أنه "أسقف عام" للكنيسة كلها كما هو اسقف لابرشيته روما("أسقف المدينة والعالم"، يعقوب من فيترب). وعليه فسلطة البابا تقتضي، كالسلطة الأسقفية بالتمام، السلطة التشريعية، والقضائية، والجزائية(انظر الحق القانوني218& 2و 335).

ز) سلطة **مباشرة،** اي أن البابا يستطيع ممارسة سلطته دون واسطة على أساقفة ومؤمني الكنيسة بأسرها.

والبراهين على ذلك كله تنتج من النصوص الكتابية والتقليدية المذكورة في&5 و&6. فالبذور المودعة فيها قد وصلت الى تمام نموها في مجمع الفاتيكان الاول.

2.النتائج

آ) ينتج من سلطة البابا العليا في حكم الكنيسة الجامعة أن للبابا الحق، وهو يمارس سلطته هذه، **بالاتصال الحر** مع كل اساقفة ومؤمني الكنيسة بأسرها. فالكنيسة تحرم اذًا كل التدابير التي تتخذها السلطة المدنية لتخضع علاقات الكرسي الرسولي الرسمية لرقابة الحكومة، وتعلّق صحة مفعول الاوامر البابوية على قبول السلطة المدنية لها(.1829D).

ب) لا يخضع البابا شرعًا، بوصفه **مشترع** الكنيسة الأعلى، للقرارات والعادات الكنسية، بل للشرع الالهي، الذي يقتضي أن تسير السلطة الكنيسة تبعًا لغايتها، لبنيان جسد المسيح السري لا لتقويضه(2كور8/1). فالشرع الالهي هو اذًا مانع فعّال دون الهوى والاستبداد. وقد أدين البند الثالث لبيان الاكليروس الغليكاني القائل بأن يحدّ من ممارسة السلطة البابوية(.1324D).

ج) وللبابا الحق بوصفه **قاضي** الكنيسة الأعلى، بأن يخضع لمحكمته كل دعوى كنسية، وبأن يقبل الاستئنافات المرفوعة اليه في كل المحاكمات الكنسية. ولا يخضع لحكم أحد(الحق القانوني1556: "لا يحكم على الكرسي الأول أحد")، اذا ليس فوقه من قاض أرضي. وللسبب ذاته لا يمكن الاستئناف من حكم البابا الى مرجع أعلى. فالكنيسة تحرم الاستئناف من البابا الى المجمع العا، لأنه يجعل المجمع العام فوق البابا.(.1830D؛ الحق القانوني228& 2؛ انظر1823).

8. رئاسة البابا التعليميَّة، أَو العصمة من الغلَط

1. العقيدة

*** أن البابا هو معصوم من الغلط حين يتكلم من منصة التعليم.** من الايمان.

بعد تصريحات مجامع القسطنطينية(869_ 870)، ليون (1274)،

وفلورانس(1438_ 45) عن رئاسة البابا التعليمية، وهي تصريحات تحتوي فعلًا على العصمة من الغلط، هوذا مجمع الفاتيكان الأول يحدَّد: "أن الحبر الروماني، حين يتكلّم من منصَّة التعليم(ex cathedra)، أي حين يقوم بوظيفة راعي المسيحيين ومعلمهم جميعًا، ويحدّد بسلطانه الأعلى تعليمًا في الايمان والآداب يتعيّن على الكنيسة بأسرها الأخذ به، عندئذ يكون، بمعونة من الله وعده بها في شخص القديس بطرس، معصومًا من الغلطً تلك العصمة التي أراد المخلص الالهي أن يزوّد بها كنيسته في تحديد التعليم في الايمان والآداب، كما وأن تحديدات الحبر الروماني هذه هي بذاتها، لا لموافقة الكنيسة عليها، غير قابلة التعديل والاصلاح" .1839D؛ انظر.466D، 694، 1833_ 35).

لفهم هذه العقيدة على حقيقتها يجب الانتباه الى ما يلي:

آ) كل بابا شرعي هو معصوم من الغلط من حيث أنه خليفة القديس بطرس، لكن وحده لا الذين يفوض اليهم جزءًا من سلطته التعليمية، كالمجامع الرومانية مثلًا.

ب) ان **موضوع** هذه العصمة هو التعاليم التي تتعلّق بالايمان والآداب، وفي الدرجة الاولى تأتي الحقائق الموحاة، ثم أيضًا الحقائق غير الموحاة بسبب ما لها من العلاقة الصميمة بالتعليم الموحى.

ج) شرط العصمة أن يتكلم البابا من **منصة التعليم**(ex cathedra). ولذلك يجب:ً1 أن يتكلم بوصفه راعي المؤمنين ومعلمهم جميعًا، بقوة سلطانه الرسولي الأعلى. أما حين يتكلم كلاهوتي فرد أو كأسقف ابرشيته فليس بمعصوم عن الغلط.ً2 ان يكون في نيته، اصدار قرار نهائي في الايمان والآداب يلزم المؤمنين جميعهم. وبدون هذه النية، التي يجب ان تظهر واضحة في النص أو في الظروف، فلا تحديد من منصة التعليم. وأكثر قرارات الباباوات التعليمية التي تتضمنها رسائلهم ليست بتحديدات من منصة التعليم.

د) أن **سبب** هذه العصمة هو المساعدة الفائقة الطبيعة التي يقوم بها الروح القدس ليصون معلم الكنيسة الأعلى من الخطأ. الا أن هذه المساعدة ليست الوحي الذي به يُنزل الله على الموحى اليه احدى الحقائق، ولا الإلهام الذي به يؤثر الله في الكاتب الملهم تأثيرًا ايجابيًا يغدو به الله صاحب الكتاب، ويصبح الكتاب هكذا كلام الله. فاروح القدس يحول دون أن يتخذ المعصوم قرارًا مخطئًا(مساعدة سلبية)، ويحدوه، ما لزم ذلك وبالمقدار اللازم، بنعم داخلية وخارجية، على حسن فهم الحقيقة وحسن اعلانها(مساعدة ايجابية). والمساعدة الالهية لا تكفي المعصوم مؤونة السعي الى معرفة الحقيقة بالطرق الطبيعية، ولاسيما بدرس مصدر الايمان وورده مورده(انظر.1836D).

ه) **ينتج** من العصمة أن القرارات المتخذة من منصة التعليم هي غير قابلة التعديل والاصلاح، بذاتها، لا لتدخّل سلطة أخرى، ولا لموافقة الكنيسة كلها عليها، كما يعلّم اتباع مذهب الغلّيكانسيم.

2. براهين من الكتاب والتقليد

آ) وضع المسيح بطرس **أساسًا** لكنيسته، حفظًا لوحدتها وثباتها، ووعدها بالبقاء على الدوام(متى18/16). الا أنه لا سبيل البالوحدة والثبات بدون الايمان الصحيح. وعليه فالقديس بطرس هو أيضًا معلم الكنيسة الأعلى، وبالتالي يجب أن يكون، عندما يُعلن حقائق الايمان رسميًا. معصومًا من الغلط هو شخصيًا وكل خلفائه، أللهم اذا كان للكنيسة أن تبقى مدى الدهر على ما أسَّسها عليه المسيح. وقد منح المسيحُ بطرس، علاوة على ذلك، **سلطان الحل والر□ط**، أي بالمعنى المألوف في اللغة العبرية، سلطان شرح الناموس شرحًا رسميًا. فسلطان القديس بطرس هذا يتضمَّن اذًا سلطان شرح ناموس العهد الجديد الذي هو الانجيل، والله في السماء يقرّه على حكمه، وذلك يفترض بقاؤه في منعة من كل ضلال من حيث أنه المعلم الأعلى لحقائق الايمان.

أقام المسيح بطرس (وخلفائهم) **راعيًا أعلى** لكل قطيعه(يوحنا17/15/21). ولما كانت وظيفة الرعاية العليا هذه تقتضي تعليم الحقائق المسيحية والصيانة فيها من الضلال، وجب أن لا يكون عرضةً للضلال في ممارسة وظيفته التعليمية الاعلى.

صلَّى المسيح لأجل بطرس حتى يثبته في الايمان، وعهد اليه بأن **يُثبِّت اخوته**. لوقا32/31/22: "سمعان سمعان، هوذا الشيطان سأل أن يغربلكم مثل الحنطة، لكني صليت من أجلك لئلا ينقص ايمانك، وأنت متى رجعت ثبت اخوتك". وانما خصَّ يسوع بطرس بصلاته لأنه كان عليه، بعد تثبيته، أن **يثبّت اخوته** في الايمان، مما يدلّ بصراحة على ما له من صفة الرئاسة العامة. ثم أن المكانة السامية التي كانت لبطرس في الكنيسة الأولى لدليل على أنه قد قام بما أمره به الرب. وهذه الكلمات الموجهة الى بطرس شخصيًا هي موجهة أيضًا، بالنظر الى متى19/18/16، الى أولئك الذين يعيش بطرس فيهم راسًا للكنيسة. فالخطر الذي يتهدَّد الايمان في كل وقت يتطلب دوما من رأس الكنيسة أن يقوّي

في الايمان أولئك الذين عهد أمرهم اليه. وهو يحتاج، ليقوم بهذا الواجب قياما فعالا، الى العصمة في أمور الايمان والآداب.

ب) لا يقول الآباء بعد صريحًا بعصمة البابا من الغلط، الا أنهم يشيدون بما للكنيسة الرومانية وأحبارها من السلطة التعليمية العالية. فيشهد القديس **اغناطيوس الأنطاكي** لمسيحي روما "بأنهم اطهار من كل عنصر غريب"، أي من كل بدعة(من مقدمة رسالته الى أهل روما). وهو يشير الى رسالة القديس اقليمندوس بقوله: "قد أعطيتم آخرين التعليم"(الى أهل روما1/3). وفي رسالته هذه الى أهل روما يتحاشى أن يعظهم ويحذرهم من البدعة، بخلاف سائر رسائله غيرهم. والقديس ايريناوس ينظر الى ايمان الكنيسة الرومانية على أنه دستور الكنائس: "على كل كنيسة أن تكون على اتفاق مع هذه الكنيسة بسبب ما لها من المقام الخاص. ففيها حفظ دائمًا تعليم الرسل على صفائه"(ضد المبتدعين2/3/3). فخلو ايمان الكنيسة الرومانية من الضلال دليل على عصمة اسقفها ومعلمها من الغلط. والقديس **قبريانوس** يدعو كنيسة روما "سدة بطرس"، "ومنطلق الوحدة الاسقفية"، وهو يشيد بصفاء تعليمها، فيكتب على ذكر خصومه، الذين يحاولون أن يكسبوا رضى الكنيسة الرومانية: "لا يخطر لهم ببال أن هؤلاء الرومانيين هم الذين مدح بولس الرسول ايمانهم (رومانيين1/8)، وأن لا سبيل للضلال اليهم"(الرسالة14/59).

والقديس **ايرونيموس** يلجأ الى البابا القديس داماسيوس، صاحب السدَّة البطرسية، ليطلب منه حلًا في قضية هي سبب تنازع في الشرق: "عندكم وحدكم محفوظ ارث الباء دون فساد"(الرسالة1/5). والقديس **اوغسطينوس** رأي في حكم البابا القديس اينوشنسيوس الأول القول الفصل في الجدل البيلاجي: "لقد ارسلت قرارات المجمعين في هذه القضية الى الكرسي الرسولي، ومن الكرسي الرسولي جاءت الأجوبة وانتهت القضية. ليت الضلال أيضًا ينتهي"(العظة131/10/10). والقديس **بطرس كريسولوغوس** يدعو اوتيخا الى الخضوع لحكم اسقف روما: "هو القديس بطرس لا يزال حيًا يرئس على كرسيه الحبري، ويهدي الى الايمان الصحيح هؤلاء الذين يسعون اليه"(اوردها القديس لاون الكبير في الرسالة2/52).

ظهرت رئاسة البابا هذه منذ القديم عمليًا **بالأحكام التي اصدرتها على المبتدعين**. فأدان القديس فيكتور الأول أو القديس رفريتوس بدعة مونطان، والقديس كالكستوس الأول بدعة سباليوس، والقديس اسطفانوس الأول اعادة تعميد المبتدعين، والقديس ديونيسيوس قاوم مذهب ديونيسيوس اسقف الاسكندرية (عدم المساواة)، والقديس كرنيليوس أدان بدعة نوفاسيانوس، والقديس اينوشنسيوس الأول البيلاجية، والقديس سلتينوس الأول النسطورية، والقديس لاون الأول المونوفيزية، والقديس اغاتون المونوتيلية. ولدينا شهادات أخرى على رئاسة البابا الأولى في صور **قوانين الايمان** التي وضعها

باباوات كثيرون ليوقعها المبتدعون والمنشقون العائدون الى حضن الكنيسة. ولا بد من ذكر صورة قانون وضعها القديس هرمزداس(519)، معلقًا على متى18/16، وفيها اقرار صريح بسلطة البابا التعليمية المعصومة: "أن الدين الكاثوليكي حفظ دائمًا بدون شائبة في الكرسي الرسولي"(.171D، انظر.343D، 357، 570).

وقد أجمع علماء اللاهوت في المدرسة منذ أول عهدها على القول بالعصمة الباباوية. فيرى **القديس توما** أن لوظيفة البابا "أن تحكم في قضايا الايمان الحكم النهائي، بحيث يجب على الجميع أن يقبلوا احكامها بايمان لا يتزعزع". وهو يعتمد في هذا التعليم على لوقا 32/31/22، ويُقيمه، نظريًا، على ماورد في 1كور10/1 من أنه يجب أن يكون في الكنيسة كلها ايمان واحد. ولكن لا سبيل الى حفظ وحدة الايمان أن لم يكن راس الكنيسة جمعاء قادرًا على الحكم نهائيًا في قضية تتعلق بالايمان(القديس توما2/2: 1: 10؛ انظر2/2: 11: 2على الثالث؛ الردود على الخوارج76/4).

المجمعيّة(conciliarisme). في القرن الرابع عشر، على أثر اضطرابات سياسية دينية، تضاءل شأن البابوية. وقد كان لتلك الحالة أثرها السيَئ في قضية الرئاسة الباباوية، فحمل **غليوم اوكام** Guillaume Occam، وكان على خلاف مع البابا يوحنا الثاني والعشرين، على الرئاسة الباباوية منكرًا أنها من وضع الهي. وانكرها مباشرة **مارسيل البادواني** Marisle de Padoue **ويوحنا جندون** Jandun قائلين بأنها ليست سوى رئاسة شرفية، معترفين للمجمع العام بالسلطة التشريعية التعليمية العليا. وفي حقبة الانشقاق الغربي(1417_ 1487)، عدد من اللاهوتيين البارزين، رأوا في التعليم القائل بتفوَق المجمع العام على البابا الواسطة الوحيدة لإنهاء الانشقاق في الكنيسة. وحدث اذ ذاك أن ظهر الرأي القائل بعصمة الكنيسة الجامعة من الغلط وامكان وقوع كنيسة روما في الخطأ وفي البدعة. وقال مجمع كونستانس (الجلسة الرابعة والخامسة)، ومجمع بال(الجلسة الثانية)، يتقدّم المجمع على البابا. الا أن قراراتهما في هذا الشأن لم يثبتها البابا، وبالتالي لم يصر لها قوة شريعة(.657D ملاحظة2). وامتد الأجل بالنظرية المجمعية هذه (theorie conciliaire) طوال قرون في **الغليكانيّة**(.1323D، 1325: ً2و ً4 بنود غليكانية).

اعتراضات: أن الوقائع التاريخية التي يوردها اخصام العصمة لا تمس العقيدة، اذ لم يصدر فيها، في حال من الأحوال، قرار حقيقي من منصَّة التعليم. وفي قضية البابا هونوريوس انظر ص46 من المجلد الثاني.

9. **الأَساقفة**

1. خصائص وصفات السلطة الأسقفية الراعوية

*** يتولى الأساقفة على رعاياهم، بمقتضى الحق الإلهي، سلطة راعوية خاصة وعادية ومباشرة**. قضية أكيدة.

أعلن المجمع الفاتيكاني الثاني: "يتولى الأساقفة ادارة الكنائس الخاصة التي اسندت اليهم بوصفهم رسل المسيح ونوابه... أن هذه السلطة يمارسونها شخصيًا باسم المسيح، هي سلطة خاصة وعادية ومباشرة. الا أن تنظيم ممارستها تنظيمًا يؤول بها الى خير الكنيسة أو المؤمنين، يعود في آخر الأمر الى السلطة الكنسية العليا التي لها أن تحصرها في بعض الحدود... وقد عهد الى الأساقفة بالوظيفة الراعوية كاملةً، بحيث أنه لا يحق اعتبارهم نوابا للاحبار الرومانيين، اذ أنهم يمارسون سلطة خاصة بهم يغدون معها، بكل حق، رؤساء للشعب الذي يرعونه" (في الكنيسة27) انظر.1828D (الفاتيكان الأول)؛ (الحق القانوني329& 1، 334& 1).

من هذه الاقوال ينتج أن سلطة الاسقف الراعوية هي:

آ) **سلطة عادية،** اي مرتبطة بالوظيفة. ب) سلطة **خاصة،** لا نيابية. ج) سلطة **مباشرة،** لا بواسطة سلطة غيرها. وعليه فالأساقفة ليسوا بمندوبين أو ممثلين للبابا، بل رعاة حقيقيون لرعايهم، وأن كانوا خاضعين للبابا. د) سلطة **أقامها الله.** فالرسل انما سلّموا للأساقفة وظيفتهم الراعوية بمقتضى تدبير إلهي، سواء أكان على تكليف من المسيح، أم على ارشاد الروح القدس(أعمال28/20). ولذا فالأساقفة هم خلفاء الرسل، لا بحيث أن كل اسقف بمفرده هو خليفة لرسول بعينه، بل بحيث أن مجموع الأساقفة هم خلفاء جماعية الرسل. ه) سلطة راعوية **حقيقية** تشتمل على كل ما تقتضيه ممارسة الوظيفة الراعوية من سلطات، وهي: سلطة التعليم، وسلطة الادارة بحصر المعنى، أي السلطة التشريعية

والقضائية والجزائية(الحق القانوني335&1). و) سلطة **محدودة** المكان والموضوع، اذ أنها تبسط ولايتها على جزء معيّن من الكنيسة، ملتزمة الحدود التي تضعها لها السلطة الباباوية العليا(الحق القانوني220). انظر البيان الذي اذاعه الأساقفة الألمان في عام 1875 وأقرّه البابا بيوس التاسع(D_ 3112S_ 3117).

2. **جماعية الاساقفة**

*** يؤلف الأساقفة معًا، بوصفهم خلفاء الرسل، جماعية Collegium يرئسها البابا بوصفه خليفة بطرس.** قضية أكيدة.

اعلن المجمع الفاتيكاني الثاني: "أن الحبر الروماني خليفة القديس بطرس، والأساقفة خلفاء الرسل، يرتبطون بعضهم مع بعض على مثال ما كان القديس بطرس وسائر الرسل يؤلفون جماعية رسولية واحدة، ذلك بمقتضى ما وضعه المسيح... فمصاف الأساقفة، الذين يخلفون جماعية الرسل في وظيفة التعليم والرعاية، بل والذين بهم ما تزال الجماعية الرسولية قائمة، يحملون، متحدين مع رأسهم الحبر الروماني، وحاشى بدونه، السلطة العليا الكاملة على الكنيسة كلها. الا أن هذه السلطة لا يمكن ممارستها الا بموافقة الحبر الروماني"(في الكنيسة22).

أن معنى "جماعية Collegium"، على ما جاء في "الشروح التمهيدية"(رقم1)، يجب فهمه لا بالمعنى القانوني الضيق على أنه اتحاد بين متساوين يسلّمون سلطتهم الى رئيس، بل بمعنى جمعية من الأشخاص مؤسسة تأسيسًا وطيدًا (اتحاد ثابت، جسم، مصاف)، يقوم نظام تكوينها وكامل سلطتها على الوحي.

أن الرسل يؤلفون معًا اتحادًا واضح المعالم. فهم "الاثنا عشر"(متى17/20؛ 14/26، 17؛ يوحنا71/6 (انظر72)؛ 24/20؛ أعمال2/6؛ 1كور5/15)، والى هؤلاء الاثنى عشر سلَّم المسيح سلطة الحل والربط(متى18/18)، واليهم نقل رسالته(يوحنا23/21/20)، وقد عهد اليهم بتعليم الأمم وتعميدهم جميعًا(متى19/28 ومايلي؛ مرقس15/16؛ أعمال8/1)، ووعدهم بالبقاء معهم حتى انقضاء العالم(متى20/28). وقد وقع الاختيار على متياس، تبعًا لاختيار المسيح له عن طريق القرعة، ليحلف يوضاس في جماعية الرسل(أعمال26/1). وقام الرسل معًا بادارة جماعية اورشليم الأولى(أعمال12/1)، والتأموا مع الكهنة

والشيوخ في المجمع الرسولي(أعمال6/15 ومايلي). فالرسل الاثنا عشر هم، على ما ورد في 14/21A P K، أساس البنيان في كنيسة المسيح. وقد ذكرهم القديس اغناطيوس الانطاكي باسم "مجلس الشورى، Synedrion" (1/6Magn).

والتقليد يشهد على جماعية مصاف الأساقفة بما ساد من صلات صميمة فيما بين الأساقفة أنفسهم، فيما بينهم وبين الحبر الروماني، وبما شهدته المجامع المسكونية والمحلية من اجتماعتهم للتشاور المشترك.

3. تسليم السلطة الأسقفية

- **تولي السيامة الأسقفية قابلها، بالاضافة الى سلطة التبرير، سلطة التعليم وسلطة الإدارة**. قضية أكيدة.

أعلن المجمع الفاتيكاني الثاني: "أن السيامة الأسقفية تسند الى قابلها، علاوة على وظيفة التقديس، وظيفة التعليم ووظيفة الإدارة، وهي وظائف لا يمكن ممارستها، على ما تقتضيه طبيعتها، الا بقيام الشركة المتدرجة مع رأس الجماعية الأسقفية وأعضائها"(في الكنيسة21). ويصبح المرء عضوًا في الجماعة الأسقفية هذه بقبول سر السيامة وحفظ روابط الشركة مع راس الجماعية وأعضائها"(في الكنيسة22).

نستدل على ذلك من التقليد الليتورجي في كنيستَي الشرق والغرب. وصلوات رتبة سيامة الأسقف تستمد نعمة الله لا لممارسة الوظيفة الكهنوتية فقط، بل أيضا لممارسة وظيفتَي التعليم والرعاية. فمثلًا في كتاب توزيع الأسرار المسمَّى باللاوني Leonianum: "هبهم المنصب الأسقفي لحكم كنيستك وشعبك كله"(طبعة مولبرغ120).

وعلى ما ورد في "الشروح التمهيدية"(رقم2)، يتم في السيامة الأسقفية الاشتراك المناسب في وظائف المسيح. وللدلالة على هذا المعنى اختار الدستور "في الكنيسة" لفظة"وظيفة" بدل"سلطة"، لأن لفظة سلطة قد تؤخذ بمعنى السلطة المباشرة لعملها، مع أن مثل السلطة تحتاج أيضًا الى تحديد قانوني شرعي لصلاحيتها عن يد السلطة العليا. وقد يقوم هذا التحديد بإيلاء وظيفة خاصة، أو بتعيين المرؤوسين، ممَّا تضعه السلطة العليا وفقًا لخطة مقررة. ويجب

فهم وثائق البابوات الأخيرين، في شأن ولاية الأساقفة، بهذا المعنى من التحديد الضروري. مثلًا هذا القول لبيوس الثاني عشر في رسالته Mystici Corporis (1943): "أن للأساقفة سلطة للولاية عادية قد أولاهم اياها البابا مباشرة"(2287D.).

ملحق: وظيفة الخوري

أن البابا والأساقفة هم وحدهم أصحاب سلطة ولاية الكنيسة بموجب الشرع الالهي، وكل سواهم من أصحاب الوظائف **بموجب الشرع الكنسي**. أما قول اللاهوتيين الغليكانيين بأن المسيح أنشأ وظيفة الخوري في شخص التلاميذ الاثنين والسبعين، لكي يستنتجوا من ذلك حق الاشتراك في حكم الكنيسة (parochianisme)، فهو قول لا يستند لا على الكتاب المقدس ولا على التاريخ. وقد أدان البابا بيوس السادس تعليمهم وادعاءات مجمع بيستوا(1786) (1509D._ 1510).

الفصل الثالث

أسباب الحياة الداخلية في الكنيسة

10. المسيح والكنيسة

يقول البابا بيوس الثاني عشر في رسالته Mystici Corporis بأن المسيح هو المؤسّس، والراس، والحافظ، والفادي لجسده السري الذي هو الكنيسة. فلنتبع في شرحنا هذا التقسيم.

1. مؤسس الكنيسة

- **المسيح أسَّس الكنيسة.** من الايمان.

يقول البابا بيوس الثاني عشر: "أن المخلص الالهي بدأ هيكل الكنيسة الرمزي عندما أذاع وصاياه مناديًا بالانجيل، وتممه عندما علّق على

الصليب، وأظهره معلنًا اياه للعموم عندما أرسل الروح القدس معزيًا، بصورة منظورة، الى تلاميذ". انظر.1821D، 2145.

آ) أرسى يسوع **أساسات** كنيسته في مدة رسالته العلنية، عندما اختار الرسل، وأرسلهم كما أرسله الآب، وجعل بطرس رئيسًا أعلى لكنيسته وممثله على الأرض، ووضع في ايديهم تعاليمه ووسائل نعمه(انظر&2و 5).

ب) **وتمم** يسوع على الصليب بناء كنيسته. فالعهد القديم قد انتهى، وبدأ العهد الجديد بدم المسيح. وقد رأى الآباء واللاهوتيين في الدم والماء اللذين خرجا من جنب المسيح رمزًا لميلاد الكنيسة. وكما أن حواء، أم الأحياء، خرجت من آدم النائم، كذلك الكنيسة، أم الأحياء بالنعمة، خرجت من جنب آدم الثاني النائم على الصليب. فالدم والماء هما صورتان لسرَّي العماد والاوخارستيا، اللذين هما عنصران جوهريان من الكنيسة يمثلان الكنيسة نفسها. وقد اثبت مجمع فيانا بسلطانه هذه الرمزية التي ترتقي الى القديس اوغسطينوس(.10/40D. والقديس توما92/1: 3؛ 2/64/3 على الثالث).

ج) وفي يوم العنصرة منح المسيح الممجد كنيسته قوة الروح القدس الفائقة الطبيعة، داخلًا بها بحلول الروح القدس الظاهر في **العلانية**، كما قبل هو بدء رسالته شهادة الروح القدس في العلانية عندما حلَّ عليه حلولًا ظاهرًا وأدخله في وظيفته المسيحية.

2. رأس الكنيسة

*** المسيح هو رأس الكنيسة**. من الايمان.

أعلن البابا بونيفاشيوس في البراءة Unam Sanctam (1302): "أن الكنيسة تمثل جسدًا واحدًا رمزيًا رأسه المسيح"(.468D). وقال مجمع ترانت: "يُجري يسوع القوة في المبرّرين بلا انقطاع، كالرأس في الأعضاء، والكرمة في الأغصان"(.809D).

ويقول القديس بولس "أن المسيح هو رأس جسد الكنيسة"(كولوسي18/1؛ انظر23/5). "الذي هو الرأس، المسيح؛ الذي من كل الجسد يتَّسق ويتلاءم"(أفسس15/4_ 16؛ انظر كولوسي19/2). ففي هذه الآيات مكان المسيح من تلاميذه يشبه مكان الرأس من الجسم.

يقيم بيوس الثاني عشر دور المسيح الرأس في الكنيسة، على مقتضى ما ورد في شرح القديس توما(1/8/3؛ في الحقيقة4/29)، أي على رفعه مقامه، وعلى ادارته

للكنيسة، وعلى مساواته للناس بالطبيعة البشرية، وعلى ملء النعمة فيه، وعلى توزيعه للنعم:

آ) كما ان الرأس يختل المحل الأعلى في الجسد البشري، كذلك المسيح، بوصفه انسانًا_ الهًا. يحتل **محلًا رفيعًا** وحيدًا في الكنيسة. فهو، بوصفه الهًا، بكر كل خلق(كولوسي15/1)، وبوصفه انسانًا البكر بين الأموات(كولوسي18/1)، وبوصفه الهًا_ انسانًا الوسيط الوحيد بين الله والناس(1تيمو5/2). والسبب الأخير الصميم لرفعة مقامه هو الاتحاد الأقنومي.

ب) وكما أن الرأس، لما له من القوى الشريفة النبيلة، يدير سائر أعضاء الجسد، كذلك المسيح **يدير ويحكم** الكنيسة بأسرها، سواء أكان بطريقة منظورة، اذ يعمل مباشرة في عقل الناس وقلبهم، هاديًا ومقويًا، [1] بطريقة منظورة وعادية وبالواسطة، اذ يدفع الى العمل المراتب الكنسية التي أسسها.

ج) وكما أن للرأس ما لسائر أعضاء الجسد من الطبيعة نفسها، كذلك للمسيح، بتجسده، ما لنا من **الطبيعة نفسها**، بضعفها، وتألمها، وموتها، وحتى صار لنا هكذا من أقرب الأقربين. فابن الله صار انسانًا ليجعلنا اخوته بحسب الجسد، وشركاء في الطبيعة الالهية(2بطرس4/1).

د) وكما ان الرأس هو مركز كل الحواس بينا ليس سائر الأعضاء غير حاسة اللمس، كذلك المسيح هو، بسبب الاتحاد الأقنومي، **مركز كمال المواهب الفائقة الطبيعة كلها**. يوحنا14/1: "مملوء نعمة وحقًا". ففيه الروح القدس مع لا يمكن تصوره من ملء النعم(يوحنا34/3)، وله أعطى السلطان على كل البشر(يوحنا2/17)، وفيه مكنونة جميع كنوز الحكمة والعلم(كولوسي3/2)، كما وعلم رؤية الله.

ه) وكما أن من الرأس تذهب الأعصاب الى أعضاء الجسد المختلفة وتمدها بالحس والحركة، كذلك من المسيح رأس الكنيسة تذهب **النعمة بلا انقطاع الى أعضاء جسده السري**، فتُنيرهم وتبرّرهم تبريرًا فائق الطبيعة. فهو، من حيث أنه اله، علة النعمة الأصلية، ومن حيث أنه انسان، على النعمة الآلية. يوحنا16/1: "من امتلائه نحن كلنا أخذنا، ونعمةً مكان نعمة". وه يحدد لكل من الناس مقدار النعمة(أفسس7/4). وهو يفيض نور الايمان(عبر2/12: "مبدئ الايمان")، ويولي الرعاة المعلمين بنوع خاص مواهب العلم والفطنة والحكمة، ويدير المجامع وينيرها، ويعطي القوة الفائقة الطبيعة لإنجاز الأعمال الخلاصية(يوحنا5/15): "بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا"؛ ويمنح خاصة أرفع أعضاء الجسد السري مقامًا مواهب المشورة القوة ومخافة الله، ويبعث في النفوس مفعول الأسرار بوصفه المعطي الأول، ويُشبع المفتدين بجسده ودمه(يوحنا56/6)، وينفي فيهم النعمة، ويولي الجسد والنفس والمجد(يوحنا55/6).

3. **حافظ الكنيسة**

*** "هو المخلص نفسه يحفظ بقوة الهية الجماعة التي أسسها وهي الكنيسة"**(بيوس الثاني عشر).

أن اتّحاد المسيح مع الكنيسة هو اتحاد صميم ثابت يغدوان معه شخصًا واحدًا سريًا(القديس توما3/48/2 على الاول). فالمسيح، عندما يقول: "عطشتُ ولم تسقوني"(متى25/42)، او ينادي بولس من السماء: "شاول شاول لماذا تضطهدني؟"(أعمال9/4)، يكون هو والكنيسة وأعضاؤها واحدا. وعلى شاكلة هذا القول يسمّى بولس الكنيسة المتّحدة بالمسيح باسم المسيح. 1كور12/12: "كما أن الجسد واحد وله أعضاء كثيرة وجميع أعضاء الجسد مع كونها كثيرة انما هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضًا".

القديس **اوغسطينوس** يعلن: "المسيح(=الكنيسة) يبشّر بالمسيح، الجسد يبشر بالراس والراس بجسده"(العظة1/354)، حتى يغدو المعمَّد، على تعبيره، لا مسيحيًا فقط، بل مسيحًا: "هنيئًا لنا والحمدلله، اذ صرنا المسيح، ولا غرو! فلئن كان هو الرأس ونحن أعضاء، فهو ونحن اذًا الانسان الكامل"(في تفسيره ليوحنا8/21). والجسد والرأس يؤلّفان"المسيح كاملًا"(في تفسيره لرسالة يوحنا الأولى2/1؛ في وحدة الكنيسة7/6).

السبب الأساسي في اتحاد المسيح بالكنيسة اتحادًا يصبران به شخصًا سريًا واحدًا يقوم، من جهة، بأن المسيح، بتقليده رسالته الرسل وخلفاءهم، صار هو الذي، بواسطتهم، يعمّد ويعلّم ويرشد ويربط ويحلّ ويقدم القربان ويذبح الذبيحة، ومن جهة أخرى، بأن المسيح يشرك الكنيسة في حياته الفائقة الطبيعة، اذ يشبع في جسدها كله قوته الإلهية، ويغذي ويحفظ كل عضو منه بحسب وظيفته فيه، كما تغذي الكرمة والغصن المتّحد بها وتجلعه مثمرًا(يوحنا15/1_ 8).

4. فادي الكنيسة

- **"المسيح هو الفادي الإلهي للجسد الذي هو الكنيسة"**(بيوس الثاني عشر).

يقول القديس بولس: "المسيح هو رأس الكنيسة مخلّص الجسد"(أفسس5/23). ولئن كان المسيح "مخلص العالم"(يوحنا4/42)، والمخلص الناس أجمعين"، فهو "مخلص الناس أجمعين ولا سيما المؤمنين"(1تيموثاوس4/10). فهؤلاء انما يؤلّفون الكنيسة "التي اقتناها بدمه"(أعمال20/28).

ولا غرو! فهو لم يفتدها بتقديمه التعويض عنها على الصليب واستحقاقه لها النعمة وحسب، بل بشفائه اياها من الخطيئة وبتقدسه اياها بنعمة الخلاص التي اكتسبها على الصليب. وإن ما بدأه يومًا على الصليب، يتابعه دون انقطاع في المجد السماوي بشفاعته(انظر رومانيين34/8؛ عبرانيين25/7؛ 24/9).

11. الروح القدس والكنيسة

1. **الروح القدس هو نفس الكنيسة**. قضية عامة.

أعلن لاون الثالث عشر في رسالته Divinum illud (1897): "عبارة واحدة تغني: "المسيح. هو رأس الكنيسة **والروح القدس هو نفسها"**. وقد أثبت بيوس الثاني عشر هذا التعليم في رسالته Mystici Corporis (.2288D)، حيث يقول بأن الروح القدس المبدأ الجوهري الحيوي للكنيسة، وأشبه ما يكون بالنفس في الجسد. فهو الذي يوحَّد فيما بين أعضاء الكنيسة، وفيما بينهم وبين المسيح، لأنه كله في الراس وكله في أعضاء الجسد السري. وهو الذي يعاون رؤساء الكنيسة في ممارستهم لوظيفتهم التعليمية والراعوية والكهنوتية. وهو الذي بنعمته يهيب بأعضاء جسده السري الى كل عمل خلاصي ويساعدهم في انجازه. فكل حياة ونمو للجسد السري أصلهما من مبدأ الحياة الالهية الذي يسكن فيه.

هذا التعليم يقوم على أقوال عديدة للكتاب المقدس عما يأتيه الروح القدس في الكنيسة من عمل داخلي خفي. فهو يقوم دائما مقام يسوع لدى تلاميذه(يوحنا16/14)؛ وهو يسكن فيهم كما في هيكل(1كور16/3؛ 19/6)؛ ويجمعهم في وحدة جسد واحد(1كور13/12)؛ ويعلمهم كل ما قاله لهم يسوع ويذكّرهم به

(يوحنا26/14؛ 1يوحنا27/2)؛ ويشهد ليسوع(يوحنا26/15)؛ ويهدي الى الحقيقة كلها(يوحنا13/16)؛ ويتكلم في باطنهم عندما يساقون الى المحاكم(متى20/10)؛ ويعمل فيهم عندماُ يعترفون بيسوع معلمًا لهم(1كور3/12)؛ ويساعد على حفظ وديعة الايمان(2تيمو14/1)؛ يهب النعم الخارقة ويوزعها على ما يشاء(1كور11/12)؛ ويجعل من المسيحي مسكنًا لله(أفسس22/2)؛ ويغفر الخطايا(يوحنا22/20)، ويأتي بالولادة الثانية(يوحنا5/3)؛ وبالتجديد الروحي(تيطس5/3)؛ ويمنح لقب ابن الله(رومانيين15/8)؛ ويفيض محبة الله في قلوب المؤمنين(رومانيين5/5)؛ ويبعث كل الفضائل المسيحية(غلاطيا22/5)؛ ويقيم رؤساء الكنيسة(أعمال28/20)؛ ويُنير سلبهم في وظيفتهم(أعمال28/15)؛ ويقوي من ضعفنا ويشفع بنا لدى الآب(رومانيين26/8)؛ وبمعونته نصرخ نحو الله: "أبَّا، أيها الآب"(رومانيين15/8؛ غلاطيا6/4).

بهذا الاتحاد الوثيق بين الروح القدس والكنيسة يقول **الآباء** جميعًا. فليعن القديس **ايريناوس:** "حيث الكنيسة هناك روح الله؛ وحيث روح الله هناك الكنيسة مع كل نعمة"(ضد المبتدعين3/24/1). والقديس **اوغسطينوس** يشبّه عمل الروح القدس في الكنيسة يعمل النفس في الجسد: "الروح القدس هو لجسد المسيح الكنيسة مثلما هي النفس لجسد الانسان. فالروح القدس يعمل في كل الكنيسة ما تعمله النفس في كل أعضاء الجسم الواحد". وكما أن النفس تحيي بنعمته كلَّ عضو من الجسم وتعيّن له وظيفةً□ا□ة، كذلك الروح القدس يحيي بنعمته كل عضو من الكنيسة ويعيّن له وظيفة□ا□ة يقوم بها في□دمة الكل. فهو في بعضهم يجترح المعجزات، وفي بعضهم يعلّم الحقيقة، وفي بعضهم يحفظ البتولية، وفي غيرهم الطهاراة الزوجية، وفي آ□رين يعمل شيئًا وفي غيرهم غيره. وكما أن النفس لا تتبع العضو الذي انفصل عن الجسد، كذلك الروح القدس لا يتبع العضو الذي انفصل عن الكنيسة"(العظة4/4/267).

وقد **نهجت المدرسة** في هذا الموضوع نهج القديس اوغسطينوس، **كالقديس توما** مثلًا في شرحه لقانون ايمان الرسل. وهو يقول، مستعملًا □ورة أ□رى، بأن الروح القدس هو قلب الكنيسة، تبعًا لنظرية أرسطو بأن القلب هو العضو المركزي الذي منه تجري في الجسم كل القوى الحيوية. فالروح القدس هو، على شبيه ذلك، المبدأ العام الذي منه تجري الى الكنيسة، رأسها وأعضائها، كل القوى الحيوية الفائقة الطبيعة، أي كل النعم. وكما أن القلب هو، في عمله العام، غير منظور، كذلك الروح القدس هو، في عمله العام في الكنيسة، يحيي ويوحد، غير منظور. فتشبيه الروح القدس بالقلب هو اذًا تشبيه جد موافق، كما أن تشبيه المسيح بالرأس، بسبب طبيعته البشرية تدركها الحواس، هو أيضًا تشبيه جدّ موفق، كما

أن تشبيه المسيح بالرأس، بسبب طبيعته البشرية التي تدركها الحواس، هو أيضا تشبيه جد موفق(القديس توما3/8/1 على الثالث). ويقول القديس توما، شارحًا

علاقات الروح القدس بالكنيسة بدون استعارات ولا صور: أن الروح القدس يوحّد الكنيسة، ويحييها، ويعلّمها، ويسكن فيها، ويشرك الواحد فيها في خيرات الآخر(انظر القديس توما2/2: 9/1 على الخامس؛ 1/8/3 على الثالث؛ 9/68/3 على الثاني؛ وفي شرحه للرسالة الأول الى القورنتين2/12).

2. جسد الكنيسة ونفسها

بما أن الروح القدس هو نفس الكنيسة، فالجماعة المنظورة التي تتألف شرعًا من المؤمنين هي جسد الكنيسة. فكلاهما يكوّنان معًا وحدة متجانسة تشبه وحدة النفس والجسد في الانسان. 1كور13/12: "إنًا جميعًا اعتمدنا **بروح واحد لجسد واحد**". وعليه فمن يبقى بذنب منه خارج جسد الكنيسة، لا يستطيع أن يشترك في الروح القدس ولا في حياة النعمة الصادرة عنه. فيقول القديس **اوغسطينوس**: "لا يحيا بروح المسيح الا جسد المسيح... أتريد أن تحيا بروح المسيح؟ كن اذًا في جسد المسيح"(في تفسيره ليوحنا13/26). "الروح لا يتبع عضوًا منفصلًا"(العظة4/4/267). ومن جهة أخرى يجب أن نستنتج، من ارادة الله بخلاص البشر عامةً ارادةً صادقة، ان الذي لا يعرف كنيسة المسيح الحقيقية عن جهل مطبق يستطيع أن ينال الروح القدس والحياة الفائقة الطبيعة التي أوجدها، وهو في خارج جسد الكنيسة، اللهم اذا كانت له الرغبة الضمنية بالدخول في كنيسة المسيح. وهو بذلك يشبه ذلك الذي لا يستطيع قبول العماد، لكنه ينال نعمة العماد، لأنه في شوق ضمني اليه(انظر.1647D، 1677؛ انظر فيما يلي&20).

الفصل الرابع

صفات الكنيسة الجوهرية

12.ثبات الكنيسة

المراد بثبات الكنيسة دوامها وبقاؤها الى انتهاء العالم، وعدم تغيرها تغيرًا جوهريًا

من حيث التعليم والكيان والعبادة. غير أن ثباتها هذا لا يتنافى وزوال بعض الكنائس أو وقوع تغيرات عرضية.

- **الكنيسة ثابتة، أي باقية الى منتهى العالم كالمؤسسة الخلاصية التي أنشأها المسيح.** قضية أكيدة.

وصف المجمع الفاتيكاني الأول الكنيسة بأنها"ثابتة لا تتزعزع" (.1794D)، قال عنها "بأنها مبينة على صخرة وباقية الى منتهى الدهر"(.1842D). ويلاحظ لاون الثالث عشر رسالته Satis cognitum: "بأن الكنيسة هي واحدة ذات دوام أبدي"(.1959D).

أنكر ثبات الكنيسة هذا **عناصر وحانية** من القديم (Montanistes) ومن القرون الوسطى يواكيم الفلوري والفرنسيسكانيون الروحيون، قائلين بعهد جديد للروح القدس تحل في كنيسة روحانية أكمل محلّ كنيسة التي صارت عالمية. وأنكره أيضًا **البروتستان** الذين زعموا أن الكنيسة بوقوعها تحت نير البابوية قد انحرفت عن تعليم المسيح، والجانسينيون (كينل ومجمع بستويا) الذين أخذوا على الكنيسة أنها وضعت بعض حقائق الايمان تحت المكيال، **والمودرنست** القائلين بتطوّر جوهري في عقيدة الكنيسة وكيانها(انظر.1445D، 1501، 2053، 2054).

أن النبواءت التي تتعلَّق في المسيح تُشير الى ميثاق أبدي يُعقد بين الله وشعبه(اشعيا3/55؛ 61/8؛ ارميا40/32)، والى ملكوت أبدي لا يتقوض(اشعيا7/9؛ دانيال44/2؛ 14/7). فعرش داود يجب أن يبقى في كل الأزمنة، كالشمس والقمر(المزمور37:88_ 38). والأنبياء انما يقصدون المسيح وملكوته الذي هو الكنيسة. وقد أخبر الملاك جبرائيل عندما جاء بالبشارة: "وسيملك على بيت يعقوب الى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء"(لوقا33/32/1).

لقد بني المسيح كنيسته على الصخرة لتقوي على مقاومة العواصف(متى24/7)، وقطع لها الوعد بأن "أبواب الجحيم لن تقوى عليها"(متى18/16). وسواء أفهمنا كلمة"أبواب الجحيم" بمعنى سلطان الموت أم سلطان الشر، فإن النص المذكور ليدل دلالة واضحة على دوام الكنيسة وثباتها. وقد وعد يسوع تلاميذه، لزمان ما بعد صعوده الى السماء، ببارقليط آخر يقيم معهم الى الأبد، روح الحق(يوحنا16/14). وعندما أرسل رسله قطع لهم هذا العهد: ها أنا معكم كل الايام الى مننتهى الدهر"(متى20/28). وما مثل الزؤان(متى13

/30/24، 43/36) ومثل الشبكة(متى50/47/13) سوى دليل على دوام ملكوت الله على الأرض الى اننتهاء العالم. وقد ذكر القديس بولس أن الاوخارستيا ستقام ذكرًا لموت الرب"الى أن يأتي"(1كور26/11).

يرى القديس اغناطيوس الانطاكي في "مسح" المسيح رمزا لثبات الكنيسة(في رسالته الى أهل أفسس1/17)، ويعلن القديس ايريناوس أن تعليم الكنيسة انما هو ثابت لا يتغير، خلافا لتعاليم الغنوسية، بنعمة الروح القدس(ضد المبتدعين1/24/3). والقديس أنه لن ينهار، وبالتالي لن تتداعى الكنيسة"(في تفسيره للمزمور5/2/103). (انظر في تفسيره للمزمور7/47؛ 6/60).

والسبب الأساسي لثبات كنيسة المسيح هو في علاقتها الصحيحة مع المسيح، أساسها الأول(1كور11/2)، ومع الروح القدس الساكن فيها مبدأ حيويًا جوهريًا. ويرد القديس توما على يواكيم الفلوري قائلًا لا تنتظرنَّ حالةً أكمل تعطي فيها نعمة الروح القدس بغزارة أكثر مما اعطيت الى الآن(القديس توما2/1: 106: 4). وقد برهن البنيان الذي قام على المسيح والرسل على رسوخه بصدّه ظافرًا هجمات الاضطهادات والأضاليل والشياطين.

13.عصمة الكنيسة من الغلط

العصمة من الغلط هي عدم امكان السقوط في الضلال. وهي اثنتان: عصمة تختص برعاة الكنيسة عندما يعلّمون(**العصمة في التعليم**)، وعصمة تختص بمجموع المؤمنين عندما يقبلون بعقيدة (**العصمة من الايمان**). والعلاقات بينهما هي علاقات بين علة ومعلول. والكلام يدور هنا على الأول أي العصمة في التعليم.

1. حقيقة العصمة

- **الكنيسة معصومة من الغلط في أحكامها النهائية في الايمان والآداب.** من الايمان.

أن تحديد المجمع الفاتيكاني الأول لعصمة البابا يفترض عصمة الكنيسة اذ يعلن: "أن للبابا، عندما يتكلَّم من منصّة التعليم(ex cathedra)، تلك

العصمة التي أراد المخلص الالهي أن يوليها كنيسته في الأحكام النهائية في الايمان والآداب"(.1839D).

خصوم هذه العقيدة هم: **البروتستان** الذين انكروا في الكنيسة درجات الرئاسة(hierachie) فأنكروا بذلك سلطة الوظيفة التعليمية، **والمودرنست** الذين انكروا الأصل الالهي للسلطة التعليمية فأنكروا معه عصمتها من الغلط.

وعد **المسيح** رسله بعونه وعون الروح القدس ليقوموا بوظيفتهم التعليمية. يوحنا17/16/14: "أنا أسال الآب فيعطيكم معزيًا آخر يقيم معكم الى الأبد، روح الحق". متى20/28: "ها أنا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر"(انظر يوحنا26/14؛ 13/16؛ أعمال8/1). هذا العون الدائم، يأتي الرسلَ وخلفاءَهم من المسيح والروح القدس، يضمن لهم صفاء تعليمهم وسلامته. ولذا فهو يقتضي لتعليم الرسل وخلفائهم"طاعة الايمان" المطلقة(رومانيين5/1) التي هي شرط الخلاص الأبدي: "من آمن واعتمد يخلص، ومن لم يؤمن يدان"(مرقس16/16). وهو والرسل واحد: "من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني"(لوقا16/10؛ انظر متى40/10؛ يوحنا20/13). وهذا يفرض أن الرسل وخلفاءهم في مأمن من خطر الضلال في تعليم الايمان. **والقديس بولس** يرى في الكنيسة "عمود الحق وأساسه" (1تيمو15/3). والعصمة من الغلط في تعليم الايمان هي شرط أساسي لوحدة الكنيسة وصمودها على الدهر.

يذكر **الآباء**، في ردودهم على البدع، أن الكنيسة حفظت الحقيقة التي أودعها اياها الرسل كاملةً غير منقوصة، وستحفظها كذلك لكل الأزمنة. وقد بيّن القديس **ايريناوس** ضد ضلال الغنوسية، أن تعليم الكنيسة هو هو لا يتغير، لأن عندها الروح القدس، روح الحق، "حيث الكنيسة هناك روح الله، وحيث روح الله هناك الكنيسة مع كل نعمة. والروح هو الحق"(ضد المبتدعين1/24/3). والكنيسة هي "بيت الحقيقة"، البيت الذي لا مكان فيها للمبتدعين(2/24/3). والذي يضمن لتناقل تعليم الرسل سلامته هو تعاقب الأساقفة المتواصل منذ عهد الرسل: "فقد قبل الأساقفة، مع الخلافة في الوظيفة الأسقفية، موهبة تعليم الحقيقة بصورة أكيدة، على مقتضى رضي الآب مشيئته"(2/26/4)(انظر القديس قبريانوس الرسالة7/59).

والسبب الاساسي لعصمة الكنيسة هذه هو في معونة الروح القدس التي وعدت بها بنوع خاص في ممارستها للوظيفة التعليمية(انظر القديس توما2/2: 1: 9. أسئلة شتى16/9).

2. موضوع العصمة

آ)* الموضوع الأولي للعصمة هو حقائق التعليم المسيحي الموحى بها صريحا عن الايمان والآداب. من الايمان.

يمكن الكنيسة لا أن تقرّر وتعرض معنى التعليم، بشرح رسمي للكتاب المقدس وشهادات الآباء، وبوضع صور لقوانين الايمان وحسب، بل أيضًا أن تكشف الأضاليل التي تتعارض والتعليم الموحي وتدوينها، إلا كانت أمينة لوظيفتها "كحافظة لكلام الله الله الموحى ومعلمته"(.1793D، 1798).

ب)* **الموضوع الثاني للعصمة هو حقائق التعليم المسيحي غير الموحااة صريحا عن الايمان والآداب لكن تمت بصلة وثيقة الى التعليم الموحى.** قضية أكيدة.

البرهان على ذلك هو في غاية العصمة نفسها، التي تقوم "بحفظ وديعة الايمان بقداسة، وبشرحها شرحًا صحيحًا"(.1836D). فالكنيسة لا تستطيع أن تُدرك هذه الغاية الا اذا كانت تستطيع، في تعاليم ووقائع تمتّ الى التعليم الموحى بصلة وثقى، أن تصدر حكمًا معصومًا إما بالايجاب باعلانها الحقيقة، وأما بالسلب بادانة الضلال الذي قام ضدها.

ومما يتعلق بموضوع العصمة الثانوي هذا: **النتائج اللاهوتية** المستنتجة من حقيقة موحاة ومن حقيقة للعقل الطبيعي؛ً2 **الوقائع التاريخية** التي عليها يتوقّف اليقين في حقائق موحاة؛ ً3 **حقائق العقل الطبيعة** التي لها صلة صميمة بالحقائق الموحاة؛ ً4 **تثبيت القديسين** أي الحكم النهائي المعلن أن عضوًا من أعضاء الكنيسة قد دخل في السعادة السماوية وأن بإمكان المؤمنين تأدية الاكرام له. والاكرام الذي يؤدي للقديسين هو، على ما يعلّم القديس توما، "اعتراف ايمان بأن القديسين هم في المجد الأبدي"(مسائل شتى16/9). فلو غلطت الكنيسة في حكمها لأدى غلطها الى نتائج لا تتّفق وقداستها.

3. أصحاب العصمة

أن أصحاب العصمة هم البابا ولفيف الأساقفة، أي مجموع الأساقفة متحدين مع البابا، رأسهم.

آ) **البابا**

*** البابا هو معصوم من الغلط حين يتكلم من منصة التعليم(ex cathedra).** من الايمان.

ب) **مجموع الأساقفة**

*** الأساقفة هم جملةً معصومون من الغلط وذلك عندما يعلّمون، مجتمعين في مجمع عام أو متفرقين في كل الأرض، تعليمًا في الايمان والآداب على أنه حقيقة يجب على كل المؤمنين أن يعتقدوا بها.** من الايمان.

يقول مجمع ترانت أن الأساقفة هم خلفاء الرسل(.1828D). وبذلك فهم مثلهم رعاة المؤمنين ومعلموهم(.1821D). وبوصفهم معلمين قد اعتمدتهم الكنيسة لتعليم الايمان فهم أصحاب العصمة التي تتمتَّع بها سلطة الكنيسة التعليمية.

والتعليم المعصوم الذي يقوم به مجموع أساقفة العالم هو على نوعين:

نوع غير عادي ونوع عادي:

1ً يمارس مجموع الأساقفة التعليم المعصوم على نوع **غير عادي** في **مجمع عام**. ففي تحديداته يبدو جليًا هذا التعليم المعصوم تقوم به الهيئة التعليمية التي أسَّسها المسيح.

اعتقاد الكنيسة الدائم هو أن قرارات المجامع العامة معصومة من الغلط. فيقول القديس **اثناسيوس** في شأن قرار مجمع نيقية: "أن كلام الله الذي فاه به مجمع نيقية العام سيبقى الى الأبد"(الرسالة الى أفروس2). والقديس **غريغويوس الكبير** يعترف باحترام بالمجامع العامة الأربعة اعترافه بالأناجيل الأربعة، ويرى الخامس معادلًا للأربعة الآخرين(الرسالة25/1).

حتى يعتبر أحد المجامع مجمعا عاما يجب:

1ً أن يدعي اليه كل أساقفة العالم ذوي الولاية. 2ً أن يجتمع فيه عدد من أساقفة الأقطار المختلفة يمكن اعتبارهم ممثلين مجموع الأساقفة. 3ً أن يدعو اليه البابا أو على الأقل أن يرضى بالتئامه، وأن يرئسه بشخصه أو بمثل له، وأن يثبت قراراته أما صريحا وأما ضمنا، حتى يكون لها قوة قانونية عامة(الحق القانوني227).

وأن المجامع الثمانية العامة الأولى قد دعا اليها الامبراطور، الذي كانت له عادة رئاسة شرف وحماية خارجية. وقد التأم الثاني والخامس بدون اشتراك البابا او ممثليه، فكانا، تبعًا لصورة الدعوة اليهما، وتأليفهما، وسيرهما، مجمعين اقليميين للشرق. الا أنهما قد اكتسبا صفة المسكونية على أثر اعتراف الكنيسة كلها فيما بعد قراراتهما التعليمية.

2ً يمارس مجموع الأساقفة التعليم المعصوم على **نوع عادي**، حين يُذيعون في أبرشياتهم بالاجماع وبالاتحاد الادبي مع البابا، الحقائق عينها في الايمان والآداب. وقد صرَّح المجمع الفاتيكاني الأول مُعلنًا بأن الحقائق الموحاة التي تعلمها السلطة التعليمية العادية العامة في الكنيسة يجب الايمان بهما ايمانًا إلهيًا

كاثوليكيًا(.1792D). والأساقفة المنتشرون في العالم كله أصحاب هذه السلطة التعليمية العادية العامة. وإجماعهم على التعليم يظهر في كتب التعليم المسيحي التي وضعوها، وفي رسائلهم الراعوية، وفي كتب الصلاة التي أجازوا طبعها، وفي قرارات مجامعهم الخاصة. ويكفي الإجماع العام الأدبي، على أن لا يخلو من رضى البابا الصريح أو المضمَر من حيث أنه رأس لفيف الأساقفة الأعلى.

ليس الأسقف **شخصيًا** بمعصوم في تعليم الايمان. وتاريخ الكنيسة لا يخلو من أساقفة ضلوا ووقعوا في البدعة، مثل فوتينوس ونسطوريوس. والعصمة الجماعية للفيف الأساقفة تكفي لسلامة التعليم الموحى. ويكفي بالاجماع العام الأدبي هذا على أن لا يخلو من رضى البابا الصريح أو الضمني، من حيث أنه رأس لفيف الاساقفة الأعلى. الا أن كل أسقف هو في أبرشيته، وبموجب وظيفته، المعلم الشرعي الذي يعلّم بسلطان، ما ظل متحدًا بالكرسي الرسولي ومتمسكًا بتعليم الكنيسة العام.

14.الكنيسة منظورة

لأن تكون الكنيسة منظورة تلك خاصة من خواصها تمكّنها من الظهور في العلن والخارج بصورة محسوسة. وهي على نوعين: خاصة الظهور المادي وخاصة الظهور المعنوي. فالظهور **المادي** يقوم بحضور الأعضاء الحسي، **والمعنوي** يقوم ببعض أسباب تجمع أعضاء الكنيسة في جماعة خارجية منظورة. فظهور الكنيسة المادي لا شك فيه، والكلام يدور هنا على الظهور المعنوي فقط، فهو القاعدة والشرط الأساسي للاهتداء الى الكنيسة.

1. الجهة الخارجية المنظورة من الكنيسة

- **الكنيسة التي أسّسها المسيح هي جماعة خارجية منظورة**. قضية أكيدة.

يعلّم مجمع ترانت أن في الكنيسة "ذبيحة ظاهرة"، و"كهنوت منظور ظاهر"(.957D). ويقول المجمع الفاتيكاني الأول أن المسيح أقام القديس بطرس "أساسًا ظاهرًا" لوحدة الكنيسة. ويعلّم لاون الثالث عشر في رسالته Satis cognintum (1896): "أن الكنيسة، اذا نظرنا الى غايتها الأخيرة والأسباب

الأولى لتقديسها، هي بالفعل روحية. ولكن اذا نظرنا الى أعضائها، كما الى وسائلها الى النعم الروحية، فهي ظاهرة في الخارج ظهورًا ضروريًا". ويربط فيما بين أعضاء الكنيسة

ويُظهرهم رباطات حية ثلاثة: الاعتراف **بايمان** واحد، والتوسل الى **النعمة بوسائل** واحدة، والخضوع الى **سلطة** واحدة.

وقد اثبت بيوس الثاني عشر، في رسالته Mystici Corprios ، تعليم لاون الثالث عشر الذي دحض بصراحة الراي القائل بأن الكنيسة ليست سوى ضرب من الروحانية تجمع برباط غير منظور فيما بين الجماعات المسيحية على اختلافها بعضها عن بعض في الايمان.

أنكر أن تكون الكنيسة المنظورة الشيع الروحانية في القرون الوسطى، وجان هوس، والبروتستان. فيقول **جان هوس** بأن الكنيسة هي جماعة المختارين، وهذا ما يقوله أيضًا **كلفينوس**. ويرى **لوتير** أن الكنيسة "هي جماعة القديسين (=المؤمنين التي يلقى فيها تعليم الانجيل وتوزع الأسرار، على ما ينبغي(اعتراف اوغسبورغ7). غير أنه لا سبيل الى حفظ سلامة التعليم وضمان توزيع الأسرار بدون وظيفة تعليمية ذات سلطان. فكان على إنكار وجود هيئة رئاسة في الكنيسة أن يؤدي حتمًا الى القول بكنيسة غير منظورة.

البرهان الكتابي على أن الكنيسة هي منظورة نستنتجه من تأسيس المسيح لهيئة رئاسة الكنيسة(انظر&4). فوظيفة التعليم تقتضي من المُستمعين واجبَ طاعة الايمان(رومانيين5/1)، وواجب الاعتراف بالايمان (متى33/32/10؛ رومانيين10/10). ووظيفة الكهنوت تقتضي من المؤمنين واجب الأخذ بوسائل النعمة التي تقدمها لهم (يوحنا5/3؛ 54/6). ووظيفة الراعي تقتضي من المؤمنين الانقياد لسلطة الكنيسة (متى17/18؛ لوقا16/10).

وأنبياء العهد القديم وصفوا مملكة المسيح رمزيًا على شكل جبل شاهق تراه العين من بعيد يعلو كل الجبال الأخرى واليه تسعى كل الأمم (اشعيا2/2؛ ميخا1/4). وأمثال المسيح تشبّه الكنيسة بمملكة أرضية، بقطيع، ببناء، بكرمة، بمدينة مبنية على جبل. والقديس بولس يشبه الكنيسة بجسد الانسان.

والآباء يعلّمون أنه من السهل معرفة كنيسة المسيح وتمييزها عن غيرها من جماعات المبتدعين. فيجيب القديس **ايريناوس** على الغنوسيين بأن أعضاء الكنيسة يعترفون في العالم كله بايمان واحد، ويحفظون وصايا واحدة، ويلزمون صورة واحدة للنظام الكنسي. وهو يراه الجميع، ويحمل نور المسيح (ضد المبتدعين20/5). والقديس **اوغسطينوس** يشبّه الكنيسة بمدينة على جبل (متى14/5): "تنتصب الكنيسة النور فيراها كل الناس، لأنها المدينة المبنية على الجبل لا تخفي على العين".

والسبب الأساسي في أن الكنيسة منظورة هو في تجسد الكلمة الإلهي.

2. الجهة الداخلية غير المنظورة من الكنيسة

للكنيسة أيضًا، علاوة على الجهة الخارجية المنظورة، جهة داخلية غير منظورة، على غرار مؤسسها الإله_ الإنسان. فغاية الكنيسة هي غير منظورة، وقداسة الانسان الداخلية هي غير منظورة، وما توزّعه الكنيسة من ثمار الخلاص، كالحقيقة والنعمة، هو غير منظور، ومبدأ الحياة الداخلية في الكنيسة، وهو الروح القدس، هو غير منظور، وكذلك عملها الفائق الطبيعة. وفيما ان الجهة الخارجية، الاجتماعية، هي موضوع الادراك الحسي، فالجهة الداخلية السريّة هي موضوع الايمان. فكون الكنيسة ظاهرة منظورة لا ينفي الايمان بها على أنها مؤسسة الخلاص التي أنشأها الله.

أما الاعتراضات فتقوم أكثرها على الاشادة بالجهة الداخلية الروحية من الكنيسة، دون الخارجية. وكلام يسوع (لوقا21/17: "أن ملكوت الله في داخلكم") هو موجّه الى الفريسيين، وليس معناه أن ملكوت الله في قلوبكم، وانما معناه أن ملكوت الله فيما بينكم ومع ذلك فهذه الآية، حتى في المعنى الأول، لا تتنافى وكون الكنيسة منظورة.

15. وحدة الكنيسة

ليس المقصود بالوحدة وحدة العدد أو الوحدانية فقط، بل أيضًا بالأخص الوحدة او الاتحاد بمعنى عدم الانقسام والتفرقة.

- **الكنيسة التي أسسها المسيح هي وحيدة وواحدة**. من الايمان.

تعترف الكنيسة في قانون نيقية_ القسطنطينية: "وأومن بكنيسة **واحدة**"(.86D). ويقول مجمع الفاتيكان الأول: "ولكي يظل قطيع المؤمنين كله متحدًا **بوحدة الايمان ووحدة الجماعة**، فقد أقام المسيح القديس بطرس على رأس باقي الرسل، وجعل فيه المبدأ الدائم والأساس المنظور لهذه الوحدة المزدوجة"(.1821D).

وقال لاون الثالث عشر في رسالته Satis cognitum التي موضوعها وحدة الكنيسة: لما أراد المؤسس الإلهي أن تكون الكنيسة واحدة في الايمان والحكم والشركة، أقام القديس بطرس وخلفاءَه أساسًا لهذه الوحدة، وعلى نوع ما مركزًا لها"(.1960D).

وحدة الكنيسة هي اذًا، كما قال مجمع الفاتيكان الأول، على نوعين:

1. وحدة الايمان

وحدة الايمان هذه تقوم بأن يقبل كل أعضاء الكنيسة داخليًا بحقائق الايمان التي تعلّمها السلطة الكنسية التعليمية، ولو ضمنًا، ويعترفون بها خارجيًا، تبعًا لما ورد في رومانيين10/10: "بالقلب يؤمن الانسان للبر، وبالفم يعترف للخلاص". وفي وحدة الايمان مجال واسع لتضارب الآراء في المسائل اللاهوتية المتنازع عليها، التي تبتّ فيها السلطة الكنسية التعليمية.

لا سبيل للتوفيق بين وحدة الايمان التي تقول بها الكنيسة ووحدة الايمان التي يقول بها البروتستان. فهؤلاء، تبعًا لنظريتهم في "القوانين الاساسية"، لا يقتضون لوحدة الايمان سوى الحقائق الجوهرية، بحيث أنه يمكن لديهم أن تتحد مذاهب مختلفة عديدة في وحدة الكنيسة(.1685D).

2. وحدة الجماعة

تقوم وحدة الجماعة هذه، من جهة، بخضوع أعضاء الكنيسة لسلطة الأساقفة والبابا (وحدة **الادارة** أو وحدة **هيئة الرئاسة**)، ومن جهة أخرى باتحاد الأعضاء بعضهم ببعض في وحدة اجتماعية بالاشتراك في عبادة واحدة وأسرار واحدة (وحدة **العبادة** أو وحدة **الليتورجيا**).

خير ضمان لوحدة الايمان والجماعة هذه رئاسة البابا العليا، معلم الكنيسة وراعيها الأعلى ("مركز الوحدة".1960D) بالبدعة تنهار وحدة الايمان، وبالشقاق تنهار وحدة الجماعة.

البنية: يرى المسيح رسله في الوحدة احدى خواص الكنيسة الجوهرية. فالمسيح يقلّد رسله مهمَّة تعليم كل الأمم ويقتضي لذلك قبولًا مطلقًا لتعليمهم (متى20/19/28)؛ مرقس 16/15/16). وفي صلاته الكهنوتية يطلب من أبيه بإلحاح وحة الرسل والمؤمنين: "لست أسال من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا

من أجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم، ليكونوا بأجمعهم واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا؛ حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني"(يوحنا21/20/17). فالوحدة اذًا هي احدى علامات كنيسة المسيح.

والقديس بولس يمثل وحدة الكنيسة رمزيًا على شكل بيت (1تيمو15/3)، وعلى شكل جسد بشري(رومانيين4/12 ومايلي). وهو يحرّض تحريضًا صريحًا على الوحدة الداخلية والخارجية: "اجتهدوا في حفظ وحدة الروح برباط السلام فانكم جسد واحد وروح واحد ومعمودية واحدة وإله واحد وآب واحد"(أفسس6/3/4). ويحذر من الشقاق والبدع بإصرار: "أسالكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولًا واحدًا، ألاّ يكون بينكم شقاق، بل تكونوا ملتئمين بفكر واحد ورأى واحد"(1كور10/1). "ورجل البدعة بعد الانذار مرة أخرى اعرض عنه"(تيطس10/3)(انظر غلاطيا9/8/1).

والآباء يصرون، في كفاحهم ضد المبتدعة، على وحدة الايمان، وفي كفاحهم ضد الشقاق على وحدة الجماعة. فيقابل القديس **ايريناوس** بين فوضى التعاليم الغنوسية ووحدة التعليم المسيحي في العالم أجمع: "وكما أن الشمس هي واحدة، وهي بعينها تنير العالم كله، كذلك رسالة الحقيقية تدخل في كل مكان تنير كل الناس الذين يريدون أن يصلوا الى معرفة الحق"(ضد المبتدعين2/10/1؛ انظر1/20/5). وقد جمعوا أهم حقائق الايمان في قانون أو دستور يتلوه في اعتراف علني كل من يقبل العماد(انظر قوانين الايمان لدى القديس ايريناوس ضد المبتدعين1/10/1؛ 2/4/3؛ ولدى ترتليانوس، ضد بركسياس:2). وبمناسبة الخلاف الذي وقع بين كنيستي قرطاجة وروما وضع القديس **قبريانوس** أول كتاب عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية. وهو ينعي على المنشقين عن وحدة الكنيسة وخلاصهم (في وحدة الكنيسة الكاثوليكية:6). وتحفظ الوحدة "برباط الأساقفة المتحدين بعضهم ببعض"(الرسالة8/66). وهو يُشيد بما لرئاسة البابا العليا من الأهمية في حفظ وحدة الكنيسة.

يرى **القديس توما** أن أساس وحدة الكنيسة يقوم على دعائم ثلاث: **الايمان** المشترك بين كل أعضاء الكنيسة، **والرجاء** المشترك في الحياة الأبدية، **والمحبة** المشتركة لله التي يتبادلها المؤمنون في أسداد المعروف بعضهم لبعض. وحفظ الوحدة في الكنيسة هو من شروط الخلاص الأبدي.

16. القداسة الكنيسة

قداسة الحقيقة هي في اتحادها مع الله. وهي نوعين: القداسة **الذاتية أو الشخصية؛** والقداسة **الموضوعية** أو عين القداسة. فالقداسة الذاتية تقوم، سلبيًا، بخلو الشخص من الخطيئة، وايجابيًا باتحاده الفائق الطبيعة مع الله بالنعمة والمحبة. والقداسة الموضوعية تلزم الاشياء الموقوفة وقفًا ثابتًا على خدمة الله أو تعمل على تقديس البشر.

1. القداسة كخاصة جوهرية للكنيسة

- **الكنيسة التي أسسها المسيح هي مقدسة.** من الايمان.

تعترف الكنيسة في قانون الرسل: "أومن... بكنيسة مقدسة"(.2D). والمجمع **الفاتيكاني الأول** يخص الكنيسة "بقداسة فائقة وخصب لا ينقطع في كل خير"(.1794D). ويقول البابا **بيوس الثاني عشر** في رسالته Mystici Coporis: "أن أمنا الممجدة تشرق بهيَّةً في أسرارها التي تلد لها البنين وتغذيهم، وبإيمانهم الذي تحفظه على الدوام سالمًا، بقوانينها التي تربط فيما بين أبنائها جميعهم، وفي النصائح الانجيلية التي بها تنفحهم الشجاعة، وأخيرًا بمواهبها الإلهية وعطاياها التي تنجب لها بخصب لا ينقطع عددًا غفيرًا من الشهداء والعذراى والمعترفين".

الكنيسة هي مقدسة في أصلها، وفي غايتها، وفي وسائلها وثمارها.

فمؤسسها ورأسها المنظور يسوع المسيح هو قديس، **ومبدأها الحيوي** الداخلي الذي هو الروح القدس هو قديس، **وغايتها** التي هي مجد الله وتقديس النفوس هي قديسة، **والوسائل** التي تنوصل الى غايتها، وهي تعليم المسيح، قوانين الايمان، والوصايا، والنصائح، والعبادة، ولا سيما ذبيحة القداس، والأسرار، وأشباه الأسرار، والصلوات الليتورجية، والشرائع التي تسنها، ودساتيرها، والجمعيات الرهبانية، ومعاهد التعليم، ومشاريع المحبة، ونعم الروح القدس، ومواهب القديسين، كل هذه تتسم بالقداسة. وعدد كبير من **أعضائها** هم قديسون بالمعنى المألوف (=الوجود في حال النعمة)؛ الا أنها لم تخل يومًا من أبطال في القداسة، ومن معجزات تتم عن القداسة. ومن بين أنواع القداسة المذكورة النوعان الأخيران: قداسة الوسائل وقداسة الأعضاء، على الاقل القداسة البطولية، بقعان تحت الحواس، وبالتالي يكونان من علامات كنيسة المسيح.

البنية: يشبّه **يسوع** الكنيسة بالخميرة(متى33/13) دلالةً على ما لها

من القدرة على إحداث التجدد والقداسة. وبالمعنى نفسه يدعو تلاميذه "ملح الأرض"(متى13/5)، و"نور العالم"(متى14/5). والقديس **بولس** يدعو المسيحيين "قديسين": "الى القديسين في يسوع المسيح المدعوّين ليكونوا قديسين"(1كور2/1). وهو يسمى الجماعة بمفردها، كما والكنيسة بأسرها "كنيسة الله"(1كور2/1؛ 1تيمو15/3). ويعيّن لها غاية تقديسأعضائها سلبًا وإيجابيًا: "أحبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها ليقدّسها، مطهرًا إياها بغسل الماء وكلمة الحياة، ليديها لنفسه كنيسة جيدة لا كلف فيها ولا غضن ولا شي مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة منزهة عن كل عيب"(أفسس27/25/5) (انظر تيطس14/2). والوظائف الكنسية كما والنعم الخارقة هي لأجل "تكميل لما في الكنيسة من قداسة ومن عامل تقديس فهو يقوم بعلاقات المسيح الصميمة مع الروح القدس. فالكنيسة انما هي جسد المسيح بداخله ويجيبه الروح القدس(1كور13/12/12).

دأب الكتبة المسيحيون **الأقدمين،** في دفاعهم عن الدين ضد الوثنية، على وصف سمو الايمان والآداب المسيحية، مشيدين بما تحدثه الديانة المسيحية من التغير الأدبي في تابعيها (انظر اريستيد، الدفاع عن المسيحية5_17، القديس يوستينوس؛ االدفاع عن المسيحية17/14/1؛ 29/23). ويقول **ريجانس**: "أن جماعات الله التي صار المسيح لها معلمًا ومربيًا هي، بالنسبة الى الجماعات الوثنية التي تعيش بينها كالغربية، بمثابة أنوار سماوية في العالم"(ضد تعليم شلسوس29/3)(انظر القديس اوغسطينوس العظة11/214).

القديس توما يبرهن عن قداسة الكنيسة بقداسة أعضائها الذين غسلهم المسيح بدمه، ومسحهم الروح القدس بنعمته، فتكرسوا هيكلًا لله بسكنى الأقانيم الالهية الثلاثة وتقدسوا بدعوة الاسم الالهي.

2. الكنيسة الخطيئة

- **لا ينتمي الى الكنيسة الأعضاء القديسون فقط، بل الخطأة أيضًا** من الايمان.

لا ينتج من قداسة الكنيسة أن المؤمنين الذين في حال الخطيئة المميتة لا يبقون أعضاء في الكنيسة، كما علَّم في الماضي النوفاسيون والدوناتيون، وكما علّم حديثًا لويتر وكينل. وقد أدان اكليمنضوس الحادي عشر وبيوس السادس هذا التعليم(.14/22D_ 1428، 1515). وأدانه مجددًا **بيو الثاني عشر**

في رسالته Mystici Coporis، فقال: "مامن ذنب مهما كبر يستطيع بطبيعته أن يفرّق الانسان عن جسد المسيح، كما يفعل الشقاق، والبدعة، والجحود".

وفي أمثال الزؤان في القمح (متى30/24/13)، والشبكة التي امتلأت سمكًا من كل جنس(متى50/27/13)، والعذراى الحكيمات والجاهلات(متى13/1/15)، يعلّم يسوع أن الأشرار والصالحين يعيشون في الكنيسة جنبًا الى جنب، وأن الفصل فيما بينهم لن يتمّ الا عند انتهاء العالم أمام منبر الله. وهو يرشد بدقة الى طرق اصلاح الأخوة الخطأة لإعادتهم الى سبيل السوي. فيجيب ألاّ يقصوا من الكنيسة الا بعد أن تكون كل الجهود لإصلاحهم قد ذهبت دون جدوى(متى17/5/18). ونجد في الكتابات الرسولية أن الكنيسة الأولى لم تخلُ من عثرات أدبية، بدون أن تقتص دائمًا من فاعليها بفصلهم عن الجماعة المسيحية (انظر1كور18/11 ومايلي؛ 2كور20/12 ومايلي).

والقديس اوغسطينو في دفاعه عن تعليم الكنيسة التقليدي ضد الدوناتيين، استشهد بأمثال الانجيل (انظر تفسيره ليوحنا12/6؛ للمزمور8/128؛ الرسالة34/9/93). والقول بأن كل مؤمن بحال الخطيئة المميتة هو مفصول عن عضوية الكنيسة، يؤدي الى القول بأن الكنيسة ليست بمنظورة، اذ لا سبيل الى معرفة وجود حالة النعمة أو فقدانها في الخارج. فالمؤمن الذي هو في حالة الخطيئة المميتة يظل في الكنيسة ما دام متحدًا بالمسيح، رأس الجسد السري، على الأقل بالايمان والرجاء المسيحي(انظر القديس توما3/8/3 على الثاني).

17. **كاثوليكية الكنيسة**

كاثوليكي معناه شامل، جامع. والكنيسة تسمى كاثوليكية لأنها بنوع خاص عمومية، أي منتشرة في العالم كله. والكاثوليكية نوعان: من حيث رسالتها العالمية وامكان انتشارها فهي كاثوليكية **بالقوة**، ومن حيث واقع انتشارها في العالم فهي كاثوليكية **بالفعل**. فهي كاثوليكية بالمعنى الأول منذ البدء، وهي كاثوليكية بالمعنى الثاني بعد سير تاريخي طويل. وهذه الكاثوليكية الأخيرة هي بدورها على نوعين: **فيزيقية** أي تشمل على كل أمم الأرض لا كل انسان بمفرده، **وأدبية** أي تشمل على قسم كبير من الناس. والكاثوليكية تفترض الوحدة.

- **الكنيسة التي أسسها المسيح هي كاثوليكية**. من الايمان.

تعترف اكنيسة بذلك في قانون الايمان: "أومن بكنيسة واحدة جامعة(=كاثوليكية)" (.6D؛ انظر.86D، 1686).

تكفي الكاثوليكية **الأدبية** ليتحقق معنى الكاثوليكية. فلقد أرادها المسيح أن تمتد دون توقف. وبغيتها القصوى هي أن تصل الى الكاثوليكية الفيزيقية. ويجب أن تظل الكاثوليكية الأدبية قائمة بحيث تتم بعد وقت من التقدم ثم تثبت في تقدمها على الدوام. وأما مدى اتساع رقعتها وعدد أفرادها فليسا، بحد ذاتهما، بالدليل على حقيقة أحد التعاليم، فالضلال أيضًا قد ينتشر انتشارًا واسعًا، الا أنهما من الخواص التي يجب ألا يخلو منها تعليم المسيح، تبعًا لارادة مؤسس الكنيسة. وهما بالتالي من علامات كنيسة المسيح الحقة.

البيِّنة: في النبواءت التي تتعلق بالمسيح يذكر العهد القديم أن احدى خواص ممكلة المسيح هي كاثوليكيتها. وبينا مملكة الله في العهد القديم تقتصر على الشعب الاسرائيلي، تمتدّ مملكة المسيح الآتيـــــــة الى كحل شعوب الأرض. سفر التكوين18/22: "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"(انظر سفر التكوين3/12؛ 18//18؛ 4/26؛ 14/28؛ المزمور8/2؛ 28/21؛ 8/71_ 11، 17؛ 9/85؛ اشعيا2/2؛ 40/11؛ 22/45؛ 6/49؛ 5/4/55؛ 8/3/56؛ 21/19/46؛ حزقيال24/22/17؛ دانيال35/2؛ ملاخيا11/1). وقد أراد المسيح أن تصير كنيستُه كنيسةً جامعة تضم كل الأمم، وبدلَ الفردية اليهودية أقام الجماعية المسيحية التي تمتدّ الى كل العالم: وسيكرز بانجيل الملكوت هذا في جميع المسكونة شهادة لكل الأمم، وحينئذٍ يأتي المنتهى"(متى14/24)؛ انظر لوقا47/24). "اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم"(متى19/28)؛ انظر مرقس15/16). "تكونون لي شهودًا في أورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى أقصى الأرض"(أعمال8/1).

وقد لبـــــّى الرسل أمرَ المسيح، فكانت الجماعة الأولى في اورشليم منطلقًا لرسالة اليهودية والسامرة. وصارت الجماعة الوثنية_ المسيحية في انطاكية مبدأ الرسالة بين الوثنيين. وقد طاف بولس، أو كاد، كل العالم القديم المتحضر، ليأتي بكل الأمم الوثنية "الى طاعة الايمان" بالمسيح(رومانيين5/1). وهو يرى كلام المزمور قد تحقَّق: "قد ذاع صوتهم الى جميع الأرض، وأقوالهم الى أقصى المسكونة" (رومانيين18/10). وحين يبلغ عدد الوثنيين المهتدين الى الكنيسة

حدَّه الذي عيَّنه له الله، عندئذٍ سيرتدّ اسرائيل الذي رفض الخلاص المعروض عليه قبل الجميع، وسيخلص هو أيضًا(رومانيين26/25/11).

اول استعمل اسم "الكنيسة الكاثوليكية" هو القديس **اغناطيوس الأنطاكي**: "حيث يسوع المسيح هناك الكنيسة الكاثوليكية" (في رسالة الى أهل ازمير،2/8). وقد ورد هذا الاسم في رواية استشهاد القديس بوليكربوس أربع مرات، في ثلاث منها بمعنى "الكنيسة الجامعة" في العالم كله(1/18؛ 2/19) وهو المعنى الذي ورد في رسالة القديس اوغناطيوس، ومرة واحدة بمعنى "الكنيسة الأرثوذكسية"(2/16). وبهذين المعنيين اللذين هما واحد سارت الكلمة منذ أواخر القرن الثاني (قانون موراتوري، ترتليانوس، القديس قبريانوس). وأول ما وردت صفة "كاثوليكية" (مضافة الى كلمة كنيسة) في قوانين الايمان الشرقية (القديس كيرلس الاورشليمي، القديس ابيفانيوس، قانون نيقية، قانون القسطنطينية؛ .9D، 14، 86). والقديس **كيرلس الاورشليمي** يردّ كاثوليكية الكنيسة ليس فقط الى انتشارها في كل مكان، بل أيضًا الى عمومية غفران الخطايا التي توفرها، وعمومية الفضائل التي تملكها (التعليم المسيحي23/18). فبكل هذه الصفات والخواص تتميز كنيسة المسيح الحقيقية عن جماعات المبتدعين، حتى ليغدو اسم الكنيسة الكاثوليكية، على حد تعبير القديس كيرلس، "الاسم الخاص لهذه الكنيسة المقدسة التي هي أمنا جميعًا وعروس السيد المسيح ابن الله الوحيد" (التعليم المسيحي26/18). ويحمل القديس **اوغسطينوس** كلمة "كاثوليكية" بنوع خاص على معنى الانتشار في كل مكان (الرسالة23/7/93). فيستشهد بكتب العهدين القديم والجديد ليبرهن على أن هذه الكاثوليكية الخارجية هي صفة جوهرية وعلامة فارقة لكنيسة المسيح الحقة (انظر الرسالة5/1/185؛ العظة14/46: 33_ 34).

ويبرهن **القديس توما** على كاثوليكية الكنيسة بانتشارها في العالم كله، باتساعها لكل الطبقات الاجتماعية، بشمولها كل أزمنة البشرية من هابيل حتى انتهاء العالم.

18. رسولية الكنيسة

الرسولي ما جاء من الرسل، والرسولية على ثلاثة أنواع: رسولية الأصل، ورسولية التعليم، ورسولية الخلافة.

- **الكنيسة التي أسسها المسيح هي رسولية.** من الايمان.

جاء في قانون نيقية_ القسطنطينية: "أومن... بكنيسة **رسولية**" (.86D؛ انظر.14D، 1686).

تعني هذه العقيدة أن **أصلها** يرتقي الى الرسل؛ وأنها حافظت بدون انقطاع على **التعليم** الذي تلقَّته من الرسل؛ وأن رعاة الكنيسة أي البابا والأساقفة هم متحدون مع الرسل **عن طريق الخلافة**. فهذه الخلافة الرسولية تضمن سلامة نقل التعليم وتقيم ارتباطًا عضويًا بين الكنيسة الحالية وكنيسة الرسل.

البيِّنة: أسس المسيح كنيستَه على الرسل بإيلائه اياهم وظائفه الثلاث: الوظيفة التعليمية، والوظيفة الراعوية، والوظيفة الكهنوتية، بإقامته القديس بطرس راعيًا عامًا ومعلمًا للكنيسة(انظر&4و 5). وإرادة المسيح أن تنتقل هذه الوظائف مع ما يُقابلها من السلطات الى خلفاء الرسل، لأن غاية الكنيسة تقتضي دوامها. ففي تعاقب الأساقفة هذا خلفًا عن سلف منذ الرسل تظهر رسولية الكنيسة بأجلى صورة وأوضح بيان. حسبنا أن نثبت الخلافة الرسولية في كنيسة روما، لأن أسقف روما هو رأس الكنيسة كلها وصاحب العصمة التعليمية. وعليه، فحيث القديس بطرس أي خليفته، هناك الكنيسة الرسولية والتعليم الرسولي بكامله وصفائه.

من الآباء استشهد برسولية الكنيسة القديس **ايريناوس** ولا سيما **ترتليانوس**، في كفاحهما ضد الغنوسية المبتدعة. فأبانا أن الكنيسة الكاثوليكية قد تلقت تعليمهما من الرسل وحافظت عليه سالمًا عن طريق الخلافة الرسولية غير المنقطعة. فيما أن البدع قد قامت بعد عهد الرسل. والتي منها ترتقي الى عهد الرسل ليست من أصل رسولي. وقد ترك لنا القديس ايريناوس أقدم سلسلة لأساقفة روما (ضد المبتدعين3/3؛ 2/26/4).

يقول **القديس توما** بأن الرسل وتعليمهم هم الأساس الثانوي للكنيسة، لأن الأساس الأول هو المسيح نفسه.

علامات الكنيسة

أن الصفات التي تتصف بها الكنيسة، من وحدة وقداسة وكاثوليكية ورسولية، هي صفات خارجية ظاهرة يسهل إدراكها. ولذا فهي ليست فقط من خواص الكنيسة الجوهرية، بل أيضًا في الوقت نفسه علامات بها تُعرف كنيسة المسيح الحقيقية. وقد أعلن

المجمع المقدس، في عهد البابا بيوس التاسع (1864): "أن ماهية كنيسة المسيح الحقيقية هي في العلامات الأربع التي بها تُعرف بقوة السلطة الالهية والتي نعترف بها موضوعًا للايمان في قانون الايمان" (.1868D؛ انظر1793). وعلم الدفاع عن العقائد المسيحية يقول بأن الكنيسة الكاثوليكيةالرومانية تملك وحدها بين كل المذاهب المسيحية، أو على الأقل تملك وحدها بصورة ممتازة فائقة، هذه العلامات الأربع.

الفصل الخامس

ضرورة الكنائس

19. الانتساب الى الكنيسة

1. تعليم الكنيسة

*** أن أعضاء الكنيسة هم الذين قبلوا سّر العماد صحيحًا ولم ينفصلوا عن وحدة الايمان ولا عن وحدة جماعة الكنيسة.** قضية أكيدة.

أعلن بيوس الثاني في رسالته Mystici Coporis: "لا يُعدّ من أعضاء الكنيسة حقيقةً الا مَن يكونون قد اغتسلوا بماء الميلاد الجديد، ويعترفون بالايمان الحقّ، ولا يكونون منفصلين، ويا لتعاستهم! عن جسد المسيح، ولم تُقصِهم السلطة الكنيسة الشرعية عنها لذنوب كبيرة اقترفوها"(.2286D).

بناءً على هذا القول يجب أن تتحقَّق للانتساب الى الكنيسة ثلاثة شروط لا بدّ منها: آ) قبول سر العماد قبولًا صحيحًا؛ ب) الاعتراف بالايمان والحق؛ ج) الارتباط بجماعة الكنيسة. فبهذه الشروط يخضع الانسان لوظيفة الكنيسة الثلاثية: الوظيفة الكهنوتية(العماد)، والوظيفة التعليمية(الاعتراف بالايمان)، والوظيفة الراعوية(الطاعة للسلطة الكنسية). ولما كانت الكنيسة من حيث هي واحدة منظورة تقوم بالسلطات التي تخولها هذه الوظائف، أي السلطة الكهنوتية والسلطة التعليمية والسلطة الراعوية، كان الخضوع لهذه السلطات الشرط اللازم للانتساب الى الكنيسة. وأما الاعتراف بالايمان الحق والارتباط بجماعة الكنيسة

فهما في الراشدين شرطان لا زمان يحقَّق بهما الانسان ما بدأ بع العماد من انتسابه الى الكنيسة ويواصله دونما عائق. هذا وأن الاولاد المعمَّدين صحيحًا خارج الكنيسة هم أعضاء للكنيسة، وسيظلونه الى أن يجحدوا باختيارهم الايمان، عندما يبلغون سن الرشد، أو ينفكّوا عن شركة الكنيسة.

يقول البابا أوجانيوس الرابع(1439) في موسومه للأرمنعن العماد: "نحن بـــــــه أعضاء للمسيح في جسم الكنيسة"(.696D). ويعلن مجمع ترانت: "لا تمارس الكنيسة أية سلطة على من لا يكون قد دخلها قبلًا من باب العماد"(.895D؛ انظر324، 869، الحق القانوني87).

2.البرهان

في تعليم المسيح أن قبول العماد هو شرط لا بدَّ منه لدخول ملكوت الله(يوحنا5/3) وللحصول على الخلاص الأبدي(مرقس16/16). والقديس بطرس طلب من كل الذين يقبلون رسالة المسيح التوبة والعماد(أعمال38/2). بالعماد اذًا كان، منذ البدء، باب الدخول الى الكنيسة. (أعمال41/2: "فالذين قبلوا كلامه اعتمدوا، وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس"(انظر أعمال12/8، 38؛ 18/9؛ 48/10؛ 15/16، 33؛ 8/18؛ 5/19). وفي تعليم القديس بولس. أن العماد يجمع في جسد واحد، جسد المسيح، كلَّ البشر، يهودًا ووثنيين، أحرارًا وعبيدًا(1كور13/12؛ غلاطيا27/3). وعلى طالب العماد من الراشدين أن يقبل أولًا بتعليم الايمان. مرقس16/16: "من آمن واعتمد يخلص، ومن لم يؤمن يدان". والأمر الوارد في متى19/28 بمنح العماد يقتضي بصورة غير مباشرة الخضوع للوظيفة الرسولية الثلاثية.

أن الذين يجحدون الايمان وينفكون عن شركة الكنيسة لا يبقون أعضاء الكنيسة. وقد اجمع الآباء على ذلك. ومنذ عهد الرسل أمر **القديس بولس** بتجنب "رجل البدعة" بعد الانذار مرة أخرى(تيطس10/3). ويعلق **ترتليانوس** على هذا القول: "لاحظَّ لأهل البدعة في تعليمنا، وأن أقصاءهم عن الجماعة لدليل على أنهم خارج الجماعة"(في العماد15)، ويرى أن هؤلاء لم يبقوا مسيحيين لأنهم يقبلون باختيارهم تعاليم ليست من المسيح ولم تأتهم منه. ويقول القديس **قبريانوس** بان الكنيسة لا تتألف الا ممن يمكثون في بين الله بينما أهل البدعة والمشاقون هم خارج الكنيسة(الرسالة7/59). وقد قام الجدل حول مسألة عماد المبتدعين هل يستطيعون، بما أنهم خارج الكنيسة، أن يعمدوا عمادًا صحيحًا. ويشبه القديس **اوغسطينوس**

المبتدع بعضو مبتور من الجسم(العظة4/4/267)، فيقول في شرحه لقانون الايمان: "لا المبتدعون ولا المشاقون هم من الكنيسة"(في الايمان وقانون الايمان21/10).

3. النتائج

ليس من الكنيسة:

آ) **غير المعمدين**. انظر 1كور12/5: "ماذا يعنيني أن أدين الذين في الخارج؟" وعماد الدم وعماد الشوق يقومان مقام عماد الماء في منح النعمة. الا أنهما لا يدخلان في جسم الكنيسة، اذ لا يسمان بوسم العماد الذي فيه تتأصل حقوق الجماعة الكنسية.

كذلك **الموعوظين** ليسوا من الكنيسة، على خلاف رأي سوراس. ولئن كانت لهم الرغبة في الانضمام الى الكنيسة، الا أنهم لم ينضموا اليها بعد فعلًا. فالكنيسة لا تدّعي أية ولاية عليهم(.895D). والآباء يفصلون فصلًا قاطعًا بين الموعوظين و"المؤمنين"(انظر القديس اوغسطينوس في شرحه ليوحنا2/44).

ب) **الجاحدون والمبتدعون المشهورون**

هؤلاء ليسوا من الكنيسة، أي ليسوا في شركة الجماعة، حتى المبتدعون المشهورون عن سلامة نية(مبتدعون ماديًا). الاأنه ليس ما يحول دون أن يكون الأخيرون من الكنيسة روحيا، أي سبب رغيتهم في الانضمام اليها، وأن ينالوا بذلك التبرير والخلاص.

أما الجاحدون والمبتدعون في السر فإنهم يظلون أعضاء في الكنيسة، على ما يرجح القديس بلرمينوس وأغلبية علماء اللاهوت الحديثيين (Pesch، Straub، Billot،Palmieri). د (Franzelin Suarez) وغيرهم، ذلك لأن الانفصال عن الكنيسة، بسبب أنها منظورة، لا يتم الا بأفعال خارجية يمكن إدراكها شرعًا، وكذلك الانضمام الى الكنيسة.

ج)**المُنشقون**، حتى الذين، بسلامة نية، ينبذون مبدئيًا سلطة الكنيسة أو ينفصلون عن جماعة المؤمنين التي ينتمون اليها. ومثل هؤلاء مثل المبتدعين عن سلامة نية، فهم يستطيعون أن يكونوا من الكنيسة روحيًا، بالشوق، وأن يحصلوا هكذا على التبرير والخلاص.

د) **المحرمون الواجب تجنبهم** (الحق القانوني2258). ويبقى **المحرمون المحتملون** أعضاء في الكنيسة، على ما يرى اللاهوتيون عمومًا مع الحق القانوني2266، حتى بعد اعلان الحكم القضائي بحرمهم. الا أنهم يحرمون خيرات روحية كثيرة. أما قول بعض اللاهوتيين (Dieckmann, Suarez) بأن المحرومين الواجب تجنبهم يبقون أعضاء في الكنيسة، فهو قول لا يتفق وتعليم الرسالة البابوية Mystici Coporis التي تتكلم بو وح عن الذين تفصلهم سلطة

الكنيسة عن جسدها بسبب ذنب جسيم. ويرى اللاهوتيين عمومًا أن هذا الكلام يقصد المحرومين الواجب تجنبهم، دون سواهم.

ولئن كان الجاحدون والمبتدعون المشهورون والمنشقون والمحرومون الواجب تجنبهم هم خارج التنظيم الكنسي الشرعي، الا أن علاقاتهم بالكنيسة تختلف اختلافًا جوهريًا عن علاقات غير المعمّدين. وبما أن وسم العماد هو سبب الانضمام الى جسد الكنيسة، فالمعمّد الذي قبله تنشأ من العماد لا تزال قائمة، ولو رفعت منها الحقوق قصاصًا، ولذا فالكنيسة تدّعي حق الولاية على المعمّدين الذين انفصلوا عنها.

20. ضرورة الانضمام الى الكنيسة

* **الانضمام الى الكنيسة هو لكل البشر ضروري للخلاص**. من الايمان.

حدَّد المجمع اللاتراني الرابع (1215) في فصل Firmiter: "لا كنيسة الا كنيسة المؤمنين الجامعة التي ليس من خلاص لأحد مطلقًا خارجًا عنها"(.430D). وقال بذلك ايضًا مجمع فلورانس(.714D)، والباباوات اينوشنسيوس الثالث(.423D)، وبونيفاشيوس الثامن في براءته Unam sanctam (.468D)، واكليمنضوس السادس(.570D)، وبندكتوس الرابع عشر(.1473D)، وبيوسع التاسع(.1647D، 1677)، ولاون الثالث عشر(.1955D)، بيوس الثاني عشر في رسالته Mystici Coporis (.2268D؛ 2288). فقد أعلن بيوسع التاسع ضد اللامبالاة الدينية الحديثة: "من الايمان أن لا خلاصَ لأحد خارج الكنيسة الرسولية الرومانية؛ فهي سفينة الخلاص الوحيدة التي يغرق في الطوفان مَن لا يدخلها. ولكن من الثابت أيضًا أن لا ذنب أمام عيني الرب للذين يجهلون الدين الحقيقي جهلًا مطبقًا"(.1647D). والعبارة الأخيرة تتر باب الخلاص مفتوحًا لأولئك الذين عن جهل ليسوا فعلًا من الكنيسة (انظر.1677D؛ 796)(عماد الشوق).

ضرورة الانضمام الى الكنيسة هذه ليست ضرورة **وصية** فقط. بل أيضًا ضرورة **واسطة،** كما يتَّضح من استعارة السفينة التي هي في الطوفان واسطة الخلاص. إلا أن ضرورة الواسطة هذه ليست مطلقةً ليست شرطية. لأن الانضمام الى الكنيسة، في ظروف خاصة كاستحالة ذلك أو الجهل المطبق، يقوم مقامه الشوق. ولا حاجة لأن يكون هذا الشوق ظاهرًا، انما يكفي الاستعداد الأدبي لإتمام ارادة الله إتمامًا صادقًا (الشوق المُضمَر). وهكذا يمكن اللذين هم خارج الكنيسة الكاثوليكية أن يحصلوا على الخلاص.

أمر **المسيح** بالانضمام الى الكنيسة، عندما اقامها مؤسسةَ خلاص لكل البشر. فزوَّد الرسل بسلطته، وأمرهم بأن يعلّموا ويعمّدوا، وعلَّق الخلاص الأبدي على الايمان بتعليمه وقبول العماد (انظر لوقا16/10؛ متى40/10؛ 18؛ 17؛ 19/28؛ مرقس15/16). وأما الذين لا يعرفون كنيسة المسيح الحقة، عن جهل برئ، وهم مستعدون للخضوع لإرادة الله في كل ما تقتضيه منهم، فإنهم لا يُرذلون. وهذا ما نستنتجه من عدل الله ومما نعرف ويذكره الكتاب بوضوح من إرادته الخلاصية العامة (1تيمو4/2). **والرسل،** اذ يضعون الايمان بالمسيح وبانجيله شرطًا للخلاص، يقولون بضرورة الانضمام الى الكنيسة للخلاص. وقد أعلن القديس بطر أما المجمع: "ليس بأحد غيره الخلاص"(أعمال12/4) (انظر غلاطيا8/1؛ تيطس10/3؛ 2يوحنا11/10).

يجّمع الآباء على القول بأنه لا خلاص خارج الكنيسة. وقد اطلقوا هذا المبدأ لا على الوثنيين فقط بل على المبتدعين والنشقين أيضًا. فيعلّم القديس **ايريناوس** أن "كل الذين لا يسعون الى الكنيسة لا نصيب لهم بعمل الروح القد؛ فهم يُحرمون الحياة بالأحرى بتعليمهم السئ ومثلهم االردئ. فحيث الكنيسة هناك روح الله، وحيث روح الله هناك الكنيسة مع كل نعمة" (ضد المبتدعين1/42/3). ويصرّح **اوريجانس**: "لا خلاص لأحد خارج الكنيسة"؛ وكذلك **القديس قبريانوس**: "لا خلاص خارج الكنيسة"(الرسالة21/73). ويرى الآباء، مثل القديس قبريانو، والقديس ايرونيمو، والقديس اوغسطينو، والقديس فولجانسيو، في سفينة نوح وفي بيت راحاب، رمزَين لضرورة الدخول الى الكنيسة لنيل الخلاص. وهو هذا الايمان بعث في الكنيسة الأول الغيرة الرسولية، والاستعداد للشهادة، والحميّة في مكافحة البدع.

يحصر الآباء جل اهتمامهم في ضرورة الانضمام الى الكنيسة. ولذا فليس من العجب أن يبدوأ على شئ من التردد في مسألة خلاص من هم خارج الكنيسة. فالقديس **امبروسيوس**

والقديس **اوغسطينوس** لا يرفضان الخلاص للموعوظين الذين يخرجون من هذا العالم قبل اعتمادهم، بسبب **شوقهم** الى العماد وايمانهم وتوبة قلوبهم (القديس اوغسطينوس عن العماد29/22/4). الا أن جنّاديوس من مرسيليا يرفضه لهم، إلا عند الاستشهاد. ويميز القديس **اوغسطينوس،** لا بالكلام بل بالفعل، بين المبتدعين ماديًا والمبتدعين حقيقة. فهو لا يعدّ الفئة الأولى من المبتدعين بالمعنى الخاص(الرسالة1/1/43)، اذ أنه، على ما يبدو، لا يوقفهم من مسألة الخلاص موقف المبتدعين الحقيقيين.

ويقول القديس توما، مع التعليم المتناقل، بضرورة الدخول في الكنيسة للخلاص. إلا أنه من جهة أخرى يقبل بامكان التبرير بغير الأسرار، بسبب الشوق للعماد، وبذلك يقبل بامكان الخلاص بدون الانضمام الفعلي الى الكنيسة، بسبب الشوق للكنيسة(القديس توما2/68/3).

وأمام تهمة **عدم التساهل** يجب أن نميز بين التساهل العقائدي والتساهل المدني. والكنيسة تدين التساهل ، العقائدي الذي يعترف لكل الديانات أو لعى الأقل لكل المذاهب المسيحية بالشرعية نفسها والقيمة نفسها (اللامبالاة)؛ اذ أن الحقيقة هي واحدة. الا أن الكنيسة، بدعوتها الى محبة القريب أيًا كان حتى الضال، تطلب التساهل **المدني.**

الفصل السادس

شركة القديسين

21. مدلول شركة القديسين وحقيقتها

نحمل كلمة الكنيسة في الصفحات التالية على معناها الواسع لتدل بها على كل الذين افتدتهم وبررتهم نعمة المسيح، سواء أكانوا على الأرض، أم في المطهر، أم في السماء. الكنيسة تسمى بهذا المعنى الواسع عادةً شركة القديسين.

- **أن أعضاء ملكوت الله الموجودين على الأرض وفي العالم الآخر، والمبرّرين نعمة**

- **المسيح الفدائية، هم مع المسيح رأسهم، وبعضهم مع بعض، في شركة من الحياة الفائقة الطبيعة**. قضية أكيدة.

أن قانون الرسل، في أحدث صورة له(القرن الخامس) قد أكمل الاعتراف بالايمان في الكنيسة الكاثوليكية بإضافته العبارة التالية: "شركة القديسين". والنصّ ينسب هذه العبارة الى كنيسة هذا الدهر، فتعني أن المؤمنين في هذا العالم هم متَّحدون مع المسيح رأسهم، وبعضهم مع بعض، في شركة من الحياة الفائقة الطبيعة.

أن كلمة **شركة القديسين** تعني امتلاك الخيور المقدسة امتلاكًا مشتركًا. ويقول **نيقيتا الرمزياني** في شرحه لقانون الايمان: "آمن اذًا أن سيكون لك في هذه الكنيسة وحدها الاشتراك في الخيرات المقدسة". والقديس اوغسطينوس يقول بالمعنى نفسه عن **شركة القدسيّات** (أو الأسرار) (العظة11/214). أول ما نفكر به اليوم جماعة الذين تبرروا بنعمة المسيح أنها الجماعة التي في حوزتها كل خيرات الخلاص التي اكتسبها لنا المسيح.

يقول **التعليم المسيحي الروماني** أن شركة القديسين تقوم بالامتلاك المشترك لوسائل النعمة التي وضعها المسيح في كنيسته، وللمواهب الفائقة الطبيعة غير العادية التي أعطيتها الكنيسة، وفي الاشتراك في ثمار الصلوات والأعمال الصالحة التي يأتيها كل أعضاء الكنيسة: "فالروح الواحد يدير الكنيسة ويشرك الجميع في كل ما أعطاها اياه"(22/10/1). "والعطايا المشتركة هذه ليست

فقط تلك التي تجعل الناس أبرارًا يروقون الله، بل أيضًا المواهب الفائقة الطبيعة غير العادية"(25/10/1). "وكل مايقوم به الفرد من عمل صالح مقدس يعود بالفائدة على الجميع. وبالمحبة، التي لا تطلب منفعتها الخاصة، يستفيد الجميع"(23/10/1). ويقول **بيوس الثاني عشر** في رسالته Mystici Coporis: "ما من عمل صالح، وما من فعل فضيلة يأتي بها أعضاء جسد المسيح السري منفردين الا ويفيد منه الجميع، بسبب شركة القديسين". فالشركة في الخيرات الروحية، التي هي قائمة بين أعضاء جسد المسيح السري، تمتد الى كل الخيرات الفائقة الطبيعة التي اكتسبها المسيح، والى كل الأعمال الصالحة التي تتم بنعمة المسيح.

هو **المسيح** أراد أن يكون المؤمنون وحدةً أدبية صميمة تكون وحدته هو مع الآب المثال لها(يوحنا21/17). وهو يشبه نفسه بالجفنة وتلاميذه بالأغصان الذين انما يؤتون ثمارهم من الجفنة(يوحنا8/1/15). ويحرض رسله على أن يسألو الأب العام الذي في السماوات، لا لنفوسهم فقط بل لكل جماعة المؤمنين، المواهب الفائقة الطبيعة والطبيعية(متى9/6 ومايلي: أبانا الذي في السماوات).

وقد توسَّع القديس بولس في تعليم المسيح، فرأى في المسيح رأس الجسد السري الذي هو الكنيسة، وفي المؤمنين الأعضاء لهذا الجسد الواحد. وكل عمل يأتيه العضو الفرد يفيد منه الأعضاء جميعًا._ 1كور12/25/27: "لئلا يكون في الجسد شقاق، بل يكون للأعضاء اهتمام واحد بعضها ببعض. فإذا تألم عضو تألم معه سائر الأعضاء، واذا أكرم عضو فرح معه سائر الأعضاء. فأنتم جسد المسيح، وكل منكم هو عضو في أعضائه". رومانيين12/4: "كما أن لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة ولي الجميع الأعضاء عمل واحد، كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين". ومن نتائج هذا التعليم العملية صلاة الشفاعة التي يرفعها الرسول الى الله لأجل الكنائس التي أسَّسها، ولأجله هو، ولأجل القديسين جميعًا(مثلًا رومانيين1/9؛ 15/30؛ أفسس6/18).

وكان للايمان بشركة القديسين، منذ نشأة الكنيسة، مفعوله العملي، فو□عت الصلوا□ في الطقوس الدينية لأجل الأحياء والأموات. ودعا الآباء جميعَ المؤمنين في ارشادات متكررة الى الصلاة لأجل أنفسهم ولأجل سواهم. وقد أثارت فكرة شركة القديسين حولها الجدل النظري، ولا سيما لدى القديس اوغسطينوس في كتاباته العديدة جسد المسيح. وهو يرى أن جسد المسيح لا يضم أعضاء الكنيسة على الأرض فقط، بل أيضًا الأموا□ من المؤمنين، وكذلك الأبرار كلهم منذ ابتداء العالم. فللجميع رأس واحد هو المسيح. والرباط الذي يربط الأعضاء بالراس، والأعضاء بعضهم ببعض، هو المحبة، عطية الروح القدس، التي تحيي جسد المسيح. انظر القديس اوغسطينوس، مدينة الله2/9/20؛ شرح المزمور4/3/36؛ المزمور4/137؛ العظة1/1/137. أما التعبير "شركة القديسين"، فكان لظهوره صلة بقانون الايمان، كأحد عناصره، وقد جاء للمرة الأولى في شرح نيقيتا الرمزياني (بعد380) لقانون الايمان. ولدينا ما يدل على أنها ظهر□ أيضًا في غالبًا منذ منتصف القرن الخامس.

والقديس توما يستخلص من التعليم عن شركة القديسين نتيجتين: آ)استحقاقا□ المسيح، الذي هو الرأس، تتوزع في الأسرار على أعضاء جسده السري؛ ب) لكل عضونصيب في أعمال سائر الأعضاء.

22. شركة المؤمنين الذين على الأرض

1. صلاة الشفاعة

*** يمكن أن المؤمنين على الأرض أن يطلبوا نعمًا من الله بعضهم لبعض بصلاة الشفاعة**. قضية أكيدة.

يقول البابا بيوس الثاني عشر في رسالته Mystici Coporis: "يتوقَّف خلاص كثير من الناس على الصلوات وأعمال التوبة الاختيارية التي يفرضها أعضاء جسد المسيح السري على أنفسهم لأجل هذه الغاية". وهو يدعو المؤمنين الى هذه الصلاة المتبادلة التي هي من تقاليد الكنيسة الراهنة: "يجب أن نُصعد طباتنا كل يوم متحدةً الى عرش الله لتشفع اليه بكل أعضاء جسد يسوع المسيح السرّي".

يرتقي الايمان بقوة الشفاعة الى أقدم الأزمنة وقد عرفته شعوب غير اسرائيل(انظر سفر الخروج4/8؛ 17/10). وكان كبار وجوه اسرائيل مثل ابراهيم(سفر الخروج23/18 ومايلي)، وموسى(الخروج11/32 ومايلي، 30/32 ومايلي)، صموئيل(1صموئيل5/7؛ 19/12 ومايلي)، وارميا(ارميا20/18) يتضرَّعون الى الرب لأجل الشعب ولأجل أفراد منه. وقد طلب الشعب والملوك من الأنبياء أن يتشفَّعوا بهم الى الله(3ملوك6/13؛ 4ملوك4/19؛ ارميا3/37؛ 2/42). وقد طلب **يسوع** من رسله أن يصلّوا لأجل مضطهديهم(متى5/44). والقديس **بولس** يعد الكنائس التي يكتب اليها بالصلاة لأجلها(رومانيين1/9)، ويسألهم أيضًا أن يصلوا لأجله(رومانيين15/30) ولأجل القديسين أجمعين(أفسس6/18)، ويسأل أن ترفع "تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من أجل جميع الناس ومن أجل الملوك وكل ذي منصب"(1تيمو2/1). ويطلب القديس **يعقوب** من المسيحيين "أن يصلّوا بعضهم لأجل بعض لكي يبرأوا"(يعقوب5/16).

والكتب المسيحية القديمة ملأى بالتحريضات والدعوات الى الصلاة المتبادلة. فالقديس **اقليمندو** □ **الروماني** يدعو الكورنتيين الى الصلاة لأجل الخطأة حتى ينالوا الوداعة والتواضع(في رسالته الى الكورنتيين1/56). وقد وضع لهم صورة صلاة يرد فيها ذكر المختارين في العالم كله والمحتاجين جميعًا(كورنتس59). والقديس **اغناطيو** □ **الانطاكي** يلتمس

في رسائله الصلاة لأجل كي يمنّ الله عليه بالاستشهاد، ولأجل كنيسة سورية، كنيسته، التي ترملت برحيله، ولأجل المبتدعين كي يتوبوا، ولأجل كل البشر(انظر رسالته الى أهل روما2/4؛ 3/8؛ 1/9؛ الى أهل أفسس2/1/10؛ 2/11؛ 2/1/21).

2.**الاستحقاقات لأجل الغير**

*** يستطيع المؤمنون على الأرض، بالأعمال الصالحة التي يأتونها بحال النعمة، أن يستحقوا نعمًا من الله بعضهم لبعض استحقاقًا هو باب اللياقة**. قضية محتملة.

ورد في النص الذي ذكرناه للبابا بيوس الثاني عشر أن خلاص كثير من الناس يتوقَّف على أعمال التوبة الاختيارية التي يأتيها أعضاء جسد المسيح السري. فهي تنال، على شكل استحقاق من باب اللياقة، النعم الخارجية والداخلية التي تلزم للخلاص(اطلب صفحة141).

في اعتقاد الكنيسة الأولى الراسخ أننا نستطيع أن ننال من الله النعم، ولا سيمّا الروحية منها، لأجل اخوتنا في الايمان، ذلك لا بصلاة الطلب فقط، بل بأعمال التقوى أيضًا. فالقديس **اقليمندوس الروماني** يقدّم استير مثالًا وقدوة لمسيحي كورنتس: "فهي كانت تضايق الرب، الذي يرى كل شئ، بصيامها وتواضعها"(من رسالته الى أهل كورنتس6/55). وبذكر القديس **يوستينوس** عادة المسيحيين الأولين بالصلاة والصوم، مشتركين فيهما مع الموعوظين، لينالوا من الله مغفرة خطاياهم القديمة.

3.**التعويض النيابي**

*** يمكن المؤمنين على الأرض، بأعمال من التوبة يأتونها في حال النعمة، أن يعوضوا بعضهم من أجل بعض.** قضية أكيدة.

يعمل التعويض على محو عقوبات الخطيئة الزمنية، وإمكان التعويض النيابي يقوم على وحدة الجسد السري. وكما أن المسيح، الذي هو الرأس، قد حلَّ في تكفيره على الخطايا محل الأعضاء، كذلك يستطيع أحد الأعضاء أن يحلّ محل عضو آخر. وعلى امكان التعويض النيابي وحقيقته تقدم الغفرانات.

أعلن البابا **اقليمندوس السادس**، في البراءة اليوبيلية Unigenitus Dei Filius (1343)، حيث ورد لأول مرة ذكر "كنز الكنيسة"، أن استحقاقات (=تعويضات) أم الله والمختارين كلهم، من أولهم الى أخرهم، تعمل على زيادة الكنز الذي منه تستقي الكنيسة الغفارين(.552D، انظر740). وقد دعا

بيوس الحادي عشر المؤمنين في رسالتيه Miserentissimus Redemptor(1928) و Caritate Chisti(1932)، الى تقديم التعويض الى قلب يسوع الأقدس لا عن ذنوبهم فقط، بل عن ذنوب الآخرين أيضًا.

أن فكرة تعويض الأبرياء نيابةً عن المذنبين هي معروفة في **العهد القديم**. فالبرئ يستنزل على نفسه الغضب الالهي الذي استحقه المذنب لينال له مجددًا النعمة الالهية. فهذا موسى يقدم نفسه لله ضحيةً عن شعبه الذي اخطأ(خروج32/32). وأيوب يقدّم نفسه كفارة عن خطايا أولاده(أيوب5/1). وأشعيا يتنبأ عن تكفير المسيح نيابة عن البشر(اشعيا43). **والعهد الجديد** يرى في موت المسيح وآلامه فديةً وذبيحةً تكفيرية عن خطايا البشر. فالقديس بولس يقول بأن المؤمنين يستطيعون أن يعوّضوا بعضهم عن بعض: كولوسي24/1: "أني أفرح الآن في الآلام من أجلكم، وأتمم ما ينقص من شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة"؛ 2كور15/12: "أنا بكل سرور انفق النفقات بل انفق نفسي لأجل نفوسكم"؛ 2تيمو6/6: "أما أنا فقد أريق السكيب عليَّ ووقت انحلالي قد اقترب"(=استشهادي).

هذه الفكرة أن الاستشهاد هو واسطة تكفير عن الغير تجدها لدى الآباء الأقدمين. فالقديس **اغناطيوس الانطاكي** يكتب الى أهل أفسس أنه يريد تقدمة نفسه كفارة عنهم(1/8). وفي رسالته الى القديس بوليكربوس يقول عن نفسه بأنه هو وقيوده "فدية" تقدم لأجله(3/2). ويقول **اوريجانس** وهو يذكر 2كور15/12؛ 2تيمو6/4؛ رؤيا يوحنا9/6، بأن الرسل والشهداء قد رفعوا بموتهم خطايا المؤمنين. والعادة التي يذكرها ترتليانوس (الى الاستشهاد1) والقديس **قبريانوس** (الرسالة23/15) بارجاع الخطأة الى حظيرة الكنيسة على كتاب توصية من شهيد(كتاب سلام)، تقوم على فكرة التعويض النيابي. ويقول القديس قبريانوس بصراحة بأن الشهداء يستطيعون التشفع لدى الرب بالخطأة(الرسالة2/19؛ 1/18) (انظر القديس امبروسيوس في البتولة32/7/1؛ في التوبة81/15/1).

والقديس توما إمكان التعويض النيابي على آية غلاطيا2/6: "احملوا بعضكم اثقال بعض"، ونظريًا على المحبة التي تجمع: "بمقدار ما يكون اثنان متحدين بالمحبة يمكن الواحد أن يكفر عن الآخر"(القديس توما2/48/3 على الأول؛ الردود على الخوارج158/3؛ شرح الرسالة الى الغلاطيين2/6).

23. شركة المؤمنين على الأَرض مع القديسين في السماء

1. عبادة القديسين وطلب شفاعتهم

*** من الجائز المفيد تكريم قديسي السماء وطلب شفاعتهم.** من الايمان.

يجب تحديد عبادة القديسين على أنها عبادة مطلقة مختصة بعبيد الله. وقد أعلن مجمع ترانت عن عبادة الصور "اننا بتكريمنا الصور انما نكرم القديسين الذين تمثلها"(.986D). وعن **التضرُّع** الى القديسين أعلن: "أنه لمن الجيّدِ المفيد أن ندعوهم بتضرّع"(.984D؛ انظر.998D). وإيمان الكنيسة هذا يجد تعبيره العملي في اقامة الأعياد للقديسين.

أن كلام مجمع ترانت يقصد **البروتستان،** الذين ينكرون الصلاة الى القديسين على أنها لم ترد في الكتاب المقدس ولا تنفق ووساطة المسيح الوحيدة. وفي المسيحية الأولى قام الكاهن الغالي فيجيلانتيوس يحارب عبادة القديسين والصلاة اليهم.

الكتاب المقدس يجهل عبادة القديسين والصلاة اليهم. الا أن فيه القواعد التي تنشأ عليها فيما بعد التعليم والممارسات الكنسية في هذا الشأن. فشرعيّة عبادة القديسين تُستخلص من عبادة الملائكة التي وردت في الكتاب المقدس(انظر يشوع14/5؛ دانيال17/8؛ طوبيا16/12). وسبب عبادة الملائكة هو مقامهم الفائق الطبيعة الذي يتأتّى من رؤية الله المباشرة(متى10/18). ولما كان القديسون أيضًا ينعمون برؤية الله المباشرة، كانوا هم أيضًا أهلًا للعبادة.

ولنا في سفر المكابيين الثاني(16/11/15) دليل على ايمان الشعب اليهودي بشفاعة القديسين. ففي حلم "حرّي بالتصديق" رأى يهوذا المكابي بارّين من الأموات، الكاهن الأعظم اونيًّا والنبي ارميا يشفعان الى الله بالشعب اليهودي والمدينة المقدسة(انظر ارميا1/15). وقد ورد في طوبيا12/12، رؤيا يوحنا8/5و3/8 أن الملائكة والقديسين في السماء يرفعون الى الله صلوات القديسين على الأرض، أي يسعفونهم بشفاعتهم، وهذا ما تلمح اليه صفة المحبة التي تبقى(1كور8/13). ومن شفاعتهم هذه نستنتج اجازة الصلاة اليهم.

بدأت عبادة القديسين في التاريخ على شكل عبادة الشهداء. وأقدم أثر لذلك نجده في رواية **"استشهاد القديس بوليكربوس"**(حوالي156): "نعبد المسيح لأنه ابن الله؛ ونؤدي الى الرسل تلامذة المسيح وممثليه المحبة التي تحقّ لهم بسبب تعلقهم بملكهم وربهم تعلقًا لا حدَّ له"(3/18). ويذكر الكاتب نفسه، للمرة الأولى، عادة الاحتفال "بذكرى الشهيد"، أي بيوم موت القديس(3/18).ووذكر **ترتليانوس**(في اكليل الجهاد3) والقديس **قبريانوس**(الرسالة3/39) الاحتفال بالذبيحة الاوخارستية في ذكرى موت الشهداء. والقديس **ايرونيموس** يدافع عن عبادة القديسين وشفاعتهم ضد فيجيلانتيوس(الرسالة1/109؛ ضد فيجلانتيوس6). وكذلك القديس **اوغسطينوس** يدافع عن عبادة الشهداء ويدحض التهمة بوثنية هذه العبادة هي الاقتداء بأمثالهم، والاستفادة من استحقاقاتهم، ونيل شفاعتهم(ضد فوستس21/20).

ونجد أول أثر للتضرّع الى القديسين عن القديس **هيبوليتوس الروماني**، الذي التفت الى رفاق دانيال االثلاثة بهذه الصلاة: "أتوسل اليكم بأن تذكروني، حتى أنال أنا أيضًا حظ الاستشهاد مثلكم"(في شرحه لدانيال30/2).و ويقول **اوريجانس**: "ليس الكاهن الأعظم (يسوع المسيح) فقط، بل الملائكة ونفوس الموتى الأتقياء أيضًا يصلون مع الذين يحسنون الصلاة"، وهو يستشهد لاثبات شفاعة القديسين بسفر المكابيين الثاني14/15، نظريًا ببقاء محبة القريب وكمالها(في الصلاة 11؛ انظر ارشاد في الاستشهاد30و 38؛ في بلاد المسيح العظة5/16). (انظر القديس قبريانوس الرسالة5/60). وفي زمن الاضطهادات كانت أكثر الكتابات على القبور تطلب من الشهداء ومن غيرهم من الأموات الأبرار شفاعتهم لأجل الأحياء والأموات.

ويعترض البروتستان بأن عبادة القديسين هي مجحفة بحق وساطة المسيح الوحيدة. الا أن هذا الاعتراض لا قيمه له، لأن وساطة القديسين هي وساطة ثانوية مرتبطة بوساطة المسيح الوحيدة، ولا مفعول لها الا بسبب استحقاقات المسيح الفدائية. فالصلاة الى القديسين وعبادتهم يعملان اذًا لمجد المسيح الذي يعطي النعمة بوصفه الها ويكسب النعمة ويوزعها بوصفه انسانًا: "أننا نؤدي العبادة للخدام لكي تنعكس العبادة عنهم الى سيدهم"(القديس ايرونيموس الرسالة1/109). (انظر كتاب التعليم الروماني14/2/3).

2.ذخائر القديسين

*** من الجائز المفيد تكريم ذخائر القديسين**. من الايمان.

أن العبادة التي تقدَّم لذخائر القديسين هي عبادة نسبية. وقد أعلن مجمع ترانت: "يجب على المؤمنين أن يكرموا أجساد الشهداء وسائر القديسين الأحياء بالمسيح"(.D985؛ انظر.D998، 440، 304). وسبب هذه العبادة

يقوم على أن أجساد القديسين كانت أعضاء حية للمسيح وهياكل للروح القدس، وهي ستقوم يومًا ممجَّدة، وأن الله يمنح الناس بواسطتهم خيرات جمة(.985D). وحريّ بالاكرام أيضًا، علاوة على أجسادهم ومختلف أجزائها، الأشياء التي كانت على مساس فيزيقي معهم.

يقصد تحديد مجمع ترانت **البروتستان** الذين كانوا ينكرون عبادة القديسين واكرام ذخائرهم، على أنهما لم يردا في الكتاب المقدس. وفي المسيحية الأول قام **فيجيلانتيوس** يحارب عبادة الذخائر، وقد اتخذت تنتشر في زمانه.

يجهل الكتاب المقدّس عبادة الذخائر، الا أن فيه مثارًا لها كان في أصل العبادة المسيحية للذخائر. فالاسرائيليون عند خروجهم من مصر أخذوا معهم عظام يوسف(الخروج19/13). وبمسّ عظام اليشع عاش الميت(الملوك الرابع21/13). واجترح اليشع معجزةً برداء ايليا(الملوك الرابع13/2). وكان مسيحيو أفسس يأخذون مناديل ومآزر الى المرضى عن جسم القديس بولس فنفارقهم الأمراض وتخرج منهم الأرواح الشريرة(أعمال12/19).

سرعان ما أدَّى سمو قدر الاستشهاد الى عبادة ذخائر الشهداء. وقد ورد في"**استشهاد القديس بوليكربوس**" أن مسيحي ازمير جمعوا عظام الأسقف الشهيد "التي هي أغلى من الجواهر الكريمة وأثمن من الذهب" ووضعوا في مكان لائق(2/18). وأضاف الكاتب: "وعلى قدر الامكان سنجتمع هناك بالفرح والحبور لنحتفل، بمعونة الرب، بذكرى يوم ميلاد بوليكربوس لله بالاستشهاد(3/18). وقد دحض القديس ايرنيموس التهمة التي **وجهها** فيجيلانتيوس بالعبادة الوثنية، فميّز بيّن العبادة المختصة بالله (عبادة اللاتريا) والعبادة المختصة بعبيد الله (عبادة الدوليا)، وبين أن عبادة الذخائر انما هي نسبية تذهب الى شخص الشهداء (الرسالة1/109؛ ضد فيجيلانتيوس4). (القديس يوحنا الدمشقي، في الايمان المستقيم15/4؛ القديس توما6/25/3).

3.**صور القديسين**

*** من الجائز المفيد اكرام صور القديسين**. من الايمان.

هذا الاكرام لصور القديسين هو عبادة نسبية (عبادة الدوليا). وقد أعلن مجمع **نيقية** السابع العام، ضد محاربي الايقونات في الكنيسة اليونانية، مستشهدًا بالتقليد المسيحي، أنه من الجائز أن تعرض "الصور المُكرَّمة المقدَّسة"، صور المسيح، وأم الله، والملائكة وجميع القديسين، وأن تؤدي لها عبادة الإكرام،

لا العبادة بالمعنى الحقيقي الخاص التي تحق لله وحده. فالإكرام للصورة يذهب الى صاحب الصورة(القديس باسيليوس، في الروح القدس54/18)(.302D). وقد جدَّد □جمع **ترانت** هذه القرارات، ضد البروتستان †الذين كانوا ينكرون□ع عبادة القديسين والذخائر عبادة الصور، فبيَّن□رة أخرى صفة هذه العبادة النسبية: "الاكرام الذي نبديه للصور يرجع الى أصحاب هذه الصور"(.986D؛ انظر998).

أ□ا نهي العهد القديم عن صنع الصور وإقا□ة العبادة لها(الخروج4/20)، وبه يستشهد أخصام الصور، فكانت الغاية□نه وقابة الاسرائيلين□ن السقوط في عبادةً جيرانهم الوثنيين للأصنام. فهذا النهي لا يسري على المسيحية الا□ن حيث هو نهى عن عبادة الصور عبادة وثنية. ونرى في العهد القديم نفسه خروجًا عن هذه القاعدة في سفر الخروج18/25: "اصنع كروبين□ن ذهب على طرفي غشاء التابوت"؛ وسفر العدد8/21: "اصنع لك حيَّة".

وبسبب نهي العهد القديم هذا عن صنع الصور، لم تنشأ العبادة المسيحية للصور الا على أثر انهزام الوثنية. وكان□جمع **البيرة**(اسبانيا)(حوالي306) لا يزال ينهي عن الرسوم والتصاوير في الكنائس. وفي البدء كان للصورة غاية تعليمية. ثم انتشر التكريم لها (بالتقبيل والسجدات والشموع والبخور)، ولا سيما في الكنيسة اليونانية،□ن القرن الخا□س الى السابع. وقام في القرن الثا□ن والتاسع□حاربو الايقوانات بحربهم وقد رأوا في هذه العبادة ردة الى الوثنية. ودافع عن تقليد الكنيسة في هذا الشأن القديس **يوحنا الدمشقي(749)**، والبطاركة **جرمانوس(†733)**، **ونيقفور(†829)**، والأنبا **تاودو□س الستودي(†826)**، فبيّنوا □ا لهذه العبادة □ن الصفة النسبية، وللصورة □ن قيمة تعليمية(انظر.1569D).

24. شركة مؤمني الأَرض وقديسي السماء بالنفوس التي في المطهر

1. امكان تقديم الاسعافات

*** يمكن المؤمنين الأحياء أن يقدموا للنفوس التي في المطهر اسعافاتهم.**□ن الايمان.

المقصود بكلمة "اسعاف" لا صلوات الشفاعة فقط، بل أيضًا الغفرانات، والصدقات

وسائر أعمال الرحمة، ولا سيما ذبيحة القداس الإلهي.

حدَّد مجمع ليون الثاني العام(1274)، ومجمع فلورنسه في مرسومه الى اليونانيين(1439) بالاجماع: "لتخفيف عذابات نفوس المطهر تفيد اسعافات المؤمنين الأحياء، ولا سيما ذبيحة القداس الطاهرة والصلوات والصدقات

وسائر أعمال التقوى التي درج المؤمنون على تقديمها بعضهم لأجل بعض وفقًا لقوانين الكنيسة"(.D**464**، **693**). وحدَّد مجمع **ترانت**، ضد البروتستان الذين ينكرون المطهر، أن هناك مطهرًا، وأن النفوس السجينة فيه تُغاث باسعافات المؤمنين، ولا سيما بذبيحة المذبح الطاهرة(.983D؛ انظر427، 456، 998).

لدينا في سفر المكابيين الثاني(46/42/12) الدليل على أن الاعتقاد بامكان اسعاف من ماتوا بالخطيئة، بواسطة الصلاة والذبائح التكفيرية، كان في اسرائيل في القرون الأخيرة من اليهودية. فكانوا يعلقون التطهير من الخطيئة على الصلاة والذبيحة. وقد أخذ المسيحية عن اليهودية منذ البدء هذا الاعتقاد بفائدة الشفاعة للموتى. **والقديس بولس يرجو لمساعدة الأمين اونيسيفورس**، الذي كان ولا شك قد غادر الفانية عند كتابة الرسالة الى تيموتاوس، "أن ينعم عليه الرب(=الله) بأن يصيب رحمةً من الرب(=يسوع) في ذلك اليوم"(2تيمو18/1).

الشهادات على ذلك كثيرة في **تعليم الآباء**. بين الآثار الأدبية القديمة لدينا "أعمال بولس ونقلا" المزيفة (أواخر القرن الثاني). ففيها أول ذكر للعادة المسيحية بالصلاة لأجل الموتى. فلقد طلبت فلكونيلّا المتوفاة من تقلا صلواتها "لتُنقل الى قر الأبرار"، فصلَّت تقلا هكذا: "يا اله السماء، ابن العلي، امنح (والدتها) ما تتمناه، ولتعش ابنتها فلكونيلّا الى الأبد"(أعمال بولس وتقلا28). **وترتليانوس** يوصي لا بالصلاة فقط لأجل الموتى، بل أيضا باقامة الذبيحة الاوخارستية في ذكرى موتهم. ويذكر القديس **كيرلس الأورشليمي**، في سياق وصفه لذبيحة القداس، الصلاة لأجل الموتى التي تلي كلام التقديس، وينسب اليه المقدرة على مصالحة الأموات مع الله. والقديس **يوحنا فم الذهب**، والقديس **اوغسطينوس** يقولان بامكان اسعاف الموتى بالصدقات. الا أن القديس اوغسطينوس يستدرك بقوله أن الاسعافات ليست الا للموتى الذين عاشوا على الأرض عيشة يمكن الصلوات معها أن تفيدهم بعد موتهم(انظر اعترافاته13/11/9).

وأكثر **الكتابات** التي على القبور المسيحية، للقرنين الثاني والثالث، تطلب صلوات

لأجل الموتى، أو تتمنى السلام، والراحة، والحياة، والحياة في الله أو في المسيح. انظر كتابة ابرفيوس من هيرابوليس (=منبج)(قبل216): كل من قرأ هذه الأسطر من اخواتي في الايمان فليتلُ صلاةً لأجل ابرقيوس".

2.مفعول الاسعافات

تعمل الاسعافات عملها بأن تقدم القيمة التعويضية للأعمال الصالحة المقدمة لله مقام العقابات الزمنية التي يترتّب على أنفس المطهر تتميها عن الخطايا. ونجد في الصلاة، علاوة على هذه القيمة التعويضية التي للأعمال الصالحة، قيمة التضرع والتشفع. وفيما ينشئ التعويض حقًا على عدل الله تتوجّه الصلاة الى رحمته. ويقوم امكان هذا التعويض النيابي على وحدة جسد المسيح السري بالنعمة والمحبة.

وهذه الاسعافات هي، بالنظر لمفعولها التعويضي، على ثلاثة أنواع: آ) الاسعافات التي تفعل **بقوة فعل المفعول،** وهي ذبيحة القداس بوصفها ذبيحة المسيح: ب) والاسعافات التي تفعل بما يقرب من قوة الفعل والمفعول، وهي الاسعافات التي تفعل **بقوة فعل الفاعل،** وهي الأفعال الصالحة الشخصية، كالصدقات. والشرط الأساسي فيها هو حالة النعمة.

أما أنجع الاسعافات فهي ذبيحة القداس الالهي.

3.شفاعة القديسين بنفوس المطهر

* **يمكن قديسي السماء أن يسعفوا نفوس المطهر بشفاعتهم**. قضية عامة.

تطلب الكنيسة من الله في صلواتها الطقسية لأجل الموتى أن يوصلهم الى السعادة الأبدية "بشفاعة الطوباوية مريم الدائمة بتولتها وجميع القديسين". على أن شفاعة القديسين هذه ليس لها قيمة الطلب والتضرع، لأن امكان التعويض والاستحقاق هو مقصورة على الحياة الأرضية.

أن الكتابات على المدافن المسيحية القديمة تطلب الى الشهداء الصلاة لأج لنفوس الموتى. وحرصًا على شفاعتهم كان المسيحيون يطلبون أن يدفنوا بجوار قبر شهيد. ويشرح القديس **اوغسطينوس** معنى ذلك للقديس بولينوس من نولا: لا تأتي مجاورة قبر الشهيد بحد ذاتها بفائدة للمتوفى. الا أن ذلك يحدو أهله الذين تركهم على الأرض على التضرع الى الشهيد بصلواتهم اليه ليشفع بنفوس الموتى.

4. شفاعة نفوس الموتى والصلاة اليها

- **يمكن نفوس المطهر أن تتشفع بباقي أعضاء الجسد السري**. قضية محتملة.

هل يمكن هذه النفوس أن تتشفع بغيرها من نفوس المطهر، أو بالمؤمنين الذين على الأرض؟ ولا شك! ما دامت نفوس المطهر أعضاء لجسم المسيح السري. فيجب بالتالي القول مع سوارس وبلرمينوس بأنه من الممكن والجائز الصلاة الى انفس المطهر.

يعلم مجمعا فيانا(1858) وارترخت(1865) الاقليميان أن نفوس المطهر تسعفنا بشفاعتها. ولاون الثالث عشر أجاز عام 1889 صلاة علقت عليها غفرانات تتوجه الى أنفس المطهر في أخطار النفس والجسد. (في مجموعة الصلوات السمية لعام 1937و 1950 لا وجود لهذه الصلاة).

يعترض **القديس توما** على شفاعة نفوس المطهر والصلاة اليها بأنها لا تدري بصلوات المؤمنين على الأرض اليها، وبأنها في حالة من العقوبة تجعل شفاعتها غير مقبولة (القديس توما83/2/2: 11الثالث؛ انظر83/2/2: 4الثالث: "فهي ليست في حالة أن تصلي لأجل غيرها، بل بالحري في حالة أن يُصلي لأجلها"). الا أن الكنيسة لم تستنكر عادة الصلاة الى نفوس المطهر، وقد انتشرت بين الشعب واوصى بها لاهوتين عديدون؛ وحذف الصلاة المذكورة أعلاه لا يُعد استنكارًا. وعليه فلا داعي للشك في امكان هذه العادة واجازتها. فقد تستطيع نفوس المطهر أن تعرف صلاة المؤمنين اليها بوحي من الله. غير أن لا يجوز إقامة عبادة لأنفس المطهر.

ملحق: هل من اسعافات لأجل الهالكين؟

- **أن الاسعافات لا تفيد الهالكين في الجحيم شيئًا، لأنهم ليسوا من جسد المسيح السري.** قضية عامة.

كان القديس **اوغسطينوس** يحسب أن الاسعافات لأجل الموتى تأتي ببعض التخفيف لعقابات الهالكين على قدر ما ليسوا بأشرار كليًا: "أن الذين يفيدون من هذه الذبائح (ذبيحة الهيكل وتقدمة الصدقات)، وانما يفيدون بنيلهم الغفران الكامل، أو بنيل الهالكين تخفيفًا لعقابهم". أما آية المزمور10/76 القائلة بأن الله لا يحبس رحمته حتى في غضبه، فإن القديس اوغسطينوس يحملها المحمل التالي: "لا ينهي الله العقاب الأبدي، الا أنه يخففه، أو يوقفه الى زمن". والقديس **غريغوريوس الكبير** يقول بأن الصلاة لأجل الهالكين لا قيمة له في عيني الديان العادل. واللاهوتيون في المدرسة القديمة يتبعون عمومًا القديس اوغسطينوس. وفي كتب طقسية لأوائل القرون الوسطى نجد قداسًا وُضع "لأجل ميت مشكوك في حالة

نفسه، حتى وميَؤوس منها". وصلوات هذا القداس تسأل تخفيفا لعقاب جهنم فيما لو عجز الميت المذكور، بسبب ثقل خطاياه، عن بلوغ المجد الأبدي.

والقديس توما يعلم، مع القديس غريغوريوس الكبير، أن الاسعافات لأجل الهالكين لا تجدي نفعًا، وأن الكنيسة لا تقصد الصلاة لأجلهم.

فهرس الكتاب

مقدمة الطبعة الأولى.....

توطئة علم اللاهوت العقائدي.....

1_ مدلول علم اللاهوت وموضوعه.....

2_ اللاهوت من حيث هو علم.....

3_ مدلول علم اللاهوت العقائدي وطريقته.....

4_ مدلول العقيدة وأقسامها.....

5_ تطور العقيدة.....

الكتاب الخامس: الله المبرَّر_ النعمة_ الكنيسة.....

الجزء الأول: النعمة.....

توطئة: النعمة بوجه عامّ.....

1_ الفداء من حيث تطبيقه على الانسان.....

2_ مفهوم النعمة.....

3_ أقسام النعمة.....

4_ أهم البدع في موضوع النعمة.....

القسم الأول: النعمة الفعلية.....

الفصل الأول: طبيعة النعمة الفعلية.....

5_ نعمة النور والقوة.....

6_ النعمة السابقة والنعمة التابعة.....

7_ جدل في ماهية النعمة الفعلية.....

الفصل الثاني: ضرورة النعمة الفعلية.....

8_ ضرورة النعمة لأجل الأفعال الفائقة الطبيعة....

9_ مجال عمل الطبيعة االبشرية وحدود مقدرتها بدون النعمة....

الفصل الثالث: توزيع النعمة الفعلية.....

10_ حرية الله في توزيع النعمة، أو مجانية النعمة.....

11_ تعميم النعمة.....

12_ سر الانتخاب.....

13_ سر الرذل.....

الفصل الرابع: العلاقات بين النعمة والحرية.....

14_ تعليم الكنيسة عن النعمة والحرية، ضد البدعة.....

15_ العلاقات بين النعمة والحرية في علم اللاهوت النظري...

القسم الثاني: النعمة الملكية.....

الفصل الاول: التبرير.....

16_ مدلول التبرير.....

17_ علل التبرير.....

18_ الاستعداد للتبرير.....

الفصل الثاني: حالة التبرير.....

19_ ماهية النعمة المبررة.....

20_ مفاعيل انعمة المبررة.....

21_ موكب النعمة المبررة.....

22_ خواص حالة النعمة.....

الفصل الثالث: نتائج أو ثمار التبرير. الاستحقاق.....

23_ حقيقة الاستحقاق.....

24_ شروط الاستحقاق.....

25_ موضوع الاستحقاق.....

الجزء الثاني: للكنيسة.....

الفصل الأول: أصل الكنيسة الإلهية.....

1_ مدلول الكنيسة.....

2_ تأسيس المسيح للكنيسة.....

3_ غاية الكنيسة.....

الفصل الثاني: دستور الكنيسة.....

4_ دستور الرئاسة في الكنيسة.....

5_ رئاسة بطرس الاول.....

6_ يرئس البابوات الكنيسة رئاسة ولاية.....

7_ طبيعة رئاسة البابا.....

8_ رئاسة البابا التعليمية، أو العصمة من الغلط.....102

9_ الأساقفة.....107

الفصل الثالث.....110

أسباب الحياة الداخلية في الكنيسة.....110

10_ المسيح والكنيسة.....110

11_الروح القدس والكنيسة.....114

الفصل الرابع.....116

صفات الكنيسة الجوهرية.....116

12_ ثبات الكنيسة.....116

13_ عصمة الكنيسة من الغلط.....118

14_ الكنيسة منظورة.....122

15_ وحدة الكنيسة.....124

16_ قداسة الكنيسة.....127

17_ كاثوليكية الكنيسة.....129

18_ رسولية الكنيسة.....131

الفصل الخامس.....133

ضرورة الكنائس.....133

19_ الانتساب الى الكنيسة.....133

20_ ضرورة الانضمام الى الكنيسة.....136

الفصل السادس.....138

شركة القديسين.....138

21_ مدلول شركة القديسين وحقيقتها.....138

22_ شركة المؤمنين الذين على الأَرض.....141

23_ شركة المؤمنين على الأرض مع القديسين في السماء... 144

24_ شركة مؤمني الأرض وقديسي السماء بالنفوس التي في المطهر...147